كتابي

٥



"مسز شريدان" لوحة مشهورة للفنان العالمي "توماس جينسبورو" (١٧٢٧-١٧٨٨)

حلمي مراد



« الصبى ذو الشعر الجميل »
(لوحة للفنان الفرنسى « فراجونار » (١٧٣٢ - ١٨٠٦) .
معروضة بمتحف (والاس) بلنـدن)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

عدد خاص : أروع القصص

الكتاب السادس والستون (السنة السادسة) : سبتمبر ١٩٥٧

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ــ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ــ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

نسخ أنيقة ((مقصوصة الاطراف))

تعد خصيصا للمشتركين فى ((كتابى)) و ((المطبوعات))

◆ اذا أردت الحصول على نسختك من « كتابى » أو « مطبوعات كتابى » أنيقة نظيفة « مقصوصة » من جميع أطرافها ، فاشترك فى السلسلتين ، أو احداهما ، تضمن وصول الأعداد المذكورة اليك فى عقر دارك ، أينما كنت ، بالبريد « المسجل » وفى مظروف مغلق .

ارسل فورا الى الادارة (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) اذن بريد بقيمة الاشتراك الموضحة أدناه ، لأية مدة ترغب فيها !.. واذا كنت بعيدا عن مكتب البريد فى هذه الساعة أو كان المكتب مغلقا ، وخشيت أن تنسى الموضوع أو تهمله لو أرجأته ، فتناول قلما من فورك واكتب الينا « برغبتك » فقط فى الاشتراك ، وسوف نتولى نحن تذكيرك بالأمر بخطاب خاص فى فترات متفاوتة ، لنساعدك على تنفيذ رغبتك ، حتى تحققها .. فلا ترجىء الكتابة الآن ، واذكر أن الارجاء والتسويف هما ألد أعداء الانسان ، فهما يحرمانه من كل فرص السعادة أو النجاح .

أسعار الاشتراك ، بما فى ذلك نفقات البريد المسجل

فى القطر المصرى والسودان : ١٠ قروش عن كل عدد (باذن بريد أو حضوريا بالادارة) . فى سوريا ولبنان والعراق والأردن والحجاز : شيك أو تحويل على أحد بنوك القاهرة بما يوازى ١٢ قرشا مصريا عن كل عدد ، أو كوبونات دولية بـ ١٣٠ مليما مصريا عن كل عدد . فى بقية بلاد العالم : شيك أو تحويل على أحد بنوك القاهرة بما يوازى ١٣ قرشا مصريا عن كل عدد . والرجا عدم ارسال نقود داخل الخطابات سواء العادية أو المسجلة .



قرأت وشهدت لك
فى الكتب .. والمسارح .. والحياة!

أقاصيص .. من ايطاليا

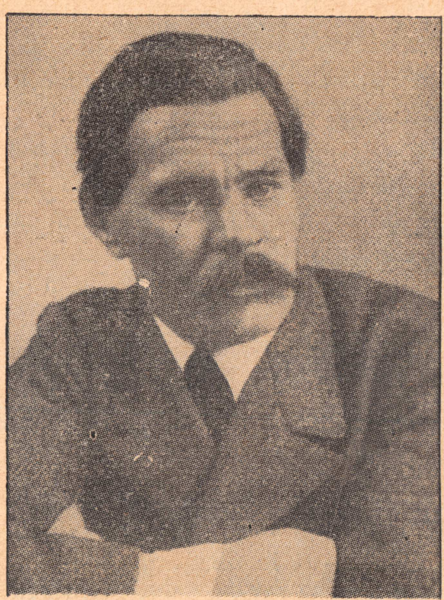
• أما وقـد فكرت ان أخصص مادة هذا العدد لـ ((أروع القصص)) ، بشتى ألوانها ، سواء فى الآداب العالمية، أو فى دنيا الواقع .. فلماذا لا أقصر مادة هـذا الباب بدوره ، فى هذا الشهر ، على ما له طابع قصصى ، من مطالعاتى ومشاهداتى ؟

اذن فتعال نبدأ جولتنا على متن هذا الكتاب الشائق للأديب الروسى ((مكسيم جوركى)) ، وقد جعل عنوانه : ((اقاصيص من ايطاليـا)) .. وهو يتضمن مجموعة رائعـة من القصص القصيرة التى استوحاها جوركى من زياراته لايطاليا .. وهى مجموعة منوعة الاجواء والموضوعات : فبينها القصة ذات الجو الشعرى الحالم .. والقصة ذات المغزى الفلسفى العميق .. والقصة التى تصور صراع العواطف العنيفة الحادة .. والقصة التى تتنـاول أنبل المشـاعر .. والقصـة التى تدور فى اطار تاريخى .. والقصة التى تتأجج وطنية وحماسا .. الى آخر هذه الباقة الرائعة من الاقاصيص

ولنبدأ بالاقصوصة ذات الجو الشاعرى :

ليلة حالمة .. فى زورق !

وهذه الاقصوصة ترينا جوركى ((الشاعر)) ، فى أوج خيـاله المتألق .. انه فى هـذه القطعة الأدبية الرائعة ــ ويصعب ان نسميهـا ((قصة)) بالمعنى المتعارف عليه ــ يصور لنـا ، فى حوار شائق ساذج بين صيـاد شاب وصياد مسن ، رد الفعل النشوان الذى تركته فى مشاعر الشاب البسيط ليلة حالمة قضاها فى زورقه مع سائحة غنية لاتعرف من لغتـه حرفا ، ولا يعرف هو من لغتها حرفا.. وقد شملهما صمت رائع، أبلغ من كل حديث :



مكسيم جوركى

• **كانت** الشمس تمتزج بزرقة سماء الظهيرة ، تصب شعاعها على البحر والبر .. والأمواج تقفز فى تكاسل على الصخور السمراء ، فتتكسر على ظهورها وتتناثر على الحصى الهامس ! .. والجبال يكتنفها وهج ارجوانى . واوراق الزيتون السمراء تبدو فى اشعة الشمس كالفضة القديمة .. والخضرة المخملية الداكنة – فى الحدائق التى تطوق لتلال – تتألق بسنى انعكاس ضوء الشمس على الليمون والبرتقال .. وبراعم الرمان القرمزية تبتسم .. والزهور منبثة فى كل مكان .. ان الشمس لتكن لهذه الارض [illegible] صادقا !

وعلى الشاطىء الصخرى صيادان .. **احدهما كهل يرتدى قبعة من القش ، وله وجه مستدير ، ولحية شيباء ، وعينان كادتا تتواريان لفرط سمنتـه ، وانف احمر ، ويدان لوحتهما**

الشمس بلون برونزى .. وقد جلس على صخرة ، وبسط قصبة الصيد الرفيعة فوق الماء ، والأمواج الخضراء تتواثب فتلعق قدميه ! .. ووقف خلفه ـ معتمدا بمرفقه على صخرة ـ **شاب داكن العينين ، اسمر البشرة ، طويل نحيل ، على رأسه قلنسوة حمراء ، وعلى صدره القوى قميص من « الجيرسى » الأبيض ، وقد ارتدى سروالا ازرق شمر ساقيه الى الركبتين ..** وكان يفتل شاربيه ، ويحملق ساهما فى البحر ، حيث كانت قوارب الصيد تتأرجح على الماء كأشرطة سوداء ، وحيث بدا عند الافق القصى شراع ابيض لايريم حراكا ، وكأنه سحابة خفيفة تذوب فى حرارة الجو !

***

• **وتساءل** الكهل بصوت أجش ، وهو يجذب خيط قصبة الصيد : « أهى غنية .. تلك السيدة ؟ » ، فأجاب الشاب بصوت خافت : « أعتقد ذلك .. فقد كانت تلبس حلية مرصعة بحجر ارزق كبير ، وقرطين ، وعددا كبيرا من الخواتم ، وساعة .. انها امريكية فيما اظن ! .. وصحيح انها جد نحيفة ، الا ان لها عينين كالزهرتين ، وفما دقيقا منفرج الشفتين قليلا .. » ، فقاطعه الكهل قائلا : **« هكذا فم المرأة الأمينة التى لاتحب سوى مرة واحدة فى حياتها ! »** . ثم جذب قصبته ، وتأمل الشص الخاوى بعينين ضيقتين ، وزمجر قائلا : « ليس السمك بأكثر حمقا منا ! »

وغذى الشص بطعم جديد ، ثم طوح بالخيط الى البحر وتساءل : « أتقول انك رحت تجذف حتى الصباح ؟ » . فأجاب الشاب وهو يرسل زفرة حرى : « اجل .. كانت الشمس قد بزغت حين بلغنا الشاطىء » .. وعاد الكهل يتساءل : « وفيما تحدثتما ؟ » .. فنكس الشاب رأسه أسى وهو يقول : « انها لا تعرف من الايطالية اكثر من عشر كلمات ، ومن

ثم فقد كنا صامتين ! » .. فالتفت اليه الكهل كاشفا عن اسنانه البيضاء فى ابتسامة عريضة ، وقال : **« ان الحب الصادق ينقض على القلب فى سرعة البرق .. وانه لصامت كالبرق كذلك ! »**

— ان المرء ليعجب احيانا : ما الذى يدعو الناس الى كل هذه اللغات المتباينة !

واخرج الكهل سيجارا طويلا خشنا ، فشطره وناول الشاب نصفه ، ثم تساءل : **« وفيم كنت تفكر عندما كنت معها فى القارب ؟ »** .. وأجابه الشاب : « ان الانسان يفكر دائما فى السعادة .. » ، فعقب الكهل قائلا : « وهذا هو السبب فى انه دائما أبله ! » . وأشعل السيجارين فتصاعد الدخان الأزرق فى خطوط حلزونية فى الهواء الراكد .. وقال الشاب : **« لقد غنيت لها ، فراحت تبتسم لى .. وانك لتعرف اننى لا أميل كثيرا للغناء .. لذلك تركت المجذافين ، واخذت أحدق فيها ، وأقول لها فى نفسى : ها أنذا شاب وقوى ، وانك لتعانين السأم .. فأحبينى ودعينى أعيش حياة طيبة ! »**

واذ ذاك تساءل الكهل : « هل كانت تعانى السأم ؟ » .. فقال الشاب : « ومنذا الذى يسافر الى بلاد غريبة ولا يحتاج الى رفيق يؤنسه ؟ » .. واستطرد يقول : « ومضيت أقول لها فى نفسى : أقسم لك بالعذراء اننى سأكون طيبا ، وسيغدو كل من حولنا سعداء .. سأكون وفيا لك دائما » ، وكان الكهل يتمتم فى انتشاء وهو ينصت ، بينما استطرد الشاب : « ولسوف أحبك بقدر ما تشائين ، واذ ذاك ستعطينى مالا لابتاع قاربا ، وقطعة من الارض .. وسأعود الى وطنى وأتذكرك بالعرفان طوال حياتى ! »

وتمتم الكهل : « لا حماقة فى ذلك .. » ، فاستانف الشاب حديثه : **« وحوالى الصبح ، رأيت اننى ربما لم أكن راغبا فى شىء .. لم أكن راغبا فى مال ، وانما كنت أريدها هى ، لتلك**

الليلة على الأقل ! .. لليلة واحدة فقط ! » .. فغمغم الكهل: « هذا أبسط ! » .. واذ ذاك قال الشاب : « يلوح لى يا عم بيترو ان الرضى بقليل من السعادة ، أقرب دائما الى الشرف والأمانة . . » . وشرع يغنى بصوت ناعم شجى : « اواه يا وحيدتى » !

واخلد الكهل الى الصمت برهة ، ثم قال فجأة وهو يهز رأسه : « اجل ، ان قليلا من السعادة أقرب الى الشرف ،ولكن الكثير من السعادة أفضل ! .. ان الرجال الفقراء أجمل من الاغنياء ، ولكن هؤلاء أقوى .. وهكذا الحال بالنسبة لكل الأمور ! »

وواصلت الأمواج همساتها ، بينما كانت خيوط الدخان الازرق تحوم فوق رأسى الرجلين . ونهض الشاب مغمغما بلحن والسيجار فى ركن فمه ، ووقف مستندا بكتفه الى الصخرة السمراء ، محدقا فى البحر بنظرة حالمة .. أما الكهل فانه ظل جالسا لايحير حراكا ، وقد نكس رأسه ، ولاح انه يغفو!



وازدادت أرجوانية الظلال دكنة على الجبال .. وأخذ الشاب يغنى : **« اواه ياوحيدتى ! .. لقد ولدت الشمس ، اكثر جمالا .. اكثر جمالا منك .. اواه يا شمس ، اشرقى فى صدرى ! »**

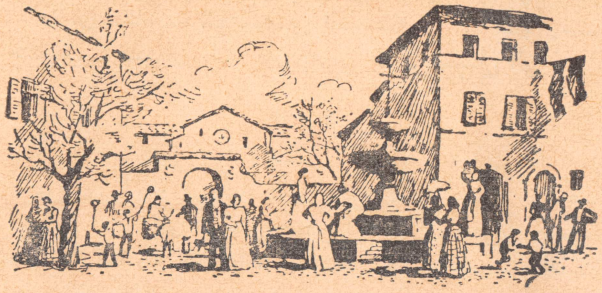
وواصلت الأمواج الخضراء مرحها المدلل الطروب !

الحب فى ظل الصراع ..

بين الدين والاشتراكية

فاذا فرغنا من هذه اللوحة التصويرية الجميلة لتلك الليلة الحالمة فى الزورق ، فتعال نهبط من علياء الشعر والخيال ، والاحلام ، الى دنيا الواقع .. دنيا الصراع

الموجع المحتدم فى نفوس الشباب ، بين العقائد التقليدية الصارمة التى يأمر بها الدين ، وبين الحرية «الاشتراكية» التى تضع سعادة الانسان فى حياته ، فى المرتبة الاولى من الاهمية .. وفوق كل اعتبار :



◆ **تشرق** الشمس متألقة فى الربيع ، فاذا كل امرىء مرح ، واذا كل شىء – حتى نوافذ البيوت الحجرية القديمة – يبدو باسما .

وفى احد ايام العطلات ، تدفق الناس – كتيار بهيج الألوان – على طرقات البلدة الصغيرة ، وقد انتابتهم نشوة خفيفة من الربيع ، فراحوا يتكلمون بأصوات عالية ، ويضحكون ، ويغنون .. وكأنهم جسم واحد يتفجر اغتباطا بأنه على قيد الحياة ! .. وكانت مظلات النساء وقبعاتهن – فى تباين الوانها – و «بالونات» الاطفال الحمراء والزرقاء ، تشبه زهورا من عالم خيالى .. **وبراعم الاشجار لا تزال مقفولة الاكمام ، تعب من اشعة الشمس الدافئة .. وأنغام الموسيقى تنبعث على البعد وكأنها تدعو الناس ! .. وكأنما تعاسات البشر غدت من مخلفات الماضى !**

وكان من الغريب والمحزن ان يلاحظ وسط هذا الحشد المرح وجه حزين على جسد طويل ، متين البنيان ، لرجل كان

يسير متأبطا ذراع امرأة شابة . وما كان ليتجاوز الثلاثين من عمره ، ومع ذلك فقد كان شعره أشيب ، وكان يمسك بقبعته فى يده ، كاشفا رأسه الفضى المستدير . وكان وجهه النحيل الطافر بالصحة ، يحمل مظهرا ينم عن طمأنينة **ولكنها مشوبة بأسى ، كما أن عينيه الواسعتين السوداوين — المتواريتين خلف جفنيه — تشيان بأنه كان يعانى ألما لا سبيل الى نسيانه!**

***

• **وقال** لى صديقى : « لاحظ هذين الشابين .. الرجل بوجه خاص ! .. انه ضحية مأساة تزداد انتشارا بين عمال شمال ايطاليا » .. كان الرجل اشتراكيا يتولى تحرير صحيفة محلية للعمال ، كما انه كان عاملا يشتغل بنقش البيوت وطلائها ، وقد عرف بالاطلاع ، والتحمس ، والذكاء ، ومعاداة رجال الكنيسة ! .. **ولقد قدر له أن يلتقى — منذ خمس سنوات — بفتاة ، فى احدى الحلقات الدراسية التى كان يتزعمها بوصفه داعية للمبادىء الاشتراكية . وقد نشأت النساء هنا على الايمان بالله ايمانا مطلقا لا يتزعزع .** ولقد قال شخص ما — وقوله حق — ان الكنيسة الكاثوليكية أنشئت على صدور النساء !.. ان العذراء — « المادونا » — أكثر بساطة من « المسيح » لأنها أقرب الى القلب ، ولأنها ليست نهبا للعواطف المتضاربة فى أعماق النفس ، ولأنها مفعمة بالحب ، والوجد ، والغفران !

ولم تتقبل هذه الشابة آراء صاحبها — غير المؤمن بالكنيسة — دون ما جدال وأسئلة .. وأحس الشاب من أسئلتها بأنها توجس من آرائه .. كما احس فى هذه الأسئلة بروح سافرة من عدم الثقة ، كثيرا ما كان يخالطها الخوف ، بل والنفور !.. وكان الداعية الاشتراكى مضطرا الى أن يكثر من الحديث عن الدين ، **وغالبا ماكان يتناول « البابا » ورجال الكنيسة بعبارات**

قاسية . لكنه فى كل مرة كان يقرأ فى عينى الفتاة ازدراء وكراهية نحوه .. فاذا وجهت اليه سؤالا ، كان لكلماتها رنين ينذر بالعداء ، وفى صوتها سم ناقع ! . . ومن الواضح أنها كانت ملمة بما كتبه الكثالكة ضد الاشتراكية ، وكان حديثها — فى الحلقة الدراسية — لايقل عن حديث الشاب ظفرا باصغاء الحضور .

وجرح هذا كبرياء الرجولة لدى صاحبنا، كما أن شهرته كداعية ماهر تأثرت من جراء مصادماته مع الفتاة ! وكان أحيانا يفقد هدوءه ، وكثيرا ما سفه حججها ، ولكن الفتاة كانت تكيل له بنفس الكيل ، وتضطره الى أن يعنى باعداد مادة محاضرته للحلقة التى كانت تنضم اليها !.. على أنه لاحظ — فى الوقت ذاته — تغيرا ملموسا كان يعترى الفتاة اذا ما تكلم عن بشاعة الحياة التى يحياها الناس ، فكانت تصغى فى سخط المرأة القوية الذكية التى تدرك مدى ثقل اغلال هذه الحياة .. وفى لهفة وثقة الطفل الذى ينصت الى قصة خرافية !

وبعث هذا فى نفس الشاب أملا فى أن يستطيع أن يجعل من غريمته رفيقة له فى نشاطه الاشتراكى .. واستطاع أخيرا — وبعد حوالى عام — ان يقنعها بأن من الخير للقضية المشتركة أن يزداد كل منهما معرفة بالآخر .. **وراحا يتجادلان ، فكانت تدافع بحرارة عن الكنيسة كمكان تستطيع روح الانسان المعذبة أن تجد فيه طمأنينة ، بينما كان الشاب يعارضها قائلا ان الراحة ليست بغية الانسان ، وانما هو بحاجة الى الكفاح** .. وان المساواة الاجتماعية مستحيلة بدون المساواة فى المنافع المادية .

وهكذا كان الجدال يملأ حياتهما ولقاءاتهما ، ويشعرهما — يوما بعد يوم — بأن لاسبيل الى التقريب بين معتقداتهما .. كانت الحياة — لدى الشاب — جهاد من أجل المعرفة ، وصراع لاخضاع قوى الطبيعة الغامضة لارادة الانسان .. اما لدى

الفتاة ، فكانت الحياة تضحية حافلة بالآلام ، يقدمها الانسان قربانا للمجهول .. وجهادا لاخضاع العقل لارادة وقانون وهدف لا يعلمها سوى القساوسة وحذهم !

• **ولم تكن** الفتاة ذات جمال باهر ، ولكنها أوتيت وجها يشع بالذكاء ، وعينين زاخرتين بالعواطف . وكانت تعمل فى مصنع للحرير ، وتعيش مع أم تقية وأب عاجز وأخت تصغرها وتتلقى العلم فى مدرسة صناعية .. وكان للفتاة شغف بالمتاحف والكنائس ، وكثيرا ما كانت تقول : « يجب أن يكون الجمال فى متناول الجميع ! » .. وكم كان كلامها يبدو غريبا – فى كثير من الأحيان – حتى لقد كان الشاب يخال ان كلماتها نابعة من ألم خفى فى أعماق نفسها .. وشعر بأن هذه الفتاة تحب الحياة والناس حب الأم الرؤوم .. حبا مليئا بالقلق والحنان . لذلك راح ينتظر فى صبر اللحظة التى تصل فيها عقيدته الى لهب قلبها فتحيل حبها الى وجد مضطرم !

وذات يوم ، رافقها الى دارها ، **وصارحها بحبه ورغبته فى الزواج منها . وبهت اذ وجدها تجفل وكأنه صفعها ، واتسعت عيناها ومالت – وهى شاحبة الوجه – فاستندت الى جدار ، وتطلعت اليه فى شىء من الذعر ، قائلة : « لقد كنت أحدس ذلك ، لأننى أنا الأخرى قد أحببتك منذ زمن طويل ، ولكن .. اواه ، يا الهى ! .. ماذا نفعل ؟ »**

– لسوف نكون سعيدين معا ، وسنعمل جنبا الى جنب

– لا ، لا ! .. لا مجال للحديث عن الحب بيننا ! .. أتوافق على أن تتزوجنى فى الكنيسة ؟

وأجاب : « لا » ، فهتفت : « اذن ، فوداعا ! » .. وانفلتت منصرفة ، فأمسك بها ، وراح يناشدها ، ولكنها قالت : اننى وأمى وأبى متدينون ، وسنظل متدينين حتى الموت . والزواج على يدى موثق العقود لا يوافقنى ، فان الأطفال الذين يولدون نتيجة مثل هذا الزواج ، يكتب لهم الشقاء .. زواج الكنيسة

وحده هو الذى يبارك الحب ويمنح السعادة والسلام »

ولم يكن بوسعه أن يسلم بوجهة نظرها ، ومن ثم افترقا. ولكنها قالت ضارعة قبل انصرافه : « **لا تحاول أن ترانى بعد الآن ، حتى لا يعذب كل منا الآخر .. ليتك تستطيع أن ترحل بعيدا عن هنا ، فليس بوسعى أن أكون الراحلة ، لأننى فقيرة .. »**

ولكنه لم يشأ . . وبدأ بينهما صراع قوى ، فقد ازدادت مرات لقائهما ، لأن كلا منهما كان يتوق الى لقاء الآخر ، آملا فى أن يعجز هذا الآخر عن احتمال اللوعة ، فينزل عند رأى صاحبه !.. وكانت لقاءاتهما مليئة بالأسى والقنوط !.. وفى احدى نزهاتهما ــ فى يوم عطلة ــ قال لها : « ان نفسى تحدثنى أحيانا بأن أقتلك ! » . ولم تجب ، بل رمقته بحنان. **واحتضنها وقبلها ، فقاومت : ولكن مقاومتها لم تلبث أن وهنت ، فداخله الأمل فى أن يتغلب عليها يوما ، فتدفعها غريزة الأنوثة الى أن تستسلم له . ولكنه أدرك أن هذا لن يكون انتصارا له ، وانما استعبادا . ومن ثم كف عن محاولة اضعاف انوثتها !**

***

. **وكان** يحاول أن يغلبها بأن يرسل ضياء المعرفة الى ظلمات نفسها ، فكانت تقول له : « اننى أفهم ما تقول ، ولكنى لا أستطيع أن أؤمن به ! » .. وظلت هذه الحال عامين ، ثم سقطت الفتاة مريضة، فهجر الشاب عمله ونشاطه السياسى، وتورط فى الديون ، وتفادى أصدقاءه ، وأصبح يقضى وقته بجوار سريرها ، يتأملها وهى تذوى يوما بعد يوم !

وسألته يوما : « أترانى سأموت ؟ » ــ وكان الطبيب قد انبأه بأن السل ينهش صدرها نهشا ــ فأشاح بوجهه عنها ، هربا من الجواب ، لكنها أمسكت بيده ، وقالت : « اعرف اننى لن ألبث أن أموت قريبا .. فاصفح عنى ! .. لقد عذبتك .. اننى لأرى الآن ان ايمانى لم يكن سوى خوف من ذلك الذى

لم يكن بوسعى أن أفهمه ، رغم رغبتى ، ورغم جهودك . . خوف كان فى دمائى ، وقد ولدت وهو فيها . . اننى أملك عقلى – أو لعلك أنت مالكه – أما قلبى فليس فى يدى .. وهو لا يمكن أن يقرك على آرائك ! »

.. ثم ماتت بعد أيام .. وفيما كان يتأملها فى آلام النزع الأخير ، استحال شعره بياضا – ولم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين !

ولقد تزوج منذ عهد قريب ، من الصديقة الوحيدة لتلك الفتاة ، وكانت هى الأخرى من تلميذات حلقته الدراسية . وهما يذهبان فى يوم الأحد من كل أسبوع ليضعا الزهور على قبرها !

ولم يصدق الشاب أنه انتصر ، بل انه مؤمن فى قرارة نفسه بأن الفتاة عندما قالت له انه مصيب فى آرائه ، انما كانت تكذب ، لتعزيه !.. وكذلك تؤمن زوجته .. وانهما ليستمدان من ذكراها ومأساتها قوة على محاولة الثأر لها بمضاعفة جهودهما فى نشر دعوتهما !

الام



يخيل لى ان جوركى كان شديد التعلق بأمه ، وبذكراها ، وبالامومة بوجه عام ، فلقد كتب ثلاث قصص جعل عنوان كل منها : « الأم » .. احداها مسرحية ،

والثانية قصة طويلة ، والثالثة هى هذه القصة القصيرة — وان اختلفت موضوعات القصص الثلاث اختلافا كاملا ! — فتعال نستمتع بقراءة هذه ((الأم)) الثالثة ، ثم نسائل انفسنا : هل كتب اديب — فى تمجيد الامومة — ابلغ من هذا الكلام ؟

• **لنرفع** عقائرنا بامتداح المرأة .. الأم .. النبع الدافق دائما بالحياة الظافرة ! .. فهذه قصة « تيمورلنك » ذى القلب الصخرى ، الغازى الأعرج المحظوظ ، الذى سعى الى هلاك العالم بأسره .. فقد قضى خمسين عاما يعيث فى الأرض فسادا ، ويسحق المدن والدول تحت كعبه الحديدى ، كما يسحق فيل بيتا من بيوت النمل ! .. وسالت أنهار الدماء فى أعقابه ، فى كل اتجاه .. وأنشأ ابراجا عالية من عظام الشعوب المغلوبة ، وتحدى بقوته سطوة الموت ، ثأرا لوفاة ابنه « جيجانجير » .. وأوصد قلبه ضد العواطف .. ثلاثين عاما !

فلنتغن بمديح المرأة ، الأم ، القوة الوحيدة التى يحنى الموت رأسه امامها فى ذلة ! .. **لنرو القصة الحقيقية للأم ، وكيف أحنى رأسه أمامها خادم الموت وعبده ، تيمورلنك المتحجر القلب !**

فى وادى (كاينجولا) الجميل ، المحفوف بأفواف الورد والياسمين .. الوادى الذى أطلق شعراء (سمرقند) عليه اسم « وادى الزهور » ، حيث مآذن المدينة الكبيرة الزرقاء ، أقام « تيمور » احتفالا عظيما ، فضربت خمسة آلاف خيمة على شكل مروحة ، ورفرف على كل منها مئات من الأعلام الحريرية .. و فى وسطها قامت خيمة « تيمور » ، كملكة وسط حاشيتها ، معتمدة على اثنى عشر عمودا من الذهب ، كل منها فى سمك الآدمى ، وقام على أركانها الأربعة — اذ كانت مربعة — أربعة نسور من الفضة .. وفى وسطها ، جلس النسر

الخامس .. ملك الملوك ، « تيمور » الذى لا يغلب ! .. وكان وجه الأعرج الفذ مثل حد خنجر عريض خضبته الدماء التى انغمس فيها آلاف المرات !

وعلى أرض الفسطاط (الخيمة) المكسوة بأبسط لا مثيل لجمالها ، قامت ثلاثمائة جرة ذهبيـــة مترعة بالخمر وبكل ما يليق بوليمة ملكية .. وجلس خلف تيمور الموسـيقيون . ولم يكن يجلس الى جواره أحـد ، بل ان اقاربه ـ من ملوك وأمراء وشـيوخ ـ جلسوا عند قدميه ، وكان أقربهم اليـه « كرمانى » الشاعر السكير ، الذى كانت له عـلى « تيمور » دالة تبيح له فىعنفوان سكره أن ينال من ملك الملوك ، ورجل الهول والشر ! ـ ولنترنم بمديح الشعراء الذين لا يعترفون الا باله واحد ، يتمثل فى كلمة الحق !

***

• **وفى** عنفوان الاحتفال ، وأوج التغنى بذكريات المعـارك والانتصارات ، وقد انتشى رجال « تيمور » من رهبته ومن الزهو به ، اذا بصرخة امرأة ـ كأنها انثى النسر ـ تبلغ أذنى قاهر السلطان بايزيد ، وكأنها البرق يشـــق الغيوم . وكان صوتا أليفا لديه ، يتمشى مع نفسه الجريحة ، التى طفهـــا الموت . فأمر رجاله بأن يروا مصدر الصرخة الخالية من الفرح وقيل له انها امرأة مخبولة مشعثة ، فى اسمال بالية ، تتـكلم بلسان العرب ، وتطلب ـ أجل ، تطلب ! ـ ان تراه . . فأمربأن تساق اليه .

وسرعان ما كانت امامه ، فاذا هى حافية ، مهلهلة الثياب ، وقد تهدل شعرها فغطى صدرها العارى .. وكان وجهها فى لون البرونز ، وعيناها تفيضان عزة وصلفا . وبسـطت يدا سمراء ـ لا ترتجف ـ نحـو الأعرج ، قائلة : **« أفأنت الذى هزم السلطان بايزيد ؟ . . ألا أصغ لى ! . . انك ـ مهما تكن قد صنعت ـ انسان ، وأنا ام ! . . انك تهب الموت ، وأنا أهب**

الحياة ! ولقد اذنب فى حقى ، فجئت أطلب اليك أن تكفر عن جرمك .. لقد سمعت ان شعارك هو : « العدل فى القوة »، ولست أصدق . . على أن الانصاف واجب عليك نحوى ، فاننى أم ! »

◆ **وكان** للملك من الحكمة ما يجعله يدرك القوة الكامنة وراء هذه الكلمات ، فأمر المرأة بالجلوس وبأن تروى له قصتها، فقالت : « اننى من منطقة ساليرنو ، فى ايطاليا .. فى بقاع بعيدة لاتعرفها انت ! .. وكان أبى صياد سمك ، وكذلك كان زوجى الذى كان سعيدا ، وكنت أنا مصدر سعادته ! .. كذلك كان لى طفل .. أجمل طفل فى الدنيا .. » . وهنا قاطعها المحارب الكهل متمتما : « مثل ابنى جيجانجير »

ـ ليس هناك من يضارع ابنى جمالا وذكاء !.. ولقد كان فى السادسة من عمره عندما هبط القراصنة ساحلنا ، فذبحوا أبى وزوجى وكثيرين غيرهما ، وحملوا ابنى معهم !.. **وقد قضيت أربع سنين أجوب العالم بحثا عنه، وهو الآن عندك.. هذا ما عرفته ، اذ ان رجال بايزيد اقتنصوا القراصنة،ثم هزمت انت بايزيد واستوليت على كل ممتلكاته .. ومن ثم فلا بد انك تعرف مكان ابنى ، وعليك أن ترده لى ! »**

وضحك كل الحضور ، وقال الملوك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم حكماء : « انها مجنونة ! » ، وحذا حذوهم الأمراء والشيوخ .. وكان « كرمانى » هو الوحيد الذى لم يضحك ، بل راح يرمق المرأة فى وجوم ، بينما كان تيمور لنك يرمقها فى عجب .. ثم تمتم الشاعر فى صوت خافت : « انها مجنونة كأية أم تفتقد ابنها ! » . واذ ذاك قال ملك الملوك ، عدو السلام:

ـ أيتها المرأة ! .. كيف أتيت الى هنا من تلك البلاد التى لا نعرفها ، مجتازة البرارى والبحار ، والجبال والأنهار .. **وكيف قدرت لك النجاة من الناس ـ وهم أكثر ضراوة من الوحوش ـ وكيف استطعت ان تهيمى على وجهك وحيدة ،**

بلا سلاح .. والسلاح هو الصديق الأوحد للمستضعف، وهو الوحيد الذى لا يشى بالمرء طالما كان قادرا على السيطرة عليه!)»

فلنترنم بمديح المرأة ،الأم ، التى لا يعترف حبها بعقبات ، والتى نفذت الدنيا بأسرها على ثديها !.. كل جميل فى الرجل مستمد من اشعة الشمس ومن لبن أمه ، وهذا ما يلهمنا حب الحياة !

وأجابت المرأة : « اننى لم أصادف فى تجوالى سوى بحر واحد .. وكانت فيه كثير من الجزر ومراكب الصيد ، ومن ثم استطعت أن اجتازه . والمرء عندما يبحث عمن يحب ، يجد كل شيء مسخرا لخدمته . وليس اجتياز الأنهار سباحة بالعسير على من ولدت على السواحل ! » .. وهنا قال « كرمانى » : « أما الجبال فانها تستحيل لدى المحب ودیانا ! » .. وقالت المرأة : « ولقد صادفت غابات ، ووحوشا مخيفة .. **ولكن لكل حيوان قلبا ، وقد كنت أتكلم مع هذه الحيوانات كما أتكلم معك ، وكانت تصدقنى عندما كنت أقول لها اننى أم .. وكانت ترثى لى ! .. ألا تعرف أن الوحوش ـ هى الأخرى ـ تحب أطفالها وتصارع من أجل حياتها وحريتها ؟! »**

واستطردت المرأة : « ان الرجال يظلون دائما أطفالا فى انظار امهاتهم ، وكل رجل ابن امرأة ، حتى أنت ، رغم كبر سنك ! .. **ولقد تستطيع أن تنكر الله ، ولكنك لا تستطيع أن** تنكر الأم اطلاقا ! » .. ثم هتفت : « الا رد على ابنى ، فاننى أمه ، وأحبه ! »

الا فلننحن للمرأة ، فهى التى انجبت موسى وعيسى ومحمدا .. لننكس الرؤوس امامها ، تلك التى لا تنى تنجب العظماء للدنيا ! .. كل ماتزدهى به الدنيا فخرا ، يأتى من الامهات !

وغرق مدمر المدن ، الأعرج الجبار ، فى الأفكار .. وبعد صمت طويل ، قال لمن كانوا يحيطون به : « انا تيمور ـ عبد

الله ــ أقول لكم ما ينبغى أن يقال !.. لقد عشت ما عشت ، والدنيا تئن تحت قدمى .. **ومنذ ثلاثين عاما وأنا أعيث فيها فسادا ، انتقاما لموت ابنى ! .. ولقد حاربنى الناس من أجل الممالك والمدن ، ولكن أحدا لم ينازلنى من أجـل انسان ، وما كان للانسان يوما أية قيمة فى نظرى !** .. انا تيمور الذى قال لبايزيد بعد هزيمته : « آه يابا يزيد..ما اظن البلدان والناس شيئا يذكر فى نظر الله ! » .. هكذا قلت له وهو يرسـف فى الأغلال ، وأنا أرقب شقاءه ، وقد بدت لى الحيـاة فى مرارة العلقم ! وها هى ذى امرأة تجلس امامى ، فتوقـظ فى نفسى مشاعر لا قبل لى بهـا . انها تحدثنى كما لو كانت ندا لى ، وليست تسأل ، وانمـا هى تطلب .. **الآن افهم سر قوة هذه المرأة ،فهى تحب ، وقد علمها الحب ان طفلها هو جـذوة الحياة ! »** .. وراح الجبـار يئن اسى اذ تذكر ابنه ، وما لبث أن عاد يقول : « ليذهب ثلاثمائة من الفرسان فى الحال ، الى جميع ارجاء ملكى ، بحثا عن ابن هذه المرأة .. ولسوف تبقى هى هنا ، وسأبقى معها..ويالحظ من يعود وابنها فى ركابه !»

وابتسمت له المرأة ، فقام هـذا الشيخ الجبـار الرهيب ، وانحنى لها فى صمت ، بينما انطلق « كرمانى » ينشد قصيدة فى مديحها كامرأة تحب .. كأم !

• **وهذا** كله صحيح . كل كلمة قيلت هنا صدق .. وان امهاتنا ليعلمن ذلك ، فسلوهن يقلن لـكم : « أجل ، كل هـذا حق منذ الازل ، والى الأبد . . **انـنا معشر الأمهات أقوى من الموت ..نحن اللائى لا نفتأ ننجب للدنيا الحكماء ، والشـعراء والأبطال .. اننا نغـذو الانسان بكل ما يجعله مجيـدا عظيم الشأن ! »**



حصاد النجوم

والآن ، ما قولك فى أن نستأذن ((جوركى)) فى استراحة قصيرة ، تتخلل اقاصيصه ، نترنم فيها بقصيدتين — أو بالأحرى قصتين — من الشعر المنثور ، أترك لك الحكم على جمال المعانى والخواطر التى وردت فيهما ..

اما ((القصة الشعرية)) الاولى منهما فهى للشاعر المعاصر ((هومبيرت وولف)) (١٨٨٥ — ١٩٤٠) .. واليك ترجمتها النثرية :

قالت الأميرة : ((ما هذا الحب الذى عنه تتحدث ؟))
قال : ((الا اطلقى شعرك ! .. انشرى
هذا السلم من حبال الذهب الصاعد الى النجوم ،
يا رابونزيل ! .. أسرعى ، اسرعى !

***

قالت الأميرة : ((انما سلم الحبال للصوص ..
((وما هذا الحب الذى به تقسم ؟
كيف ولد ، وكيف يعامل ؟))
— الا اطلقى يارابونزيل شعرك الذهبى !

***

ارسلى شعرك مسدلا يارابونزيل
— من اين اتيت ايها العاشق الأسمر ؟
— من الباب المكسور لدى الحديقة ،
حيث تميل شجرة الحور ..

***

— وما شأنى بالحديقة
والشجرة الباردة القائمة هناك ؟
اننى أوثر وحدتى ..
— بل اطلقى شعرك مرسلا يارابونزيل

***

ان بين الاشجار الملتفة بالغسق
طائر يعزف على قيثارة حلقه البنى
انغامه من التفاح الفضى ،
ومن فاكهة ذهبية محرمة ..
ـ تفاح وطائر بنى يغنى
ما شأنى انا بهذا ؟
ـ .. وهناك البيت الخفيض يارابونزيل

***

والنوافذ المفتوحة ذات الشبكات الحديدية
ـ الا ما اسمك ؟
ـ اسمى يارابونزيل .. ((حلم فى الغسق))
وسكينة ، وتحقيق
لكل ما يطلبه الفؤاد

***

ـ انني خائفة !
ـ بل ارسلى شعرك الذهبى يارابونزيل
فليس للحب ولا للموت اجنحة
وليس ثمة سبيل اخرى للرقى اليك !

أنا وحبيبتى ((أنابيل لى))

اما القصة الشعرية الثانية التى انتقيتها لك ، فهى للشاعر والقصصى الامريكى المعروف ((ادجار ألان بو)) .. وفيما يلى ترجمتها النثرية :

منذ سنوات عديدة ، عديدة ،
وفى مملكة بجوار البحر
عاشت عذراء ربما كنتم تعرفونها
باسم ((انابيل لى))

عاشت ولم يكن يشغلها
سوى ان تحبنى ، وان تنعم بحبى
كنت طفلا ، وكانت طفلة ..
فى هذه المملكة المجاورة للبحر
ولكنا تحاببنا ، حبا يفوق الحب ذاته ..
تحاببنا ، انا و ((انابيل لى))
بغرام جعل ملائكة السماء المجنحة
تحسدنا .. هى وانا

* * *

وهذا هو السبب فى انه ، منذ عهد بعيد
فى هذه المملكة المجاورة للبحر
هبت ريح صرصر من سحابة
صعقت حبيبتى الجميلة .. انابيل لى !
فأقبل علية قومها ..
ونقلوها بعيدا عنى
ليودعوها ضريحا ..

* * *

فى هذه المملكة المجاورة للبحر
والملائكة الذين لم يبلغوا نصف سعادتنا فى السماء ،
ظلوا يحسدوننا ، هى وأنا
أجل ! .. كان هذا هو السبب ، كما يعرف كل الناس
فى المملكة المجاورة للبحر
فقد هبت الريح من سحابة ، ذات ليلة ،
فصعقت حبيبتى .. انابيل لى !
ولكن حبنا كان أقوى كثيرا من حب
اولئك الذين كانوا اكبر منا سنا
ومن حب كثيرين ممن كانوا اعقل منا ..
فليس بوسع الملائكة فى السماء العالية ،

ولا الجن فى قاع البحر ..
ان يفصلوا روحى عن روح
الجميلة .. انابيل لى !
فما عاد القمر يشرق قط الا ويجلب لى احلاما
عن الجميلة .. انابيل لى
وما بزغت النجوم قط الا وتمثلت العينين اللامعتين ،
عينى الجميلة .. انابيل لى
ومن ثم فاننى طيلة الليل أرقد بالقرب من
حبيبتى ، حياتى ، وعروسى
فى الضريح الجاثم على حافة الماء ،
فى القبر القائم بجوار البحر الهادر !

العبقرية ، والسعادة الزوجية .. ضدان !

فاذا أفقنا من هذه الاغفاءة القصصية ((الشعرية)) ، تعال نعش فى جو اقاصيص اخرى واقعية ، تاريخية ، فنلم بها مجرد المامة خاطفة ــ لا يتسع المقام اليوم لأكثر منها ــ على ان نخوض فى تفصيلاتها فى فرصة أخرى قريبة باذن الله . وقبل ان نتعرض لموضوعها ، دعنى ألقى عليك هذا السؤال :

• **لو خيرت** بين السعادة الزوجية ، وبين الشهرة والعبقرية .. فأيهما تختار ؟

قد تقول : **وهل حرام أن يجتمع الاثنان فى انسان ؟.. وما وجه التنافر بينهما ؟**

ولن أدخل هنا فى بحث أوجه التنافر بين عقلية « المرأة » وعقلية « العبقرى » .. ربما لأن هذا موضوع «يطول شرحه» .. وربما لأن تنافر الأضداد أمر بديهى ، لايحتاج الى ايضاح! .. وانما الذى أثار هذا الخاطر فى ذهنى كتاب صدر حديثا

بالانجليزية عنوانه « الحب الخالد » ، يتناول الحياة الخاصة للرئيس الأمريكى محرر العبيد « ابراهام لنكولن » . **ومعروف ان لنكولن كان واحدا من العظماء الذين منوا بحياة زوجية تعسة ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من العظماء والعباقرة امثاله ، ومنهم ((تولستوى))** ، الذى فر من جحيمه البيتى بعد أن جاوز الثمانين ، فأصيب أثناء فراره بالتهاب رئوى قضى عليه ، فى كشك خشبى متواضع بمحطة صغيرة شبه مهجورة ، من محطات السكة الحديد !

و **((ديكنز))** .. كانت زوجته امرأة شرسة مشاكسة ، أحالت حياته البيتية جحيما أرضيا .. فأغرق همه فى العمل، وانهمك فيه الى حد الافراط الذى لم يلبث أن قضى عليه ، فى سن السابعة والخمسين !

و **((هوجو))** .. خانته زوجته « أديل » التى كتب اليها أثناء غرامهما العنيف سلسلة رسائله المشهورة « رسائل الى خطيبتى » .. خانته وهو فى أوج شبابه وجماله ومجده .. ومع من ؟ مع صديقه الغادر القبيح الخلقة « سانت بيف » !

وقديما كان شقاء **((سقراط))** مع زوجته الحمقاء التى كانت تقذفه بدلو الماء القذر كلما طالت مناقشاته الفلسفية مع حوارييه .. كان هذا الشقاء مضرب الأمثال فى الخلافات بين العبقرى الذى يعيش فى برجه العاجى ، وزوجته التى لا تفهم رسالته السامية ، ولا تعنى بغير تفاهات الحياة المادية !

وغير هؤلاء ، عشرات من العباقرة الذين دفعوا ضريبة الشهرة والمجد من هنائهم البيتى وسعادتهم الزوجية.. ولنعد الى « لنكولن » ، فقد كان المعروف مما كتب عنه فى الماضى انه كان الضحية ، وزوجته كانت المتجنية . **لكن هذا الكتاب يميل الى انصاف الزوجة بعض الشىء ، فينسب اليها جانبا**

من الفضل في دفع زوجها نحو القمة ، والأخذ بيده في طريق الكفاح الشاق الوعر ، منذ كان محاميا فاشلا مغمورا ، حتى دخل « البيت الأبيض » رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة الامريكية ! .. وان لم يعف الكتاب مدام لنكولن من مسئولية تنغيص حياة زوجها في كثير من الأمور والسفاسف التي يجسمها خيال المرأة فيخلق منها أسبابا خطيرة للخلاف مع الزوج !

وأرجو أن أقدم لك تلخيصا مطولا لهذا الكتاب الشائق في عدد قريب .

الآنسة « جيكل » .. والغانية « هايد » !

وبعد هذه الأقاصيص الشعرية ، والواقعية ، فلتشاهد معي هذه القصة السينمائية ، والنفسية :

• **هل** تذكر فيلم « دكتور جيكل ومستر هايد » ، المقتبس عن قصة الكاتب الانجليزي « روبرت لويس ستيفنسون » ، التي تصور رجلا كانت تتنازعه شخصيتان : شخصية الطبيب النبيل ذي الخلق الانساني ، وشخصية المجرم المتوحش الذي تخضبت يداه بالدماء ؟ .. وهل تذكر كيف كانت تتوالى على الرجل نوبات تبدل الشخصية ، فيتحول من هذه الى تلك ، وبالعكس ، دون أن يشعر في أي من الحالين بما كان يرتكبه حين تتقمصه الشخصية الأخرى ؟

ثم هل تذكر الفيلم الآخر الرائع الذي بنى مجد الممثل السينمائي المعروف « ستيوارت جرينجر » ، وأعني به فيلم « سيدة حانة الأقمار السبعة » ، **وكيف بدأت مأساة بطلته وهي على عتبة المراهقة ، حين كانت تعدو في حقول قصر ابيها الشاسعة ، فهاجمها في الطريق وحش آدمي اعتدى عليها بصورة منكرة ، خلفت في نفسية التعسة عقدة مروعة اصابتها**

بمرض ((ازدواج الشخصية)) ، فاذا هى بعد زواجها تغدو ذات شخصيتين تتناوبان السيطرة عليها : شخصية الزوجة الدمثة العفيفة ، الوفية لزوجها .. وشخصية المرأة التى يتقمصها شيطان التهتك والفجور ، **فاذا هى حين تتبدل شخصيتها تهب من فراشها نشوانة فترتدى زى الغجرية ، وتجلس أمام المرآة كى تضع فى أذنيها القرطين الطويلين وتصبغ اجفانها ووجنتيها بأصباغ الغوانى الفجر ، ثم تتسلل من مخدعها الى حى من أحياء الطبقة الفقيرة حيث تلهو مع رسام شاب من ذوى الطباع البوهمية** .. وتعيش معه فى حجرته المتواضعة وبيئته الوضيعة أياما ، وهى تجهل كل شىء عن شخصيتها الأخرى ، واسمها الحقيقى ، واسم زوجها ، والقصر الذى تعيش فيه .. بينما يظل زوجها التعس يقلب المدينة بحثا عن زوجته المختفية ، دون جدوى .. حتى تعود المسكينة الى شخصيتها الأولى ذات يوم ، فتعود الى بيئتها الأولى ، وهى تجهل كل ما فعلته أو رأته خلال مغامراتها العجيبة .. بل تجهل أنها غابت عن زوجها وقصرها أياما !

تلك كانت قصة ((سيدة حانة الأقمار السبعة)) ، ومن قبلها قصة ((دكتور جيكل ومستر هايد)) .. **أما القصة السينمائية الجديدة التى حذت حذوهما فقد عرضت فى الأسبوع الماضى فى القاهرة ، وعنوانها ((ليزى))** .. وهى تصور لنا مأساة الشابة الوادعة المنطوية على نفسها ((اليزابث)) ، التى تعمل فى أحد متاحف الأحياء المائية بأمريكا ، وتسخر منها زميلاتها لنفورها من الاختلاط بالناس وشكواها الدائمة من الصداع الذى ينتابها وينغص عليها حياتها .. كما يشكو منها زملاؤها لفرارها من أى مجتمع تلتقى فيه بهم ، أو — بعبارة أخرى — لفرارها من الحب !

وتعود الموظفة ((الغلبانة)) الى بيتها ، حيث تعيش مع خالتها ، وتأوى الى مخدعها فترتمى على فراشها تبكى حظها

التعس ، ونفسيتها المريضة . . ثم تنهض لتجلس أمام المرآة ، **وفجأة يتقمصها الشيطان** ، فاذا هى تنقلب من فتاة وادعة ساهمة النظرات ، الى غانية لعوب تعمل فى وجهها الأصباغ الصارخة وتصفف شعرها على طريقة نساء الطريق ! . . ثم تنطلق متسللة — على طريقة سيدة الأقمار السبعة — الى حانات الليل الرخيصة ، **تتبذل وتشرب الخمر بافراط ، وترقص فى تهتك ، وتجالس الشباب الباحث عن اللذات . . وفجأة تخرج من حقيبتها ورقة وقلما كى تكتب الى الموظفة الوادعة — شخصيتها الأخرى — خطاب تهديد بالقتل ، دون ذكر الأسباب ، وتوقعه بامضاء « ليزى » المجهولة !**

. . فاذا انتهت سهرتها الصاخبة ، عادت قبيل الفجر الى بيتها كى تنام ساعة أو ساعتين ، ثم تنهض والصداع يفتت رأسها لترتدى ثياب العمل وتنطلق مهمومة الى متحفها . . وهناك تفتح حقيبة يدها فاذا هى تعثر بخطاب التهديد بالقتل — الذى تجهل كل شىء عنه أو عن كاتبته ! — فترتعد خوفا وتبلغ زميلاتها وتبكى حظها التعس وأجلها المهدد بالانتهاء بين ساعة وأخرى !

وتتكرر القصة كل يوم ، وكل ليلة . . وكل شخصية من الاثنين تجهل كل شىء عما تفعله الأخرى ، بل تجهل وجود الأخرى ! . . حتى تقيض الأقدار للفتاة طبيبا نفسانيا ينومها مغناطيسيا ، ويعالجها بالتحليل والايحاء ، حتى يكشف النقاب تدريجيا عن العقد النفسية التى أصابتها بازدواج الشخصية ، فاذا هى قد نتجت كلها من احداث وقعت فى يفاعتها ، وهى على عتبة المراهقة : **فقد كان لأمها عشيق ، وكان العاشقان يضيقان بوجودها وتعكيرها عليهما صفو حبهما . وفى يوم عيد ميلاد الابنة تشعل الصبية الشماع فى كعكة العيد ، وتنتظر حضور أمها . . لكن هذه لا تأتى الا بعد انتصاف الليل ، تدخل مع عشيقها مخمورة وقد نسيت كل شىء عن عيد ابنتها !**

.. فتثور ثائرة الابنة ، وتهز أمها مؤنبة فى عنف .. فتسقط الأم فاقدة الحياة ، من تأثير مرضها بالقلب !

وتصدم الابنة . تتوهم انها قتلت أمها . ثم يضاعف صدمتها ان عشيق أمها يصادفها جالسة على السلم وهو هابط من مخدع الميتة ، فيغريه شيطانه بان يطاردها الى مخدعها .. ويسلبها عفتها .. فتكتمل المأساة !

واذ يتوصل الطبيب النفسانى الى اكتشاف مصدر الداء ، وشرحه للمريضة ، تنحل العقد النفسية التى دمرت حياتها ، ويشرق على الفتاة فجر عهد جديد ، سعيد !

الثأر !



وبعد هذه الاستراحة القصيرة ، الشعرية والنفسية ، تعال نستأنف قراءة اقاصيص جوركى عن ايطاليا .. بادئين بهذه الاقصوصة ((الفائرة)) عن الثأر للشرف ، والانتقام للعرض ، فى مناطق ايطاليا الجنوبية - أو فى ((صعيد)) ايطاليا - وكأنى بهذه القصة قد كتبت فى تصوير عقلية الثأر للشرف فى مديرية (قنا) بصعيد مصر !

• **عندما** يعز على المرء ان يجد لقمة العيش على الأرض التى اختلطت تربتها برفات اجداده ، فانه قد يضطر ـ تحت ضغط الحاجة ـ الى ان يهجر مسقط رأسه ، وان يرحل الى امريكا الجنوبية !.. **ولكن نبيذ الأرض الأجنبية يبعث المرارة فى حلقه، وبدلا من أن يهيج فؤاده فانه يملأه حنينا وتململا ،** واذا قلبه ـ وقد انتزع من صدر الوطن ـ يمتص مسلك السوء والفساد ، كما يمتص الاسفنج الماء !

وشباننا ـ فى شبه جزيرة (كلابريا) ـ يتزوجون قبل ان يبرحوا الوطن ويعبرون المحيط . وربما صدروا فى ذلك عن اعتقاد بأن حبهم للمرأة قد يعزز حبهم لبلادهم ، **لأن للمرأة ـ فى عينى الرجل ـ ما للوطن من جاذبيـة ، وليس من شىء يقى الرجل فى الغربة اكثر من الحب الصادق الذى ينـاديه للعودة الى وطنه والى صدر حبيبته !.. بيد ان هذه الزيجات ـ التى يظلهـا الفقر والفرقة ـ تكون غالبا مقدمات لمـآسى أليمة ،** من انتقـام واراقة دماء ، كما حـدث ـ منذ عهـد غير بعيد ـ فى (سنيركيا) ، وهى قرية فى جبال (ابنين) :

فمنذ خمس سنوات ، كانت تعيش فى قرية (ساراشينا) ـ فى أعالى الجبال ـ شابة جميلة تدعى « ايميليا براكو » . وكان زوجها قد رحل الى امريكا، فأقامت معابويه !.. وكانت قوية، موفورة الصحة ، قديرة على العمل ، أوتيت صوتا عذبا وطباعا مرحة . وكانت تميـل الى المزاح ، والى الاعتزاز بجمالهـا ، **فتثير الصبابات فى قلوب فتيان القرية وعمال الغابات . ولكنها كانت تصون شرفها ببراءة . ومع ان ضحكهـا المرح كان يثير الآمال فى القلوب ، الا ان احـدا لم يستطع ان يباهى بأنه قـد ظفر بها !**

***

• **وليس** فى الدنيا من يعانى لوعات الحسد ، قدر الشيطان والمرأة العجوز ! وكانت ايميليا تقيم مع حماتها ، فكانت هـذه

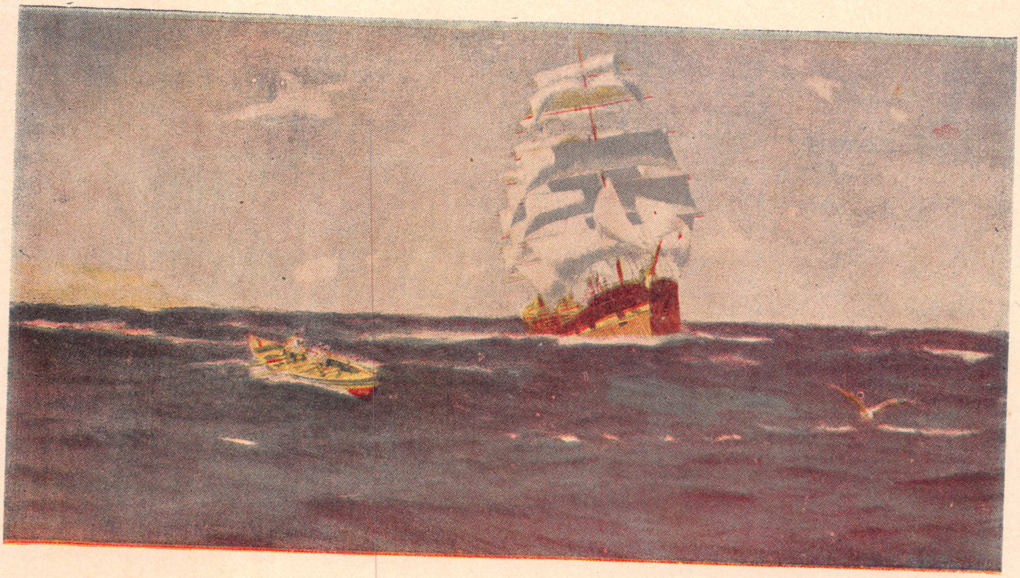
تقول لها : « انك تسرفين فى مرحك فى غياب زوجك .. لسوف اكتب له عن ذلك ! .. الا احذرى ، فاننى ارقب كل خطوة تقدمين عليها . تذكرى ان عرضك من عرضنا ! » .. فكانت ايميليا تطمئنها فى هدوء الى انها تحب زوجها ، ولا ترى فى مسلكها ما تلام عليه . ولكن العجوز واصلت اهانة زوجة ابنها، بشكوكها القبيحة، واوغلت فراحت تنشر الشائعات عن «تهتك» الزوجة الشابة التى غاب زوجها !

وانزعجت ايميليا ، وراحت تتوسل الى العجوز ان لاتدمر حياتها بشائعات السوء .. **بيد ان الحماة لم تشأ ان تصدق ان الشابة كانت وفية لزوجها ! وذات يوم قالت لها : « لقد كتبت اليه كى يأتى ويثأر لشرفه ! »** .. ورجالنا يضارعون العرب غيرة ، لذلك ادركت ايميليا ما كان ينتظرها اذا ما عاد زوجها .. فلما خرجت حماتها الى الغابة لتجمع الحطب — فى الصباح التالى — تبعتها وقد أخفت فأسا بين طيات ثيابها !

وذهبت بعد ذلك الى احد شرطة الجبال، **فأنبأته بأنها قتلت حماتها، وأردفت : « لخير لى ان اكون قاتلة ، من ان اعتبر زانية وأنا بريئة ! »** .. وكانت محاكمتها مبعث فخر لها ، فقد ذهب أهل (سنيركيا) عن بكرة أبيهم — تقريبا — ليشهدوا فى صالحها، وقال كثيرون منهم للقاضى ، بعيون مغرورقة : « انها بريئة ، وقد شوهت حياتها ظلما ! »

ولم يجرؤ أحد سوى الاسقف كوتسى ، على ان يرفع صوتا ضد المرأة التعسة ! فلقد أبى الأسقف ان يؤمن ببراءتها، وتحدث عن الحاجة الى احياء التقاليد القديمة ! **وربما كان موقفه هو الذى أدى الى الحكم على ايميليا بالسجن لأربع سنوات !**

• **وكان** دوناتو جارناتشيا — صديق زوج ايميليا — **قد** هاجر مثله ، تاركا زوجته الشابة فى حزن واسى . وما لبث دوناتو ان تلقى — منذ ثلاث سنوات — رسالة من أمه تنبئه بأن زوجته «تيريزا» قد منحت نفسها لأبيه وأصبحت تعاشره



حول رأس الرجاء الصالح (لوحة للرسام الانجليزى « توماس جاك سومرسكيل » (١٨٤٢ - ١٩٢٨) ،
معروضة بمتحف (تيت) بلندن)

.. وهكذا تحالفت العجوز الأخرى والشيطان !

واسرع « جارناتشيا » بالعودة ، على غير توقع ، وكأنه هبط من السماء .. ودهشت زوجته وابوه ، ولكنه كان شابا صلب الرأس ، فأراد ان يتحقق اولا من صدق ما بلغه، اذ كان قد سمع بمأساة ايميليا . **ومن ثم احسن معاملة زوجته ، وقضيا معا شهر عسل هانىء جديد .. وحاولت أمه ان تسكب سمومها فى اذنيه ، ولكنه اسكتها قائلا : « كفى !.. سأتثبت بنفسى ! »**

وانقضى نصف الصيف تقريبا فى سلام وطمأنينة ، وكان فى الوسع ان يمضى العمر كله على هذه الوتيرة، لولا ان والد الزوج انتهز فرصة تغيب ابنه عن الدار ـ فى فترات قصيرة ـ ليجدد مغازلاته لزوجته !.. ولكنها راحت تصده ، فأثارت غيظه ، حتى عقد عزمه على الانتقام منها ، وهددها قائلا : « لسوف تهلكين ! » ، فأجابته : « وانت كذلك ! »

وفى اليوم التالى ، قال الاب لابنه : **« اتعلم ان زوجتك لم تكن وفية لك ؟ »** . فشحب وجه الشاب ، وحدق فى عينى ابيه وقال له : **« وما برهانك ؟ »** . فأجاب الشيخ : **« لقد انبأنى اولئك الذين نعموا بها ، بأن فى اسفل بطنها « وحمة » .. فهل صدقوا ؟ »**

ـ حسنا ، ما دمت تقول يا أبت بأنها مذنبة ، فلا بد لها من ان تموت !

ـ اجل !.. ان الفاجرات يجب ان يقتلن !

فأجاب دوناتو : « وكذلك الفاجرون ! » . . وذهب الى زوجته، فأمسك بكتفيها وقال : «أعرف انك لم تكونى وفية لى، فبحق الحب الذى تبادلناه قبل ذلك وبعده ، أنبئينى باسم زميلك ! » .. فصاحت: « ليس بوسع أحد سوى أبيك اللعين، ان ينبئك بهذا ، لأنه الوحيد ! » . فتصاعد الدم الى عينى الشاب ، بينما استطردت الشابة تقول : « لقد نالنى غصبا ،

وبالتهديد. ولكن . . انصت الى الحقيقة كلها !. . لقد ضاجعنى حوالى ثلاثين او اربعين مرة ! »

واندفع دوناتو الى بندقيته فحملها وهرع الى الحقل فقتل اباه ، وبصق على جثته ، وهشم رأسه - وقيل انه رقص على الجثة رقصة الثأر ! - ثم عاد الى زوجته ، وطلب اليها ان تصلى قبل ان يقتلها ، فشرعت تبكى وتتوسل اليه ، ولكنه أرداها كما يردى عصفورا ، ثم اسلم نفسه للسلطات ، فحياه القوم فى الطرقات قائلين : « لقد فعلت ما يفعله كل شريف يادوناتو ! »

وعندما حوكم ، دافع عن نفسه فى حرارة ولباقة ، قائلا : « اننى أتزوج من امرأة ، ليثمر حبنا طفلا . . والرجل حين يحب ، لايعود لأبيه أو أمه وجود لديه ، بل يغدو الحب هو كل وجوده ! »

وبرأ المحلفون ساحته وسط عاصفة من تصفيق القوم ، فعاد الى القرية وكأنه بطل مظفر ، حقق تقاليد قومه القديمة ، واراق الدم انتقاما لشرفه المهدور !

***

• **وبعد** اطلاق سراح دوناتو بوقت قصير ، اطلقت ايميليا من سجنها . وكان فصل الشتاء قد حل ، وارتدت الطبيعة لباس الحزن . . واقترب عيد ميلاد المسيح، وهو العيد الذى تهفو فيه قلوب الرجال الى ان يكونوا مع قريناتهم . ولكن كلا من ايميليا ودوناتو كان وحيدا، اذ كانت سمعتهما تنفر الناس منهما . . **فان القاتل - مهما يكن - يظل فى اعين القوم قاتلا ! كانت يدا كل منهما مخضبتين بالدماء ، وقلبه كسيرا ، وقد عانى كل منهما مرارة المحاكمة ، لذلك لم يكن من الغريب ان يميل كل منهما الى الآخر ويسعى الى تبديد ظلمات حياته المنهارة ، سيما وقد كان كل منهما شابا ، يتوق الى الحب والحنان . .**

ومن ثم قررا ان يرحلا الى الخارج بمجرد ان يوفقا الى ادخار نفقات الرحلة ، فلعلهما يوفقان الى السعادة هناك . ولكنهما كانا يعيشان بين قوم يمجدون الانتقام من اجل الشرف، ويغفرون لمن يقتل فى سبيل عرضه ، وان كانوا لايرضون للمنتقم ان يسعد فوق الدماء التى اراقها !.. وهكذا سرعان ما تطايرت اقاويلهم ، حتى بلغت اذنى « سيرافينا أماتو » ، أم ايميليا ، وكانت امرأة قوية ، ذات عزة وكبرياء ، وقد ظلت جميلة رغم انها حرمت من الحياة خمسين عاما .. فما لبثت ان جاءت من القرية التى كانت تقيم بها ، وقالت لابنتها : **« لقد بدأ الناس يتقولون عليك ، ولست اريد ان اسمع مثل هذه الأمور عنك .. ان ما فعلته فى الماضى كان عمل امرأة نقية شريفة ، رغم ما اريق من دم .. ومن ثم فمن الواجب ان يظل عملك درسا للجميع ! »**

وشرعت ابنتها فى البكاء ، وهى تقول : **« لقد خلقت الدنيا من اجل الانسان ، ولكن .. ما قيمة الانسان اذا عجز عن ان يعيش لنفسه ؟ »**

وانصرفت الأم الى دوناتو ، فقالت له منذرة : « دع ابنتى وشأنها ، والا فسوف تقضى عمرك محسورا ! » . . فهتف الشاب فى ضراعة : « اننى احبها بكل قلبى، وانها لتعسة مثلى، فاسمحى لى ان اصطحبها الى بلد آخر ! » .. ولكنها صاحت فى غضب : « اتريد ان تفر معها ؟ .. لا ، لن يكون هذا ! » .. وافترقا وهما يتراشقان بنظرات حافلة بالعداء . ومنذ ذلك الحين تربصت «سيرافينا» للعاشقين ، ولكن هذا لم يحل دون ان يتقابلا فى الليل .. فان الحب فى مثل دهاء الحيوان وذكائه!

على ان «سيرافينا» سمعتهما مرة وهما يدبران خطة للفرار، فاعتزمت — فى تلك اللحظة المشئومة — أمرا فظيعا . **وعندما اجتمع القوم — فى الكنيسة — فى يوم الأحد ، واقبل العاشقان ليدعوا العذراء ان تساعدهما ، جاءت « سيرافينا » فى مؤخرة**

الناس اجمعين ، وقد خبأت فأسا بين طيات ثيابها .. وراحت تصلي بحرارة ، وهى تزحف خلسة مقتربة من حيث ركع عشيق ابنتها ، ثم انهالت على رأسه بضربتين شجتاه ! ..
واذ ذاك تملك الذعر المصلين ، فاندفعوا الى الخارج صارخين ، وهوى كثيرون منهم وقد استولى عليهم الاغماء، وراح كثيرون يبكون كالأطفال. ولكن سيرافينا ظلت واقفة على جثة دوناتو، بجوار ابنتها التى فقدت رشدها ، والفأس مرفوعة فى يدها.. حتى اذا استرد القوم جأشهم ، وتغلبوا على المفاجأة فأمسكوا بها ، شرعت تصلى بصوت عال ، وهى ترفع عينيها الى السماء فى فرح وحشى : « اننى اشكرك ايها القديس ميخائيل ، فأنت الذى وهبتنى قوة الثأر لعرض ابنتى ! »

واذ علمت ان الشاب لم يمت ، وان جراحه الفظيعة قد ضمدت،تملكتها رجفة مروعة، وراحت تجيل عينيها المذعورتين وكأنها مجنونة ، وهى تصيح : **« لا ، لا .. اننى اؤمن بالله !.. لابد لهذا الرجل من ان يموت !.. لقد أصبته بجرحين مميتين .. ان الله عادل ، ولا بد لهذا الرجل من ان يموت ! »**

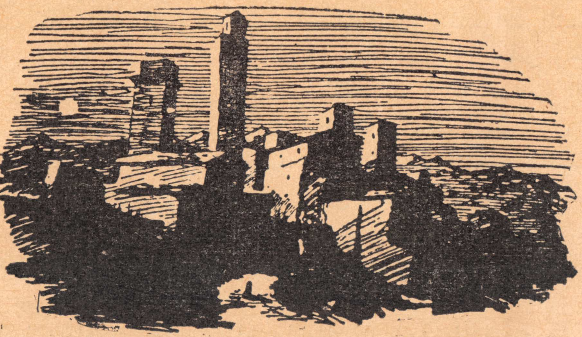
***

• **ولن** تلبث المرأة ان تمثل امام القضاء عما قريب ، لتتلقى جزاء قاسيا .. ولكن ، ما قيمة اى عقاب لشخص يؤمن بأن من حقه ان يفرض العنف على الغير ؟ .. وهل يلين الحديد مهما اسرفنا فى طرقه ؟ !



وفى النهاية ، لا بد لنا من القول بان الانسان ينبغى ان يعيش ـ وينمو ، ويتكاثر ـ حيث خلقه الله . وحيث يحظى بالحب من الأرض التى ولد عليها .. ومن امرأة !

أم الخائن !



.. وبعد هذه القصة الحافلة بصور الثأر للشرف ، تعال نختم مختاراتنا من أقاصيص جوركى « الايطالية » بقصة اخيرة حافلة بصور الثأر للوطن .. وهى قصة تسمو – رغم صغرها – الى مرتبة أروع مآسى الوطنية الاغريقية !

• **ظلت** قوات العدو تحاصر المدينة عدة اسابيع ، وتفرض عليها حلقة فولاذية منيعة .. وكانت النيران توقد فى الليل ، فيتطاول لهبها الى الظلام الداكن فوق اسوار المدينة ، وكأنه عيون حمراء تتجسس !.. وكان القوم يرون – خلال الاسوار – كيف كانت حلقات العدو تزداد اقترابا واحكاما ، ويرون الاشباح المعتمة تحوم حول النيران ، ويسمعون صهيل الجياد ، وصليل الأسلحة ، وضحكات الجنود الواثقين من النصر !.. **وكان العدو قد ألقى بجثث الموتى فى جميع الجداول التى كانت تمد المدينة بالماء ، واحرق الكروم المحيطة بالأسوار ، واتلف الحقول ، واجتث الاشجار . فأصبحت المدينة مكشوفة من جميع النواحى ، وأصبحت المدافع والبنادق تصليها كل يوم – تقريبا – بالحديد والنار !**

وكانت فصائل الجنود الذين ارهقهم القتال وبرح بهم الجوع ، تطوف بطرقات المدينة الضيقة .. ومن وراء نوافذ البيوت كان انين الجرحى وصراخ المعذبين وصلوات النساء وعويل الأطفال تتعالى .. والقوم يتهامسون فى حذر وخوف .. وكانت الليالى هى اسوأ الأوقات ، اذ كانت الأنات والصيحات تبدو أوضح واكثر ارتفاعا وسط السكون .. ويئس اهل المدينة من النجدة ، وأوهنهم التعب والجوع ، وكانوا يقضون الليالى يرقبون ـ فى جزع ـ طلوع القمر ، ويتطلعون الى حواف الجبال، والى معسكرات العدو الصاخب .. كان كل شيء يحدثهم بالموت ، وما من نجمة واحدة توحى اليهم بعزاء أو مواساة !

كانوا يخافون حتى من اضواء المصابيح فى المنازل، فشملت الطرقات ظلمة دامسة. وفى غمرة بحار الظلام، كان ثمة شبح يتحرك كأنه سمكة فى اعماق الانهار.. شبح امرأة كان السواد يجللها من رأسها الى قدمها ، وقد أخذت تتحرك دون ان تحدث صوتا .. **وما ان لمحها القوم حتى تهامسوا : « أهذه هى ؟ » .. « لابد انها هى ! » .. وانسحبوا الى ما وراء الأبواب ، أو غذوا الخطى ـ وهم يمرون بجوارها ـ وقد نكسوا رؤوسهم .. وأخذ رؤساء نوبات الحراسة يصيحون بها فى جفاء : « هل خرجت مرة اخرى يامونا ماريانا ؟.. احذرى ، والا قتلت دون أن يحفل امرىء بك ! »**

***

وكانت تعتدل وتقف فى انتظار ، فيمر بها الحراس دون ان يجسروا على ان يمدوا ايديهم اليها ، أو لعلهم كانوا يحتقرونها .. وما ان تجد نفسها وحيدة فى الظلام ، حتى تعاود تجوالها من شارع الى آخر ، دون ان يكون لخطاها صوت ! كانت كمواطنة وأم تفكر فى وطنها وابنها ، فقد كان

ابنها المرح ، الجميل ، القاسى القلب ، على رأس اولئك الذين كانوا يدمرون المدينة ، فيا للعار !.. ومع ذلك فقد كانت ــ منذ عهد جد قريب ــ تتطلع اليه باعتزاز وكأنه منحة غالية لوطنها ، أو قوة مباركة تقدمها لمعونة قومها ومدينتها.. كان قلبها يرتبط ــ بخيوط خفية ــ بتلك الاحجار القديمة التى اقام اجدادها منها دورهم وبنوا بها أسوار المدينة.. وبالأرض التى ضمت رفات أهلها.. وها هوذا القلب يفقد أحد الاعزاء، ويبكى من أجله

• **وكانت** تقارن ــ فى اعماق صدرها ــ بين حبها لولدها وحبها لمسقط رأسها، ولكنها لم تستطع ان تدرك أيهما يرجح الآخر ، ومن ثم راحت تهيم خلال الطرقات ، فكان الذين لايعرفونها يجفلون منها، ظنا منهم انها شبح الموت الأسود.. اما الذين كانوا يعرفونها ، فقد اعتادوا ان يشيحوا عنها فى صمت .. فقد كانت أم الخائن !

وفى احدى الليالى ، رأت تحت اسوار المدينة ــ فى ركن قصى ــ امرأة اخرى تجثو الى جوار جثة .. وكانت المرأة تصلى ، وتتطلع بوجهها الى النجوم .. وعلى الاسوار ، كان العسس يتكلمون بأصوات خافتة، وأسلحتهم تحتك بالأحجار .. فسألت أم الخائن تلك المرأة : «أهو زوجك؟» .. وأجابت الأخرى : « لا ، بل هو ابنى .. لقد قتل زوجى منذ ثلاثة عشر يوما ، وها هوذا ابنى يقتل اليوم ! » .. ونهضت قائمة وهى تقول: «الحمد للعذراء! »، فسألتها ام الخائن : «ولماذا ؟»

لانه مات ميتة مشرفة ، وهو يحارب من اجل بلده .. لقد كنت أخشى ان يخون مدينته ، كما فعل ابن ماريانا، عدو الله والناس .. لعنة الله على الاحشاء التى حملته !

وغطت ماريانا وجهها بيديها ، وانصرفت . . حتى اذا كان الصباح التالى ، ذهبت الى المدافعين عن المدينة ، وقالت لهم: « لقد أصبح ابنى عدوا لكم ، فاما ان تقتلونى ، أو تفتحوا لى

الأبواب كى أذهب اليه ! » .. فقالوا لها : « انك من البشر ، ولا بد ان وطنك عزيز عليك .. لقد أصبح ابنك عدوا لك كما هو عدو لكل منا ! » . فقالت : « ولكنى أمه ، وأشعر اننى الملومة على ما صار اليه ! » .. وتشاوروا فيما بينهم ثم قالوا : **« لن يكون من المشرف ان نقتلك بذنوب ابنك .. واننا لندرك أساك ولوعتك، ولكن المدينة ليست بحاجة اليك، ولو كرهينة، اذ ان ابنك لايحفل بك، وما نظنه الا قدنسيك، فهو خسيس .. وهذا هو عقابك ان كنت تظنين انك تستحقين العقاب .. وانا لنعتقد انه أفظع من الموت ! »**

وهكذا فتحوا لها الابواب، وراقبوها فترة وهى ترحل عن مسقط رأسها !.. وسارت وئيدا ، اذ كانت قدماها تأبيان ان تبارحا ارض الوطن !.. ورآها مراقبوها ــ عندما ابتعدت مسافة طويلة ــ تخلع قلنسوتها ، وتلتفت فترمق مدينتها طويلا .. ومن معسكر الأعداء ، رآها الجنود تقترب فى حذر، وحيدة ، فخفوا اليها، وسألوها عما تريد، فقالت : « ان ابنى هو قائدكم ! » . ولم يرتابوا فى قولها ، بل راحوا يتغنوا بمديحه ، حتى ايقظوا زهوها !

***

• **وأخيرا** ، مثلت امامه .. امام ذلك الذى حملته تسعة أشهر ، والذى لم يبارح طيفه قلبها قط ! . وكان يتقلب فى ثراء ونعيم ، فقال وهو يقبل يديها : « أماه ! .. ها أنتذى معى، وغدا استولى على المدينة اللعينة! » . **فهتفت : «المدينة التى ولدت على ارضها !.. حيث كل حجر يعرفك ويذكرك!»** .. فصاح : « لقد ولدت فى الدنيا ، وما أبقيت على هذه المدينة حتى اليوم الا من اجلك .. ولكنى فى الغد سأهدم وكر الحمقى ! »

ــ ان البطل هو الذى يخلق الحياة رغم الموت ..

ــ بل ان المدمر لايقل عن المشيد مجدا !

وهكذا ظلا يتكلمان حتى غربت الشمس.. وكانت الأم ــ كلما مضى الوقت ــ تلوذ بالصمت وتزداد اطراقا، **فان الأمهات يخلقن ، ويرعين ، ومن ثم فان حديث ابنها عن الهدم كان تحديا للأمومة .. ولكنه لم يكن يدرى ! .** . والأم تعارض الموت دائما، ولكن الابن لم يفطن الى ذلك، لان وميض المجد كان قد أعمى بصيرته، بل أمات قلبه !.. كذلك لم يدر بخلده ان من الممكن لأمه ان تصبح جريئة قوية ، اذا ما كان الأمر يتعلق بالحياة التى ولدتها وتولتها بالرعاية .. **لذلك ظلت منكسة الرأس ، ترمق ــ خلال باب الخيمة ــ المدينة التى احست فيها بأولى نبضات الحياة تدب فى احشائها ، وبآلام المخاض وهى تضع هذا الولد المتعطش الآن لتدمير وطنها !**

وكانت فلول أشعة الشمس الغاربة تلقى وهجا قرمزيا على المدينة ، فتبديها ككتلة من الجراح.. ثم لم تلبث ــ وقد اكتمل الغروب ــ ان استحالت الى كتلة سوداء كأنها جثمان ميت ، ولاحت النجوم كشموع الجنازة !

وسمعت ابنها يقول وهو يتحسس سيفه : « قد نهجم الليلة ، اذا اشتدت الظلمة ! » . فقالت له : **« تعال يابنى ، واسند رأسك الى صدرى، لتسترح.. تذكر كم كنت مرحا، لطيفا ، مدللا وأنت صغير .. كم كان كل امرىء يحبك ! »**

.. فأسلم رأسه الى صدرها ، واغمض عينيه ، وهو يقول : « لست أحب سوى المجد ! » .. فسألته وهى تحنو عليه : « والنساء ؟ »

ــ انهن كثيرات ، حتى ليملهن الانسان ، كما تغثى نفسه اذا أفرط فى التهام الحلوى !

ــ أو لست تريد ابناء ؟

ـ ولماذا ؟ .. أنهم قد يقتلون . . قد يقضى عليهم رجل مثلى ، فأتألم من اجلهم وسأكون اذ ذاك مكتهلا ، فلا اقوى على الانتقام لهم !

واذ ذاك ، غطته بوشاحها الأسود . . وباليد الأخرى ، اغمدت خنجرا، فى قلبه !.. واختلج جسده لحظات ، ثم مات!

.. واذ ذاك ، دفعت جثته عند أقدام الحرس المذهولين ، وصاحت وكأنها تخاطب المدينة : « اننى ـ كمواطنة ـ قد فعلت لوطنى كّل ما استطيع . . اما كأم ، فسوف ابقى مع ابنى ! »



وبيد ثابتة ، دفعت الخنجر الذى كان لايزال مخضبا بدم ابنها الحار ـ الذى هو من دمها ـ فى صدرها . . وعرف الخنجر طريقه ، فليس من العسير الاهتداء الى قلب يخفق بعنف !

اقرأ .. فى منتصف سبتمبر
فى الجزء الثانى من الكتاب الخالد

اعترافات جان جاك روسو

« واذ ادركت حقيقة الصلة بين « ماما » وبين وصيفها « آنيه » ، منافسى فى عشقها ، انتابنى ألم قاس ، لمجرد تصور ان رجلا آخر استطاع ان يعيش معها فى مودة تفوق مودتى كثيرا !

« وكانت لهما مشاداتهما التى كانت تنتهى دائما على خير .. فيما عدا مشادة واحدة قدر لها ان تنتهى بسوء .. فقد حاول « آنيه » الانتحار ! »

جان جاك روسو

أنا.. الضحية!

قصة مصرية بقلم:

محمد بدر الدين خليل



لا .. لست مجنونة !.. اقسم لك !

سأقص عليك ما جرى .. استمع بالله ، فلسوف يلذ لك الحديث ، فقد اعتاد الناس ان يستمرئوا الانصات الى مآسى الغير ، وان يشهدوا دموعهم !

لا .. لست مجنونة ، بل أنا مضطهدة .. مطاردة .. مهددة ! .. لست أنكر اننى أستحق هذا التهديد ، وتلك المطاردة ، وذلك الاضطهاد .. اننى أستحقها كلها ، ولكننى لم أعد أحتملها !

أجل ، لم أعد أهاب الاعتراف .. اننى قاتلة !.. **ولكننى لم أمد يدى بسلاح ، لا ولم أطبق قبضتى على عنق ضحيتى أو أدس لها السم .. انما قتلتها بقوة ارادتى !..** لا تعجب ، فأنا متعلمة .. لقد كدت أنال شهادة جامعية ، لو لم يعترض «محمود» طريق حياتى ، فأتحول عن الدراسة لأتزوج منه !

* * *

وسعدت بزواجى ، فقد كان «محمود» مشغوفا بى .. كان يحبنى بجماع قلبه .. كان يرانى كل حياته ، وكل هنائه .. حتى مات أبوه ، وجاءت أخته لتقيم معنا !

كانت « آمنة » فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، تكبرنى بعشر سنوات .. ولم تكن قد غادرت «البندر» فى حياتها ، فهى أبعد ما تكون عن جو المدن فى كل شىء .. حتى فى لهجتها وتفكيرها !

وكانت عانسا .. وما أظننى أتجنى على حرمة الموت ، اذ أصارحك بأن الشباب كان معذورا فى ابقائها فى احضان العنس .. **فقد كانت قبيحة الشكل .. قبيحة بكل ما فى القبح من**

معنى !.. وكان لها صوت خشن ينفر .. وأسلوب مقذع !.. وكانت تحرص على الزى الريفى الطويل.. ولكنها خرجت عن تقاليد الريف فى شىء واحد ، اذ جعلت ثيابهـا ضيقة محبوكة حول جسدها النحيل ، فكانت تبدو كالرافلة فى .. كفن !

أقسم لك اننى لا أتجنى على ميتة!.. لا ولست مجنونة !.. أترى فى حديثى بادرة تنم عن جنون ؟!

★ ★ ★

وكانت خجولا حين قدمت للعيش بيننا .. تفعل كل شىء على استحياء ، كأنما تخشى ان أرى فى تصرفاتهـا ما انتقدها عليه .. ولكننى كنت أحرص على ان لا أشعرها بأى عيب فى تصرفاتها .. وكنت أغض البصر واتغاضى عن أفعـال لو رأتها غيرى من بنات المدن المتعلمات لما تمالكت نفسهـا من الضحك ساخرة ، ما لم يغلبها التقزز والاشمئزاز ..

ولست ألومها ، علم الله .. فما كان ذنبها انها نشأت فى بيئة تخالف بيئة المدن . . وقـد يكون مسلكها أقرب الى الطبيعة والفطـرة ، وأنقى من مسلك بنـات المدن لبعـده عن التكلف والتظاهر والرياء .. ولكن كل امرىء نشأ على الاعتداد ببيئته ووسطه .. ولعل هذا الاعتداد كان السر فى ان «آمنة» كانت تقابل نصحى فى ازورار ، واعراض فيه كبرياء وصلف .. رغم أننى كنت أترفق فى هـذا النصح ، وأصـوغه فى أرق أسلوب وألطف لهجة ..

ولو اننى فطنت الى أنهـا ستستاء للمحـاولات التى كنت أبذلها لـكى أساعدها على أن تكيف نفسها تبعا لحيـاة المدن ، ما أقدمت على شىء من هذه المحاولات ..

على اننى ما لبثت أن فطنت الى أمر آخـر .. لقـد اثارت نصائحى غيرتها !

أجل .. هكذا لاحظت .. وسرعان ما تبينت أنها تغار مني .. تغار لأنني كما تراني ، رشيقة ، أنيقة ، متمدينة .. وتغار لأنني ــ وأنا التي أصغرها بعشر سنوات ــ قد وجدت زوجا جد كلف بي ، وصرت ربة بيت أديره بنفسي .. والأنكى من هذا ، انها كانت تغار لأنني تزوجت أخاها وكانت تحبه من كل قلبها .. صحيح انه لم يكن يصلح لها زوجا ، اذ تحول الشرائع والقوانين دون ذلك ، ولكنها كانت ترجو ان تستأثر بحبه وعنايته واهتمامه !

* * *

وحاولت أن أعالج مركب النقص الذى نشأ عن ذلك ، ولكن علاجي لم يزده الا نموا واستفحالا ..

وفي خبث الفأر وجبنه ، راحت تتسلل الى قلب زوجي وعقله تسممهما .. بدأت ترصد على حركاتي ، وتحدثه عن مرات خروجي ، وعن مرات وقوفي في شرفة البيت أو احدى نوافذه .. **ومضت توحي اليه بأنها ظواهر غير عادية في حياة المرأة المتزوجة .. وان كثرة خروجي وحيدة دون داع عائلي، يدعو الى الريب .. وان وقوفي بثياب البيت في الشرفة ، وروحاتي وغدواتي في المسكن ، والنوافذ مفتوحة على مصاريعها ، أمور تبعث على الشك ..**

وكانت داهية في خبثها ، فلم تحاول ان تواجهه باتهامات صريحة ، وانما راحت تنفث سمومها في بطء وحذر .. كانت خبيرة بالنفس البشرية رغم جهلها !.. وكانت تبث عوامل الارتياب ، ثم تواليها بالري والسماد .. ري وسماد تتخذهما من الظواهر والتصرفات التي تبدر مني في حياتي اليومية ..

ولم أكن في بداية الأمر أحفل بهمساتهما .. لا ولا كنت أشعر بفضول ، اذ اراهما قد انتحيا جانبا ، وتقارب رأساهما

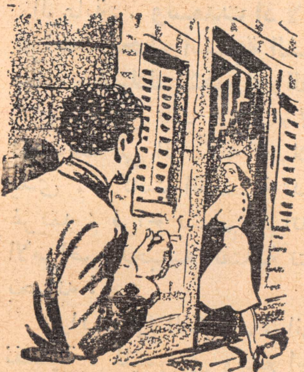
وقد انهمكا فى حديث تتبدى خطورته على محياهما .. أو أرى «آمنة» تستدرج محمودا الى غرفتها فتستبقيه ساعات طويلة، والباب مغلق دونهما ..

صدقنى اذا قلت لك اننى لم آبه فى البداية .. كانا أخوين، وكان من المعقول ان تكون لهما ذكرياتهما الخاصة .. وكان من المحتوم ان تكون لهما شؤونهما الشخصية ..

★ ★ ★

لم اهتم الا حين بدأت أشعر بتغير فى مسلك زوجى ازائى .. كنت أفطن أحيانا اليه ، وقد جلس ثلاثتنا فى الأمسيات ، فأضبطه يرمقنى خلسة بنظرات غريبة !.. وكنت ألاحظه فى بعض الأيام صامتا ، مهموما ، لا يكاد يلتفت نحوى، وكأنه يكره أن يقع بصره على .. وكنت أنتبه أحيانا الى الأحاديث المقتضبة التى كانت تدور بيننا ، فيخيل الى انه محقق يستجوبنى ..

ثم جاء يوم لاحظت فيه ان زوجى فرض رقابة على رسائلى، واتصالاتى ، وتصرفاتى .. وشعرت اننى كالمتهم فى قفص الاتهام تتسلط عليه أنظار جميع من فى قاعة المحاكمة ، وهى تفيض اتهاما ، وزراية، ونقمة ..



بل جاء يوم فطنت فيه الى ان زوجى كان يتبعنى فى خروجى ، ويتقصى خطواتى .. وغضبت! .. ولكنى كبت الغضب ..

ثم انتبهت الى حقيقة فاتتنى .. لم يكن فى تصرفاتى ما يعيب او يشين .. ولم يكن فى زياراتى ما يخدش الشرف ، أو يمس الكرامة .. وكنت موقنة ان زوجى لن ينال من جراء تعقبه

خطواتى سوى التعب والنصب .. ثم الخجل من ترديه الى هذا الدرك .. فلماذا أغضب ؟.. وهكذا وجد الغضب منفذا، ولكنه لم يتسرب مع الهواء، بل قد تحول ليحتشد ويتكاثف فى ركن آخر من عواطفى .. ركن الحقد والنقمة !.. **ولم يتجه ضغط الشعور الجديد نحو زوجى، وانما.. اتجه نحو «آمنة» .. فقد كنت أدرك موقف زوجى وألتمس له الاعذار !**

* * *

وراح حقدى ينمو ويستفحل . . ومن عجب ان احساسى نحو زوجى انقلب فى تلك الأثناء الى اشفاق .. كان الشك الذى لم يجد دليلا يثبته ، ولا برهانا يمحوه ، قد أشاع فى نفسه قلقا وهما أخذا يشتدان ، حتى أهزلاه ، وأسقماه ، وحولاه انسانا آخر .. فبدا كمن يرزح تحت عبء فوق ما يقوى على حمله ..

وبينما كانت نقمتى توحى الى بالانتقام من « آمنة » ، كان حبى لمحمود يدفعنى الى العناية بأمره، فبدأت أشحذ الأسلحة التى زودت بها الطبيعة المرأة .. أسلحة الحنان ، والعطف ، والرعاية.. **وسعدت اذ لاحظت أن هذه الأسلحة كانت ماضية، فراحت تحطم أسيجة الشك ، والاسلاك الشائكة التى أحاطت بها .. أسلاك النفور ، والقلق ، والحيرة !**

وكنت فى تلك الاثناء لا أنفك أفكر فى الانتقام . وفجأة ، اهتديت الى الوسيلة خلال قصة فرنسية ألقتها الأقدار فى يدى .. كانت القصة تدور حول رجل أراد ان يقضى على غريمه ، فراح يسمم حياته بالوهم .. وأخذ يوحى اليه بأن الأمراض الخبيثة الفتاكة تتهدده ، حتى ضاق الغريم ، وسعا بحياته !

وراقت لى الفكرة .. انها تقوم ــ كما ترى ــ على أسس نفسية ، فليس فى وسع أحد أن يجد دليلا ماديا يديننى !

* * *

ولم أندفع فى تهـور ، بل عكفت على رسـم خطتى فى أناة وروية .. بدأت بأن حاولت اكتسـاب ثقـة « آمنة » بى .. فمضيت أزيل ما خلفته الأحداث المـاضية من سخائم ونفور بيننا ، ثم شرعت أغمـرها بعطفى وهداياى . . فاذا سمحت ميزانية الأسرة ، أسرعت ابتاع لها ثوبا ، أو أغرى « محمودا » على ان يهديها قـرطا أو قلادة أو اية حلية لايثقله ثمنهـا .. وعمدت الى دعوتها لكي تصحبنى فى بعض أويقـات خروجى ، وكنت أدرك انهـا تتوق لتعرف ما يجـرى فى تلك الأويقات ، فاستغللت فضولها فى التقرب اليها .. بل اننى ذهبت الى أبعد من هذا ، فشرعت أشكو اليها بعض السفاسف التى تبدر من زوجى ، لأشعرها بأننى جعلتها موضع سرى !

وعانيت كثيرا ، ولكننى نجحت .. واذ ذاك ، بدأت المرحلة الثانية . **. كنت اذا سعلت سـارعت الى موافاتها بالمشروبات الساخنة ، والى حملها على ملازمة الفراش، وأنا أوحى اليها ــ بطريق غير مباشر ، ودون أن تفطن الى هدفى ــ بأن السعال قـد يكون من عوارض الربو أو التـدرن الرئوى ، وان اصحاب الأجسام النحيلة هم أكثر الناس تعرضا لأمراض الصدر الخبيثة .. فسرعان ما يتملـكها الوهم والجزع !**



وكنت اذا أحسست جفافا بحلقها وأكثـرت من شرب المـاء ، أوحيت اليها بان جفاف الحلق من عوارض مرض السكر الذى

عجز الطب عن الاهتداء الى علاج يقضى عليه ، فهو لايزال يشيع الهزال فى جسم المرء حتى يقتله !

والتهبت بشرة صدرها مرة ، فمضيت أدلكها لها بالكحول زاعمة اننى اطهرها ، فاذا بها تزداد التهابا .. ورحت أوحى اليها بأن الالتهاب من عوارض السرطان !

ولست اكتمك اننى كلما استعرضت هذه الأعمال ، أيقنت اننى كنت شيطانة خبيثة .. **ولكننى كنت أنتقم لنفسى .. كنت انتقم لسعادتى ، فان زوجى مهما نزل عن نفوره وشكه القديم ، فلن يعود الى صفائه الاول معى ، ولا الى حبه السابق لى !**

وكان طبيعيا ان تختزن « آمنة » أحاديثى ، وأن ترهف شعورها عنايتى ،فأصبحت تتداعى لأتفه توعكعارض ، وغدت تنتابها الهواجس .. وتركت هذه الحال آثارها فى أعصابها وكيانها .. فتولتها السقام ، وانتابها الوهم .. واجتمعت هذه العوامل مع تلك التى يخلفها العنس فى نفسالمرأة اذا ماأشرفت على السن التى يداخلها عندها اليأس فى الزواج ، فأسلمتها الى نوبات عصبية ، كانت تنتابها فىتوال مطرد ، رغم كل ماراح الطب الحديث يهيئه لها من أسباب العلاج .. **اذ كنت أؤدى دورى من وراء ستار العطف والرعاية ، وأوحىاليها بأن معظم الامراض العصبية تنتهى عادة الى .. الجنون !**

لن أطيل عليك ، ولكنى أكتفى بأن أذكر لك ان الخوف من الجنون زاد من استفحال مرضها العصبى ، حتى آثرت الخلاص .. فانتحرت !

* * *

وراحت من طريق سعادتى وهنائى .. واستردت زوجى خالصا .. كانت رعايتى ـ الظاهرية ـ لأخته قد قربتنى اليه ، وهدمت ما تبقى من الشك الذىبنته أخته فى نفسه ..

بل ان الفارق بين معاملتى اياها ، ومعاملتها اياى ،جعله يسرف فى التوبة !

ولكن .. ولكنى لم أهنأ بالوضع الجديد طويلا .. **فقد نهضت ((آمنة)) من قبرها تسعى للانتقام منى !**

أجل .. نهضت من قبرها ، لتتراءى لى .. ولى وحدى دون سائر البشر ! .. وكان ذلك يوم اكتمال الأسبوع على وفاتها ، فبينما كنت أجلس الى زوجى عقب العشاء ، رأيتها فى مقعدها المعتاد ، وقد مال رأسها نحوه ، وراحت تهمس وعيناها ترمقاننى بنظرة هى مزيج من الحقد والاتهام ..

وصرخت .. ولست أدرى ما أصابنى ، ولكنى أظننى قد ترنحت فى مقعدى وأوشكت أن أقع لو لم يبادر زوجى الى حملى الى فراشى ..

ورأيتها فى الليلة التالية .. وكانت تشاركنا فراشنا .. وخيل الى انها كتلة من الثلج ، فرحت ارتجف وأئن ، حتى ان زوجى بادر الى استدعاء الطبيب .. ولكنه لم يجد بى مرضا ، فوصف لى مسكنا أو مخدرا أسلمنى الى النوم !

وعادت فى الليلة الثالثة تشاطرنا جلستنا بعد العشاء ،وتميل الى أخيها تهمس فى أذنه .. وكانت نظراتها فى هذه المرة كمس من تيار صاعق .. ووجدتنى فى هذه المرة أصرخ فى ((محمود)) متسائلة :

ــ هى بتقول لك ايه ؟

وكان شارد الذهن ، فأجفل مأخوذا وسألنى :

ــ مين هى ؟

ــ أختك .. آمنة !

* * *

ونظر الى فى ارتياب اثارنى ، فعدت أصرخ :

ــ بتبص لى كده ليه ؟ .. هى لسه عاوزه ايه ؟

وانتابنى هياج شديد ، لم ينتــه الا بحضور الطبيب الذى حقننى بمادة مخدرة ، اسلمتنى للنعاس ..

وتكررت هذه الأحداث .. و « آمنة » لا تبرح تطاردنى ، كلما ضمنى البيت وزوجى .. وكان لنظراتها كل يوم معان .. وتأثيرات !

والحق ان « محمودا » احتمل خوفى منهــا بصبر .. ولم يبخل على بعلاج .. ولم يدخر عطفا الا أبداه لى !

الى ان كان ذات يوم ، وقد أشرفت الساعة على الثانية بعد الظهر ، وانهمكت فى المطبخ أعد الغداء .. **وفجأة ، رأيتها تقف فى باب المطبخ .. ولم تتقدم خطوة .. لا ولم تتــكلم ، وانما راحت ترمقنى بنظرات رهيبة ..**

وصرخت فيها :

ـ عاوزه ايه ؟

وكدت أجن من رهبة نظراتها .. وكنت أمسك « المقلاة » فى يدى ، فلم أتمالك أن طوحتها نحوها .. ولــكنها اخترقت كيانها وهوت فى الردهة .. واشتد ذعرى ، فلم أدع شيئا فى المطبخ الا رميتهــا به .. وأقبل الجيران على الضــجة وعلى صرخاتى المهتاجة .. وأقبل « محمود » فى موعــده ، فألفانى محوطة بالجيران الذين حاولوا أن يهدئوا ثورتى ، فلما عجزوا شلوا حراكى ، وحملونى الى الفراش ..

* * *

لقد أتوا بى الى هذا المصح ياسيدى ، ظنا منهم اننى مجنونة **.. لا .. لست مجنونة .. وانما أنا خائفــة .. خائفــة من المرأة البغيضة التى سممت حياتى .. لقــد ثار ضميرى على بعد وفاتها ، واعتبرها ضحيتى .. ولــكنى أنا الضحيــة .. أنا الضحية ، فانقذونى منها !**


SIX CRIMINAL WOMEN
BY
ELIZABETH JENKINS
نساء .. وراء القضبان !
امرأة بلا ضمير!
قصة أجرأ محتالة عرفتها محاكم انجلترا

امرأة مجرمة .. وامرأة ساذجة !

◆ تتجه المرأة المجرمة – عادة – الى بنات جنسها لتمارس نشاطها الاجرامي عليهن .. فهي أقدر على تفهم المشاعر التي تعتمل في نفوسهن، والرغبات أو النزوات التي تساورهن ، والتي يمكن استغلالها للايقاع بهن !.. والتاريخ حافل بقصص مئات من المجرمات ، اللواتي كن يخترن ضحاياهن دائما من بين النساء ، فكن ينجحن – في معظم الاحيان – في تحقيق أغراضهن الاجرامية

والقصة التي أقدمها لك اليوم ، تروي سيرة أجرأ محتالة عرفتها محاكم انجلترا حتى اليوم .. محتالة هدتها غريزتها الانثوية الى وضع خطة محكمة لاستغلال تلهف المرأة على الاحتفاظ بجمالها وشبابها، ولو باعت نفسها في سبيل ذلك ! .. وهي بعد قصة كل امرأة ساذجة، بلهاء ، لا تعترف بقانون الايام ، ولا تعرف كيف تحني رأسها في الوقت المناسب ، فاذا الثمن الذي تدفعه في النهاية ثمن فادح أليم !

◆ **دكان** صغير أنيق ، كان المارة بشارع (بوند) في لندن يقفون أمامه لحظات في سنة ١٨٦٠ ، يتأملون لونه الاحمر القاني ويتساءلون عن معنى اللافتة الفريدة التي وضعت عليه ، وقد كتب عليها بماء الذهب : « جمال الى الأبد » .. فأما الرجال فقد كانوا يستنكرون هذا المحل الذي كان لايقدم للناس بضاعة معروفة كغيره من الدكاكين .. واما النساء ، فكانت اللافتة تحرك الوتر الخالد في قلب كل امرأة .. وتر الجمال .. الجمال الى الأبد ! **فكانت الواحدة منهن اذا استطاعت أن تقاوم رغبتها الغريزية في الدخول مرة لم تلبث ان تغلب على أمرها في المرة التالية !**

فاذا دخلت ، وجدت نفسها في صالون لطيف مهيأ على نحو يدل على ذوق ولكنه لا يبعث على الاطمئنان .. فهذه مقاعد وثيرة ، وتلك منضدة أنيقة وردية اللون صفت عليها زجاجات وأشياء صغيرة في ورق ملون ينبعث منها عطر بديع ..

وخلف المنضدة سيدة ذات شعر غزير أسود وعينين ذات أهداب طويلة عليها أثر الصنعة المبالغ فيها ، ووجنات وردية يدل لونها الزاهى على أنه من عمل يديها لا من ابداع الخالق !..
وهى تتكلم فى نعومة ورقة ، وتتحرك وكأنها ترقص ، وتنظر الى « العميلات » بعينين فيهما جرأة وسيطرة ، فلا يستطيع الافلات من اغرائها الا الماهرات ..

وتسرع هذه السيدة التى تخطت الخامسة والأربعين الى « العميلة » وتحييها فى رقة ، ثم تقدم لها قائمة الاصناف التى تستطيع تقديمها ، و « الخدمات الجمالية » التى تستطيع أن تؤديها !

وتقرأ « العميلة » فى القائمة أصنافا غريبة ، وعناوين جذابة ، كل منها كاف لاغراء جيل من النساء : فهناك « مياه الحجر المغناطيسى الصحراوى » ، الذى يزيل تجاعيد الوجه ويحفظ على البشرة صباحة الشباب وينشط القوة الحيوية ويعيد الشعر الى لونه الأصلى .. وهناك « مياه الاردن » السحرية ذات الرائحة الجذابة .. و «تواليت فينوس» نوع من الصابون العطرى .. وهناك « مسحوق الفتنة » لون من البودرة ناعم كالحرير .. و « ورد الهند » لون من الصباغ الاحمر للوجنات والشفاه !

أما الخدمات الجمالية فكثيرة معقدة ، ولكنها « أكيدة المفعول » .. فى مقدمتها «حمام الصحراء» ، وهو حمام فريد تغتسل فيه طالبة الجمال بضع مرات ، فى مياه تتسرب فى مسام الجسم وتحارب الشيخوخة فى جذورها .. و «الحمام التركى » المعروف الذى يعيد الشباب اذا دخله الانسان كذا من المرات .. و « صالون العرائس » ، تقضى فيه السيدة عددا من الساعات كل أسبوع ، وصاحبة المحل تدلكها بالزيوت والمعاجين ، وهى زيوت ومعاجين أخذت أسرارها من حريم السلطان !

وبعد أن تلقى صاحبة المحل هذا الخطاب الطويل تنظر الى عميلتها وهى لاتشك فى أنها ستشترى شيئا ، مهما يكن الثمن .. وكانت الاثمان باهظة جدا : فزجاجة « ماء الحجر المغناطيسى » ثمنها عشرة جنيهات . . أما « ماء الأردن » فزجاجته بخمسة .. وعلاج الجمال عن طريق حمامات الصحراء يتكلف من خمسين الى خمسمائة جنيه .. أما « صالون العرائس » فلا تقل تكاليفه عن ألف جنيه !

فاذا كانت العميلة من السيدات ، اكتفت من زاد الجمال بشىء تدفع فيه بضعة جنيهات ثم تخرج الى غير عودة ، واذا كانت من الضعيفات اللاتى غلب عليهن حب الجمال والشباب ، وقعت فى حبائل صاحبة المحل ، فلا تزال تستنزف أموالها حتى تأخذ آخر بنس معها

وكانت هذه السيدة تعرف كيف تستخرج هذا البنس الاخير مهما تكن العميلة عنيدة . . انها تعرف كيف تنصب عليها وتهددها بالفضيحة وبالمقاضاة والتشهير .. **فهى امرأة شريرة خطرة ، تاريخها الماضى مظلم أسود .. دخلت السجن أكثر من مرة ، وطاردها البوليس من لندن الى برايتن الى باريس ، وأفلست بدل المرة مرات .. ولكن حيويتها كانت أقوى من الزمن ، فكانت تعود الى الوقوف على قدميها من جديد !**

تلك هى « مدام ساره راشيل ليفرسون » .. امرأة رهيبة لا ضمير لها ولا خلق ، تزوجت أكثر من مرة ، واشتهرت فى لندن بالاحتيال وسوء الخلق ، ولكنها عاشت لأن غريزة حب الجمال والتمسك بالشباب تعمى عيون بنات حواء ، فتوقع التعيسات منهن فى أيدى الشيطان باسمات !

***

• فى ذات يوم من ايام سنة ١٨٦٧ ، دخلت محل « مدام راشيل » سيدة بين الخامسة والأربعين والخمسين .. أرملة

طروب لا تمتاز بذكاء أو بعد نظر ، ملامحها تدل على انها كانت فى صباها ذات جمال باهر ، توفى عنهـا زوجها ، وكان ضابطا كبيرا فى الهند ، وخلف لها أملاكا فى ناحيـة « ستريت هام » تدر عليها دخلا طيبا .. وكانت ــ كالكثيرات من الجميلات ــ مدللة ، تصر على أن يعاملها الناس كفتاة جميلة فى ميعة الصبا .. فثقلت على أهلها واختلفت معهم ، ولم تلبث أن انفصلت عنهم وسكنت بمفردها فى بيت صغير .. وكانت معروفة بالغباء والسذاجة فى بعض أوساط لندن ، فكنت اذا ذكرت « مسز بوروديل » ابتسمت الشفاه فى سخرية !

تبينت « مدام راشيل » منذ اللحظة الاولى أنها وقعت على صيد طيب ، ولم تشك لحظة فى أنهـا ستستخلص من « مسز بوروديل » كل ما عنـدها .. حتى جواهرها !



بدأت « مـدام راشيـل » فاستنزفت من « مسز بوروديل » كل ما كان لديهـا من النقود ، وأعطتها مقـابل ذلك عشرات الزجاجات من المياه المغناطيسية ومياه الاردن ، وعشرات من قطع صابون فينوس ، وأجرت عليهـا تجـارب الحمـامات والصالونات كلها .. وحينما نفدت النقود بدأت تبيع الجواهر حتى أتت عليها !

فاذا فرغت « مدام راشيل » من ذلك أخـذت تمهد للجزء التالى من برنامجها ، وهو اغراء « مسز بوروديل » على بيـع أملاكها لتتمـكن هى من امتصـاص الثمن .. ولجأت فى ذلك الى حيلة غريبـة فى بابها انخدعت بهـا « مسز بوروديل » ،

وسارت وراء الساحرة الشريرة وكأنها عمياء لا تفكر .. قالت لها يوما :

ــ مسز بورروديل .. أنت امرأة سعيدة الحظ .. ان جمالك فريد !

فابتسمت الساذجة واقتربت من « مدام راشيل » وقالت :

ــ حقا ؟ ماذا تعنين ؟

ــ أعنى أنك أوقعت فى غرامك أعظم معارفى وأغناهم وأجملهم !

ــ من هو ؟ وكيف ؟

ــ أحب أن أحتفظ باسمه مؤقتا ..

ــ مدام راشيل .. أنت صديقتى الوحيدة الوفية .. قولى لى بربك .. من هو هذا العاشق ؟

ــ انت شيطانة لحوح .. تعديننى بأن تحفظى السر ؟

ــ بشرفى ..

ــ اذن .. فهو اللورد رانلاج صاحب المقاطعات الواسعة ..

فصرخت الارملة الشقية قائلة :

ــ لورد رانلاج الفاتن .. ذو الشوارب السوداء الجميلة والصديريات الحريرية الحمراء البراقة .. يا الهى ! .. كيف حدث ذلك ؟

ــ صبرا .. صبرا ايتها الجميلة الرعناء .. ان اللورد يتردد على هنا خفية .. يدخل من الباب الخلفى فى صالون خاص له .. أنه يعالج جماله عندى .. وانت تعرفين أن مركزه لا يسمح له بأن يعلن ذلك صراحة ! ولهذا ارجوك الا تفوهى لأحد بكلمة عن ذلك .. لقد رآك مرارا من فرجة الباب وأنت جالسة فى « صالون العرائس » ، ولا تتصورين مقدار حبه لك .. يا للرجال !

وهبطت هذه الكلمات على قلب الأرملة هبوط قطرات المطر على الرمال الظامئة .. فجلست وجعلت تنظر الى « المدام » بعيون تفيض بالشكر والأمل .. وأحست الماكرة ان اللحظة

مواتية .. فمضت تقول :

ـ والآن أينها العروس الفاتنة ، ينبغى أن تأخذى للامر أهبته .. ان اللورد رجل غنى ، وقد قلت له انك أغنى منه ..

ـ يا الهى ! وكيف العمل ؟ أنت تعرفين أن نقودى قد نفدت ..

ـ اسمعى يا عزيزتى .. أنت امرأة جميلة .. وككل الجميلات لا تعرفين السياسة والشطارة .. فى يدك الآن فرصة من ذهب ، ولا بد من كسبها .. لقد علمتنى الحياة أن الانسان ينبغى أن يقامر فى بعض الاحيان ليضمن الكسب ..

ـ ماذا تعنين ؟

ـ لم تفهمينى بعد .. أقصد .. ماذا ستصنعين بأملاكك فى « ستريت هام » ؟ .. **لماذا لا تبيعين منها شيئا لتشترى عربة بزوجين من الخيل ، ومصاغا جديدا ، وملابس باهرة .. ولكى تستمرى على علاج الجمال .. ثم لكى تظهرى أمام عاشقك بالمظهر اللائق ؟ !** لا تنسى أن عشرات الجميلات فى أوربا كلها مستعدات للتضحية بكل شىء فى سبيل الحصول على أجمل اللوردات وأعظمهم أرستقراطية !

ولم تكن « مدام راشيل » فى حاجة الى اقناع طويل .. فقد عرفت كيف تكبل المسكينة بقيود من ذهب .. ولم تخرج « مسز بورودیل » من محل « جمال الى الأبد » الا بعد أن اتفقت مع « مدام راشيل » على طريقة البدء فى البيع .. وتبرعت الماكرة فعرضت على مسز بورودیل خدمات محاميها الخاص .. لوجه الله !

***

• **وأخذت** « مسز بورودیل » تبيع أملاكها قطعة قطعة ، وتضع النقود فى يد « مدام راشيل » لتشترى لها ما ينبغى .. فكانت المحتالة تشترى الشىء بجنيه وتزعم أن ثمنه عشرة .. وأخذت لنفسها ألف جنيه كاملة أجرا لعلاج جمالى كامل جديد !

ثم بدأت بعد ذلك سلسلة من أعمال الاحتيال قد تكون وحيدة فى التاريخ ..وانه لمن الغريب ان السذاجةبلغت بمسز بوروديل الى هذا الحد الذى لا مثيل له حتى بين الأطفال ..

فمن ذلك ان « مدام راشيل » أكدت لفريستها أن اللورد يستحسن ألا يقابل معشوقته الآن ، لأنه يخشى أن يفتضح الأمر وتثور عليه أسرته ، ولهذا فلا مفر من أن تقتصر العلاقات على المكاتبة ، عن طريق مدام راشيل .. **فكانت « مسز بوروديل » تكتب خطابات تفيض شوقا ورقة ، وتتلقى من يد « مدام راشيل » ردودا عليها ملتهبة بالعاطفةحقا .. خطابات كتبت فى محل « المدام » ..ولما كانتهذه الاخيرة أمية لاتكتب اسمها فقد كانت تلجأ الى أى انسان لتملى عليه ردود اللورد المزعومة !**

وحدث عندما دبرت « مدام راشيل » امر أول خطاب من اللورد الى معشوقته أن بحثت عن انسان يكتب لها ، فلم تجد الا صبى نجار ، فكتبالخطاب بخطرديء مضطرب ..وحينما فرغ من الاملاء نسى ووقعه باسمه « وليام » .. ولم تلاحظ مدام راشيل ذلك ! .. فلما تسلمت «مسز بوروديل» الخطاب تعجبت من أن يكتب اللورد هذا الخط الردىء .. فزعمت لها المدام ان اللورد كتبه فى ساعة متأخرة من مساء امس بعد أن أسرف فى الشراب فاضطربت يده .. وصدقت مسز بوروديل .. ولكنها عادت تقول :

ـ ولكن .. يا عزيزتى راشيل .. كيف يوقع باسمه وليام مع ان اسمه توماس ؟ !

لم تختلجعين المحتالة القادرة..وربتت على كتف ضحيتها، وقالت :

ـ يا عزيزتى الساذجة ، صحيح ان اسمه توماس ، ولكن « وليام » هو اسمه فى البيت .. هو اسمه عند أصدقائه المقربين .. ألست تعرفين أنه منسلالة « وليام الفاتح » ؟..

انه شديد التمسك باسم ((وليام)) !

واقتنعت العاشقة الواهمة .. وخطت مدام راشيل خطوة أخرى ، فأفهمت «مسز بورودیل» أنه من الضروری أن ترسل الى اللورد بضع هدايا تدل على غناها وحبها .. وأطاعت المسكينة .. ومضت تذهب مع المحتالة الى محال الهدايا والجواهر وملابس الرجال ، وتشترى أغلى الاشياء ، وتسلمها لمدام راشيل لارسالها للورد ، فتعود بها هذه الى المحل فى ثانى يوم وتعيدها ، وتأخذ النقود وتمضى !



وأخذت أملاك مسز بورودیل تتسرب فى سرعة .. باعت أراضيها ، وبيوتها ، ثم تحف بيتها ــ حتى الاطباق والآنية والاثاث ــ دون ان تلتقى بالحبيب المجهول مرة واحدة !

ونفدت أموال «مسز بورودیل» عن آخرها .. ولم يبق لها الا معاشها ، فطمعت فيه المحتالة الجبارة ! .. وجعلتها توقع على كمبيالات ضخمة ، ثم رفعت ضدها قضية وكسبتها .. وكان القانون الانجليزى اذ ذاك يقضى بحبس المدين المفلس حتى يسدد دينه .. وهكذا دخلت « مسز بورودیل » سجن « هوايت كروس » للنساء الذى سجنت فيه « مدام راشيل » أكثر من مرة .. **وحينما طال بها السجن عرضت عليها المحتالة ان تتنازل لها عن دينها اذا هى تنازلت لها عن معاشها .. وهكذا خرجت ((المسز بورودیل)) من السجن تعيسة شقية مفلسة ، لا تجد سقفا يأويها ، أو لقمة تتبلغ بها !**

***

• **وكان** من حسن حظ « مسز بورروديل » ، أن تعرفت فى السجن الى سيدة مسكينة سيئة الحظ اسمها « مسز ساتون » اصغت الى قصتها فملكها الذهول ، فقررت ان تقف الى جانبها ..

وذهبت المرأتان الى محل « مدام راشيل » .. فبلغ من جرأة هذه المحتالة أن أنكرت أية معرفة بسيدة تسمى «مسز بورروديل » .. بل انكرت انها رأتها مرة واحدة فى حياتها !

وصاحت مسز بورروديل :

ـ مدام راشيل .. انت لاتعرفينني؟ كيف؟ اذن .. فدعيني أتصل باللورد رانلاج !

فضحكت المدام فى سخرية بالغة وقالت :

ـ لورد رانلاج ؟ أيتها العربيدة المستهترة .. كيف تتجرئين على ان تذكرى اسم هذا النبيل على لسانك ؟ !

ـ وهذه الخطابات ؟ !

ـ أية خطابات أيتها التعيسة السكيرة ؟! .. تعنين خطابات عشيقك وليام . . ذلك النصاب الذى كنت تتحرقين شوقا الى رؤيته ؟ ! ابحثى عنه .. اننى لا أعرف هذا اللون من الرجال !

وصعقت « مسز بورروديل » ، وسقطت على الارض مغشيا عليها .. فحملتها « مدام ساتون » الى بيتها . وحينما افاقت تبينت الهاوية التى سقطت فيها ، فأسرعت الى أسرتها وقصت عليها الاسطورة الرهيبة ..

وثار أحد أقارب « مسز بورروديل » ـ واسمه « الفريد كوب » ـ واسرع الى محاميه .. ووكله فى مقاضاة المحتالة .. وبعد أسابيع اتجهت انظار لندن كلها نحو محكمة جنايات «أولد بيلى» لتسمع تفاصيل اغرب قصة احتيال عرفها القضاء

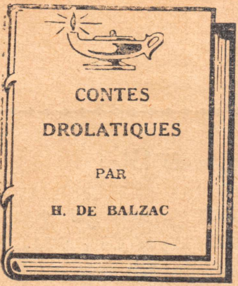
الانجليزى !

وأسرعت عشرات من ضحايا النصابة ليشهدن المحاكمة .. ومن الغريب أن معظمهن لم يجرؤ على الشهادة ضدها خوفا من الفضيحة ! وسمع القضاة التفاصيل فى ذهول ، ثم حكموا بسجن ((مدام راشيل)) خمس سنوات مع الاشغال الشاقة !

وانزوت « مسز بورروديل » فى بيت ابنتها بعد ان استعادت معاشها ، وعاشت بقية حياتها فى شقاء وخيبة أمل !

أما « مدام راشيل » فقد خرجت من السجن متجددة النشاط . . وعادت ففتحت محلها فى شارع بوند ! ومن الغريب انها رغم ذلك كسبت عملاء جددا ، وعاشت فى رخاء !

بل أغرب من ذلك انها لم تقلع عن الاحتيال ، فاحتالت على الكثيرات ، ودخلت السجن مرارا . . وماتت بين ايدى السجانات !





اونوريه دى بلزاك

فى سبيل الحب!



تلخيص : زكى شنودة المحامى

بماذا تضحى .. فى سبيل الحب ؟ !

◆ لعل أحدا من كتـاب القصة لم يوفق فى وصف سطوة الحب وسلطانه ، قدر ما وفق القصصى الفرنسى النابغة « اونوريه دى بلزاك » فى القصة الرائعة التى نقدمها لك فيما يلى ..

فالحب فى حد ذاته قيد يخضع له المحب طائعا مختارا ، وفاء لضريبة المتعة التى يتذوقها ويرتشفها من منابعه ! أما أن يضحى المحب بهواء الحرية ليأوى الى حصن منيع من العبودية .. أما ان يتخلى المحب عن عمله وشهرته وماله ومستقبله وآماله ، ليظفر بالمرأة التى يحبها .. أما ان يهجر الدنيا وأضـواءها ومباهجها ، ليمضى أيامه الى جانب حبيبته ، منزويا ، مضيعا ، بل عبدا ذليلا لا يملك من أمر نفسه شيئا .. فهذا هو « جنون » الحب ، و « سطوة » الحب !

ولكن ، ألا تحلو التضحية ، فى سبيل الحب ؟.. تعال نقطع الشك باليقين ، بهذه القصة التى تعلم الناس الحب .. والتضحية فى سبيل الحب !

• **حدثت** فى السـنوات الأولى من القرن الثـالث عشر ـ بعد ميـلاد المسيح ـ مغامرة حب فى مدينـة (باريس) ، كان بطلها رجلا من مدينة (تور) . وقد ذاع أمر هذه المغامرة ـ فى تلك الأيام ـ حتى لم يعد أحد من أهل المدينة كلها يسأم روايتها او الاستماع الى رواتها ، وحتى بلغ من اهتمام الناس بها أن وصلت الى أسمـاع الحاشية الملكية ذاتهـا . بل أنها شغلت صاحبى الجلالة ـ الملك والملكة ـ فكان لها من رعايتهما أكبر نصيب . ولسوف ترى ـ فى سياق القصة ـ ان رجال الاكليروس كانوا سبب اثارتها وترديدها ، وكان لهم آخر الأمر فضل تخليدها !

أما بطل هذه القصة فقد كان الناس يسمونه «التورينى» ، لأنه كان قد ولد فى مدينتنا الجميلة (تورين) .. وكان اسمه الحقيقى «آنسو» ، وقد عرف عنه انه كان فى صدر شبابه من

كبار الصاغة وتجار الجواهر الكريمة فى (باريس) . وقد أهلته أمانته العظيمة، وبراعته الفائقة فى فنه، لأن يصبح أحد الرعايا المرموقين لدى الملك ، كما انه استطاع ان يبتاع لنفسه حماية الملك ورعايته ، طبقا لعادات ذلك العصر .. ومن ثم فقد شيد له الملك قصرا ملاصقا لكنيسة «سان ليو» فى شارع (دينيس)، حيث اتخذ حانوتا كان معروفا لدى أولئك الذين يشغفون باقتناء الحلى الجميلة

ومع انه كان تورينيا ، خفيف الروح ، دافق الحيوية ، ممتلىءالأعطاف بالقوة والفتوة، **الا انه كان يصون نفسه من كل نزوات الشباب . فظل على الدوام فاضلا ، شريفا ، عفيفا - كما لو كان قديسا - بالرغم من كل ألوان الاغراء والفتنة التى تعج بها المدينة الجميلة وتضج منها الفضيلة.. وقدأمضى ربيع العمر كله دون أن يلطخ اسمه مرة واحدة بالأوحال !**

* * *

• **ولسوف** يقول كثيرون ان ذلك يتجاوز حدود التصديق، ومن ثم فلا مندوحة عن ان نوضح تلك العلة الخفية لما تسربل به ذلك الصائغ الفاضل - على غير المألوف المتبع - من أثواب العفة والتقى والورع .. فنذكر ، أول كل شىء ، أنه كان قد جاء الى المدينة سائرا على قدميه ، فقيرا ، ولكنه كان ذا خلق من حديد ، فما فتىء مثابرا على التزام الطريق التى اخطتها لنفسه بصرامة واستقامة .. ولقد اشتغل ذلك التورينى الفاضل عاملا - فى مبدأ الأمر - فكان ينكب على عمله من الصباح الى المساء . حتى اذا أصبح صاحب عمل ورئيس عمال ، اخذ يزاول مهنته بجد ونشاط واهتمام ، مثابرا على أن يعرف المزيد من اسرارها، باحثا فى كل يوم عن نماذج حديثة يسبق بها كل ما عرفه الناس وألفوه على مر الأيام .. وكان - فى أثناء بحثه وتنقيبه - يعثر على مبتدعات ومخترعات من

جميع الأنواع ، في غاية الروعة والابداع .. **وكان رواد الليل والخفراء والمتشردون يرون في كل مساء مصباحا فاتر الضوء ينير نافذة الصائغ المجتهد ، الذي كان ينكفيء على منضدته منصرفا الى حفر تحفه وتماثيله ، فلا يفرغ من أعماله الا عند مطلع الفجر .. وهكذا ادى به الفقر الى العمل العنيف ، وأدى به العمل الى الخلق العفيف ، وأدى به الخلق الى الثراء البالغ والاسم الشامخ الشريف**

وكان اذا شعر بلواعج الرغبة اللئيمة الأثيمة تتلظى في جسده الثائر الفائر — شأن كل أعزب محروم — يبادر الى رسم علامة الصليب على صدره ، ويمضي فيما هو منصرف اليه من أمره ، مواصلا الدق على فضته وذهبه وجواهره ، طاردا عنه الأرواح الماكرة الثائرة التي كانت تراوده ، والاطياف المغرية التي كانت تحاول ان تستهويه ، عامدا الى حصر كل تفكيره وتدبيره فيما بين يديه من اعمال الفن الرشيقة ، وروائع الصنعة الدقيقة

وكان هذا التوريني — الى جانب كل ذلك — رجلا بسيط القلب ، ساذج اللب ، يخاف الله فوق كل شيء .. ويخاف بعده اللصوص ، ثم النبلاء !.. وكان — بعد ذلك — يخاف ، اكثر ما يخاف ، حوادث الشغب التي يعيث فيها النهابون فسادا ، والعياذ بالله !

وكان له — بعد كل هذا — صوت ناعم حالم ، كصوت «العريس» قبل الزواج !.. ورغم ان الاكليروس والجيش وغيرهما من الهيئات ذات الاعتبار ، لم تمنحه شهادة واحدة بأنه متعلم ، الا انه كان على دراية كاملة باللغة اللاتينية — التي تلقاها عن أمه — فكان يتكلمها بطلاقة وذلاقة ، ولهجة صحيحة فصيحة .. كما تعلم عن أهل (باريس) أن يسير مستقيما ، وألا يسقط ثمار الشجر للآخرين (أي ان يكون مخلب القط لتحقيق غايات غيره) ، وأن يزن عواطفه بميزان دخله ، وألا يدع انسانا يأخذ جلده ليصنع منه حذاءا لغيره ، وألا يثق فيمن

لم يعاشرهم ، وألا يقول أبدا ما يعمل ، وأن يعمل دائما بما يقول ، وأن يستبقى يديه لنفسه ، وأن يفعل مثل ذلك بكيس دراهمه ، وأن يتجنب الزحام فى الأزقة ، وأن يبيع جواهره بأكثر مما تتكلف !

وكان الكثيرون يلاحظونه فى اعجاب واستعجاب ، ويغبطونه على حاله .. بل لقد كان بينهم من تمنوا أن يكون ملك فرنسا، اذ كانوا يرون له ذراعين مفتولتين ، مجدولتين من فرط قوتهما ، وقدرة قبضتيهما اللتين كان يعجز أشد الناس بأسا عن فتحهما اذا هو أطبقهما .. ومن ثم فقد كان يقوم بكل ما يلقى على عاتقه فى غير عناء ولا اعياء .. وكانت له كتفان فى مقدوره أن يحمل الكرة الأرضية عليهما !

* * *

• **وبعد** .. ألم يكن ذلك التورينى ــ بكل صفاته هذه ــ مثالا رائعا للرجل الفاضل ؟ . واذا كان يضيف الى صفاته تلك فضائل كاردينال ، أفما كان من حق الناس اذ ذاك أن يتساءلوا ، ويلحوا فى السؤال : « لماذا ظل الصائغ أعزب ، مع أن له من مواهبه الطبيعية ما يؤهله لأن يكون أبدع الأزواج !؟»

الا أن أولئك اللائمين الظالمين .. هل يعلمون ماذا يعنى ان يعشق الانسان ؟.. لعلهم يحسبون ذلك أمرا سهلا!.. ولكن، ما هى مهمة العاشق ؟!.. مهمته أن يذهب ، وأن يجىء .. أن ينصت ، وأن يراقب .. أن يربط لسانه ، وأن يتكلم .. أن يقبع فى أحد الأركان ، وأن يجرى فى كل مكان .. ان يوافق، ان يرفض.. أن يكد ، وان يكدح .. ان يذهب الى الشيطان اينما كان .. أن يتغزل فى القمر ، وأن يحيى الأصدقاء ، وأن يبعث السرور فى كل الأقارب . وان يقول : « هذا حسن » ، أو « حقا ياسيدتى انك لجميلة جدا ! » . . وأن يتلون بمائة لون ، فيكون له لسان سليط ، كما يكون له لسان

مؤدب . . أن يصبر على كل الشرور التى قد يخترعها الشيطان ، ويخنق غيظه ، ويضغط على أعصابه . . أن يكون له أصبع الله ، وذيل الشيطان . . ان يرضى الأم ، وابنة العم ، والخادمة ، وعلى وجه العموم : أن ينظر بوجه ضاحك الى كل شىء . . فان لم يفعل ذلك ، فان الأنثى تهرب منه وتتركه فى حيرة ، دون أن تبدى لذلك سببا انسانيا واحدا !

ولو ان العاشق بنى لفاتنته معبدا يتعبد اليها فيه ، وأوقد أصابعه شموعا من أجلها ، ثم أخفق فى ارضاء رغبة ما - قد لاتعرفها هى ، ولكنها تطالبه بأن يكون هو على دراية بها - لو حدث هذا ، لنفرت الفاتنة من عاشقها ، دون ان تلام على ذلك !

ان وظيفة العاشق هى وظيفة متسلق الجبال ، وظيفة المحارب ، وظيفة البهلوان ، وظيفة الأمير ، وظيفة الحقير ، وظيفة الملك ، وظيفة الصعلوك، وظيفة العابد، وظيفة الدجال، وظيفة الكذاب ، وظيفة المنافق ، وظيفة الرقيع ، وظيفةالأبله، وظيفة الماكر . . انها وظيفة رفضها المسيح ، وعلى خطته سار كثيرون ذوو عقول راجحة !

انها حرفة يضطر فيها الرجل الفاضل الى ان ينفق كل وقته وحياته ودمه ، فضلا عن قلبه وروحه وعقله ، وكل شىء فيه . . لأن النساء خلقن هكذا ، وهن فى كل مكان وزمان ما يفتأن يطمعن فى ان يمتلكن الرجل بأجمعه ! . . وتلك هى الشريعة الغالبة بين نساء باريس، اكثر منها بين نساء أى مكان آخر فى الأرض . . اذ انهن يتلقين تعاليمها وهن بعد فى بطون أمهاتهن ، فهن - لذلك - شريرات بالميلاد ، أو بالطبيعة !

وقد كان صاحبنا الصائغ مشغولا دائما بعمله ، فلم يكن لديه وقت لكى يؤجج نزواته ، أو يضيع أيامه فى الآثام ، او يجرى وراء النساء، لا سيما وانه كان يدرك أن وجود العذارى العفيفات فى باريس ليس أكثر احتمالا من وجود العنقاء !..

وكان عفيفا بفطرته ، ولـكنه ــ مع ذلك ــ لم يكن يستطيع أن يغمض عينيه عن مفاتن الطبيعة التى أسبغها الله فى وفرة وكرم على كثيرات من السيدات اللاتى كان يتلطف فى الحديث معهن وهو يشرح لهن محاسن جواهره .. لا سيما وانهن كن يبذلن كل ما فى أنوثتهن من فتنة واغراء ، كى ينلن منفعة منـه !.. وهكذا كان التورينى الفاضل يعود الى بيتـه ، حالما كشاعر ، متململا كطـائر الوقوق الذى لايستريح . . ويروح يردد لنفسه : « ينبغى ان أتخذ لى زوجة ! »

ثم ينطلق يحلم بليـلة الزواج ، بحفلة العـرس ، بتجميل العروس ، بالباسهـا ثوبا فاخرا ، باهدائها سلسلة ذهبيـة ، بالتعبد لها من قمة رأسها الى أخمص قدميهـا ، باعطائها كل سلطة فى المنزل ـ ما عدا سلطة التصرف فى النقود ! ـ بتخصيص غرفة صغيرة جميلة لها فى الطـابق العلوى ، تكون ذات نوافذ بديعة ، وتزدان بستائر من القماش المزركش ، وبها سرير كبير محلى بالرسوم الرائعة ، ذو أعمدة مستديرة وأغطية من الحرير الأزرق .. ولسوف يشترى لها مرايا ثمينـة . . ولا بد أن يكون ثمة «دستة» من الأطفال ، يحيونه عند عودته الى البيت!

ثم يفيق من حلمه ، فتتلاشى الزوجة والأطفال فى الغيوم.. ولا يلبث أن يحيل تصوراته تلك الى رسـوم خلابة ، ويشكل تخيلاته الغرامية فى صور مصوغات عجيبة ، تأسر ألباب الذين يقبلون على شرائها . . وهم لايعلمون كم من زوجات وأطفال ذابوا فى تحف ذلك الصائغ اللطيف العفيف ، الذى كان يعـانى فى حياته من الكرب والاضطراب ، بقدر ما وهبه الله من عبقرية فى فنه وصنعته !.. ولو لم يكن الله قد شمله اخيرا برحمته ، لكان قد غادر هذا العالم دون ان يعـرف ما هو الحب !.. او لعله كان يعرفه ، ولـكن من غير تلك التحولات التى تطرأ على الجسم البشرى ، كما قال السيد أفلاطون !

* * *

• **والآن** ، لنمض فى قصة الصائغ دون مزيد من الاستطراد أو التعقيد .. واليك ما وقع له حين كان فى الحادية والأربعين

ففى أحد أيام السبت ، اذ كان يسير على الضفة اليسرى لنهر (السين)، منطلقا وراء فكرة خيالية سيطرت فى ذلك اليوم على عقله ، صادفته روضة هنالك يسمونها الى اليوم روضة (بريو كلارك) ، وكانت فى ذلك الوقت من أملاك دير « سان جيرمان » . . فدلف اليها ، وظل يجول بين انحائها ، حتى ألفى نفسه آخر الأمر بين الحقول المترامية المكشوفة . . وهناك صادفته فتاة صغيرة فقيرة ، فما ان رأته يلبس لباسا حسنا ، حتى اقتربت منه قائلة له : « لتحفظك السماء ياسيدى ! »

وكان لصوتها ــ وهى تقول ذلك ــ عذوبة عاطفية جعلت الصائغ يشعر بروحه تتسرب من بين جنبيه ، وقد تعلقت بذلك النغم الأنثوى الحنون ، واستولى عليه شعور سحرى قوى جذبه نحو الفتاة .. ولما كانت أفكار الزواج تضنيه، فقد خيل اليه ان ذلك الصوت بدد شيئا من حيرته . . الا أنه بعد أن كان قد تجاوز مكان الصبية، لم يجسر على أن يعود اليها . . ولكنه حين ابتعد قليلا عاوده اعتداده بنفسه ، وراح يقول فى سريرته انه رجل معروف ــ منذ عشرة أعوام ــ بأنه من كبار الصاغة ، وقد أصبح ذا مكانة تؤهله لأن ينظر الى امرأة فى عينيها اذا قادته نزوته الى ان يفعل ذلك !.. ومن ثم فانه لم يلبث ان استدار فجأة وتقدم نحو الفتاة التى كانت تجر بقرتها الضامرة

وبادر «آنسو» الفتاة قائلا : « **آه يا جميلتى ، انك محرومة من أطايب هذا العالم، حتى ليضطرك العوز الى أن تعملى بيديك فى يوم الرب! الا تخشين ان يدفعوا بك الى السجن؟!**» .. فأجابت الفتاة مسبلة عينيها : « اننى لا اخشى شيئا ياسيدى، لأننى تابعة للدير ، وقد أعطانى السيد الأسقف اذنا بالخروج كى

أطوف بالبقرة بين المراعى بعد صلاة الغروب »

فقال لها : « أنت تحبين بقرتك اذن اكثر من خلاص روحك ؟ ! » . . فتنهدت قائلة : **« آه ياسيدى ، ان ماشيتنا هى نصف حياتنا البائسة ! »** . فنظر اليها فى عطف وقال لها : « اننى لتملأنى الدهشة يا فتاتى اذ أراك فقيرة ، وعلى بدنك ثوب مهلهل ، وتجرين هكذا حافية القدمين بين الحقول فى يوم السبت .. فى حين أنك تحملين بين عطفيك كنوزا أكثر من تلك التى ينقب عليها الناقبون ارض الدير. فقولى لى : ألم يتعقبك شبان المدينة ويبثونك غرامهم ؟! » .. فهتفت : « أوه ! .. لم يحدث ذلك مطلقا ياسيدى ، فاننى مملوكة للدير »

وكشفت للصائغ عن طوق حول ذراعها اليسرى ، كذلك الذى يوضع فى اعناق الماشية ، وان كان بغير اجراس .. ثم ألقت نظرة حزينة على رجل المدينة الذى امتلأت نفسه حزنا، فقال لها ، وقد تملكته الرغبة فى ان يسمع كل شىء عنها : « وماذا يعنى هذا ؟ » . واشار الى الطوق الذى كان شعار الدير منقوشا عليه . فأجابته قائلة : **« اننى ياسيدى ابنة عبد من عبيد هذا الدير .. ومن ثم فان أى رجل يتزوجنى ، يصبح عبدا كذلك ، ولو كان من المواطنين الأحرار ، فيصير مملوكا هو وكل أمواله للدير .. واذا هو أنجب منى أطفالا ، فانهم يصيرون كذلك ملكا للدير! ولذلك فقد تجنبنى كل الناس، وتركونى كحيوان بائس من حيوانات الحقول !.. والذى يزيد فى تعاستى اننى قد أصير ــ طبقا لمشيئة السيد الأسقف ــ زوجة لأحد العبيد .. وهكذا ترى ان منظر هذا الطوق يجعل أشد الناس عشقا لى ، يفرون منى ! »**

قالت ذلك وسحبت بقرتها بالحبل لتستأنف السير ، ولكن الصائغ عاد يسألها قائلا : « وكم من السنين يبلغ عمرك ؟ » . فقالت : « لا أعلم ياسيدى .. الا ان سيادة الأسقف يعرف ذلك ! » . . ومس ذلك البؤس قلب الرجل النبيل ، فواصل

السير الى جوار الفتاة فى اتجاه النهر ، وقد سادهما صمت أليم . وبين الفينة والفينة ، أخذ الرجل الصالح يختلس النظر الى الرأس البديع ، والذراعين الورديتين الملتفتين ، والصدر الذى كان يحكى صدر ملكة ، والقدمين اللتين كانتا تشبهان قدمى فينوس ، وان كانتا موحلتين !

ولقد تسرب خيال الصائغ العفيف الى النهدين الجميلين المستورين — فى حشمة — خلف الثوب المهلهل القديم ، فنظر اليهما كما ينظر التلميذ الى تفاحة وردية فى يوم صيف . . والحق ان هاتين « الرابيتين » الصغيرتين من روابى الطبيعة ، كانتا تستقران فوق الصدر اليافع ، وكأنهما تعلنان عن أنوثة بكر فى قمة جمالها ، وأوج اكتمالها !

واذ دار رأس « آنسو » بخمر الفتنة ، قال لها : « ان لك بقرة جميلة ! » . . فأجابته : « هل لك فى قليل من اللبن ؟ . . انه لساخن جدا فى تلك الأيام الباكرة من شهر مايو . . وانك لبعيد عن المدينة ! » . . والحق أن كل شىء كان متألقا بالشباب : اوراق الشجر الخضراء ، ونسمات الهواء العليل ، والصوت الحنون الذى انبعث من فتاة الدير . وأسكر كل هذا الصائغ ، فهتف : « كلا ياصغيرتى . . فما الى اللبن أنا عطشان ، وانما اليك أنت ! لكم أود لو أطلقك من اسار عبوديتك ! »

فقالت له : « هذا ما لا سبيل اليه ، ولسوف أموت وأنا مملوكة للدير . . فمنذ سنين طويلة عشنا هكذا ، من الأب الى الابن ، ومن الأم الى الابنة ! وكمثل أسلافى التعساء ، سوف أقضى أيامى على هذه الأرض ، وهكذا سيفعل أولادى ، لأن الأسقف لايملك — حسب الشريعة — أن يدعنا نمضى فى سبيلنا ، أو نسترد حريتنا وسعادتنا »

فقال لها : « ماذا ؟ أما من رجل شهم أغرته عيناك المتألقتان على أن يشترى حريتك ، كما اشتريت أنا حريتى من الملك ؟ » . فأجابته قائلة : « ان ذلك يتطلب ثمنا باهظا ، ولذلك فان

أولئك الذين يعجبون بى من أول نظرة ،يذهبون ولا يعودون!» .. فسألها : « أو لم تفكرى قط فى أن تهربى الى بلد آخر مع أحد العشاق ؟ » .. فهتفت : **« لو أنهم قبضوا على ـ اذذاك ـ فلن يملكوا الا أن يشنقونى .. أما فارسى ، فلسوف يفقد جزاء ذلك أملاكه وألقابه ، ولو كان من أكبر النبلاء ، وهذا عدا ما يصيبه من أمور أخرى ! .. وفضلا عن ذلك ، فان للاسقف ذراعين أطول من خطوات قدمى حين أجرى بأقصى سرعة !»**

وعرف « آنسو » من الفتاة ان اباها كان يتعهد الكروم فى حدائق الدير ،بينما كانت أمها تعمل غسالة هناك .. وما لبث أن سألها عن اسمها ،فقالت له : « لا اسم لى ياسيدى العزيز ، وانما اسم المعمودية لوالدى هو اتيين ، وكذلك تدعى أمى اتيين .. على أنهم يدعوننى تينيت » .. فقال لها الصائغ : « أيتها الفاتنة .. ما من امرأة أدخلت السرور الى نفسى كما فعلت أنت ، وانى لواثق من أن قلبك ينطوى على ثروة من الفضيلة .. ولما كانت عيناى قد وقعتا عليك فى ذات اللحظة التى حزمت فيها أمرى على أن أتخذ رفيقة لى ، فتلك اذن علامة من السماء ! .. فهل تتخذيننى صديقا لك ؟ »

واسبلت العذراء عينيها ، فقدفاه الفتى التورينى بتلك الكلمات فى نغمة مؤثرة جدا ،حتى أنه عندما قالها ، انفجر باكيا. وأجابت أخيرا : « كلا يا سيدى .. فاننى سأكون سببا فى ألف مشكلة لك ، وسوف أغدو علة لتعاستك وسوء حظك . . ان قولك هذا كثير بالنسبة لجارية ! » .. فصاح آنسو : « كلا ، كلا ! فانك لا تعرفين يا طفلتى الرجل الذى تتحدثين معه »

ثم ركع على قدميه ، وضم قبضتى يديه وقال : **«انى لأقطع على نفسى عهدا للقديس الوا ، شفيع الصاغة ، فأعده بأن أصوغ تمثالين من الفضة الخالصة ، مودعا فيهما كل ما اوتيت من براعة وفن ـ أحدهما للسيدة العذراء ، شكرا لها على خلاص زوجتى العزيزة من أسر العبودية ، والثانى لشفيعى**

سان الوا ــ لو أننى وفقت فى مسعاى لتحرير الجارية تينيت الماثلة أمامى ، معتمداً على معونتـه ، وقوة شفاعته .. كما أقسم بخلاصى الابدى ان أتذرع بالشجاعة فى السعى الى هذه الغاية ، وأن أنفـق كل ما أملك ، وأن أبذل فى هـذا السبيل روحى وحياتى ! .. فليشهد الله على ما قلت ، ولتشـهدى أنت كذلك يا صغيرتى ! » . ثم تقدم الى فاتنته قائلا : « بربك يا جميلتى ، اذا قصدت الى المدينة ، فتعالى الى بيتى ،هنالك فى مواجهة كنيسة سان ليو ! .. ان اسمى هو « آنسو » ، ومهنتى صائغ ملك فرنسا ، وشفيعى سان الوا . والآن ، عدينى بأن تكونى فى هذا الحقل فى يوم الرب المقبل .. ورجائى أن لا يعوقك عن المجىء شىء ، حتى لو أمطرت السماء طيورا مذبوحة ! »

فأجابته قائلة له : « نعم ، سأحضر يا سيدى العزيز ، وفى سبيل ذلك سأقفز من فوق الأسوار ، ومن أجل خاطرك سوف أهبك نفسى دون أن ألحق بك سوءا أو أسبب لك حزنا ، فى نظير ما وعدت أن تفعله من أجلى .. وفى انتظار اللحظة السعيدة سوف أصلى للرب من أجلك ! » . وظلت واقفة كقديسة من الحجر ، حتى غاب عن بصرها المواطن الفاضل ، بخطوات وئيدة مطمئنة .

* * *

• **عندما** عاد الصائغ الطيب القلب الى بيته ، لم يعد فى مقدوره ــ من فرط عاطفتــه ــ أن يأكل أو يشرب ! . وأغلق حانوته ، اذ لم يعد يقوى على أن يفعل شيئا أو يفكر فى شىء ، اللهم الا فى حبيبته الفاتنة . ولم يعد يرى فى كل مكان الا صورتها ، فأصبحت تتراءى له فى كل شىء يقع عليـه بصره .. وما عاد فى ذهنه الا فكرة واحدة ملأت الدنيا عليـه ،وهى ان كل شىء بالنسبة اليه الآن هو أن يحوز لنفسه تلك الفتاة .. بأية وسيلة، وبأى ثمن !

فلما جاء الغد ، انطلق ــ بخوف عظيم ــ الى الدير كى يتكلم مع السيد الأسقف ، ثم طرأت عليه فى الطريق فكرة مفاجئة ، هى أن يلجأ لمعونة أحد رجال حاشية الملك .. وبهذه الفكرة عاد الى البلاط ! .. ولما كان حائزا لتقدير الجميع هناك لحذقه وفطنته ، ومحبوبا لأعماله الكريمة وتصرفاته الرحيمة ، فقد استمع الى قصته كبير أمناء الملك ــ وكان قد صنع له فى أحد الأيام حلية ذهبية مطعمة بالجواهر الكريمة كى يهديها الى احدى سيدات البلاط ــ ووعده بمساعدته .. وبالفعل ، أمر لفوره بجواد مطهم لنفسه ، كما جاء بجواد آخر للصائغ ، وانطلق معه الى الدير ، حيث طلب مقابلة الأسقف ، الأب « هيجون دى سينيكتير » ، وكان فى الثالثة والتسعين من عمره

وعندما دخل الأسقف ، تقدم اليه كبير الأمناء ملتمسا منه أن يعده مقدما بأن يبيعه شيئا من اليسير عليه أن يبيعه ، ويسره هو أن يشتريه .. فأجابه الأسقف بأن القوانين تمنعه منعا باتا من أن يربط نفسه مقدما بالتزام لا يعلمه !

واذ ذاك قال كبير الأمناء : **« أنظر يا أبى العزيز .. ان صائغ البلاط قد وقع فى حب عظيم لاحدى الجاريات التابعات لديرك .. وانى لأرجوك أن تعتق هذه الفتاة »** .. فسأل الأسقف : « أى واحدة منهن ؟ » .. فقال الصائغ : « ان اسمها تينيت » . وهنا قال هيجون الشيخ باسما : **« أوه ، لقد صاد الشص لنا سمكة كبيرة ! .. انه لأمر خطير ، وانى ــ أنا نفسى ــ لأجهل ماذا أفعل بصدده ! »**

فقطب كبير الأمناء حاجبيه وقال : « انى لأعلم يا أبى ماذا تعنى بهذه الكلمات » .. فقال الأسقف : « حسنا ياسيدى .. هل تعلم ماذا تساوى هذه الفتاة ؟ » .. ثم أمر باحضار تينيت ، هامسا فى أذن خادمه بأن يلبسها أحسن أرديتها ، وأن يجعلها تبدو جميلة بقدر الامكان !

وعندئذ قال كبير الأمناء للصائغ ، وقد انتحى به جانبا :

« ان حبك فى خطر .. وانه لخير لك أن تنسى هذا الخيال الذى سيطر عليك .. ففى استطاعتك أن تعثر فى أى مكان - حتى فى البلاط الملكى - على سيدات ثريات ، يافعات ، رائعات ، يقبلن أن يتزوجنك عن طيب خاطر .. كما ان فى امكانك - ان وجدت لذلك ضرورة - أن تلتمس لهذه الغاية مساعدة الملك ، الذى يمنحك ، اذا شئت ، لقبا يتيح لك مع الوقت أن تجد عائلة كريمة يسرها أن تمنحك احدى بناتها .. أو لست مزودا بالمال الكافى لأن تعثر على أسرة نبيلة ؟ »

فأجاب آنسو : « أنا لا أعلم يا سيدى .. ولكنى ادخرت بعض المال » . فقال له كبير الأمناء : « فكر اذن فيما اذا كان فى امكانك أن تشترى حرية هذه الفتاة .. انى لأعرف الرهبان ، فالمال - فى التعامل معهم - ييسر كل شيء ! »

وحينئذ اتجه الصائغ الى الأسقف قائلا له : « يا سيدى ، ان منصبك يقتضى أن تكون هنا ممثلا لارادة الله الذى هو حليم ورؤوف نحو البشر ، ولديه كنوز لا تحصى من الرحمة والعطف على الآمنا .. ولسوف أذكرك كل مساء وكل صباح فى صلواتى ، ولن أنسى أبد الدهر أننى نلت سعادتى على يديك ، لو انك عاونتنى فى الحصول على هذه الفتاة لكى تكون زوجة لى ، دون ان تلحق العبودية بالأطفال الذين ينتجون عن هذا الزواج . **وانى من أجل ذلك لأعدك بأن أصنع لك آنية للقربان المقدس ، مصوغة من الذهب الخالص ، ومطعمة بالجواهر الكريمة ، ومزخرفة برسوم الملائكة ذوات الأجنحة** .. ولن يكون لها مثيل أبدا فى كل كنائس الأرض .. ولسوف تبقى على الدهر تحفة لن يجود بمثلها الزمان ، وتكون مجدا لهيكلك ، حتى ليسرع أهل المدينة والنبلاء الأجانب متزاحمين لكى يروها .. ولسوف يشهدون جميعا بأنها أنفس ما أبدعت يد فنان ! »

فأجابه الأسقف قائلا : « يا بنى ، هل فقدت عقلك ؟ .. **ان كنت حقا قد عقدت العزم على أن تحصل على هذه الصبية**

زوجة لك ، فانك تصبح وأموالك ملكا للدير ! » .. فقال الصائغ ، وقد طفرت الدموع من عينيه : « نعم ، يا سيدى ، اننى أغرمت بهذه الفتاة غراما شديدا ، وقد مس قلبى بؤسها ، ونفسها الطاهرة ، أكثر مما مسته اية ميزة أخرى من مزاياها ! الا اننى ما زلت فى دهشة من فرط قسوتك .. وانى لأقولها رغم انى أعلم أن مصيرى ونصيبى فى هذه الدنيا بين يديك .. نعم ، يا سيدى ، اننى لأعرف القانون ، وأعلم اننى اذا غدوت عبدا لك ، ووقعت أملاكى فى حوزتك ، فان لى الحق مع ذلك فى أن أستبقى أداة فنى ومهنتى ، التى هى هنا »

وصاح ضاربا جبهته بيده مسترسلا فى قوله : **« نعم .. هى هنا ، فى مكان لا سلطة لأحد غيرى عليه ، الا سلطة الله ! وكل ديرك لا يساوى ثمن التحف التى يبتدعها ! .. ان فى امكانك أن تستولى على جسدى .. على زوجتى .. على أولادى .. ولكنك لن تستطع أبدا أن تستولى على أداة عملى .. كلا ، ولن يمكنك أن تعذبنى ، لأننى أكثر صلابة من الحديد ، وأقدر على احتمال الآلام مهما تشتد الآلام ! »**



وأغاظه وأحقنه هدوء الأسقف ، فاشتد هياجه ، وقبض بجماع يده على مقعد من خشب البلوط وأهوى به على الأرض فأحاله الى شظايا .. ونظر الى الأسقف قائلا له : « أنظر ، أيها السيد الأسقف ، أى نوع من الرجال تريده أن يكون عبدا لك .. وأى فنان عبقرى تريد أن تجعل منه حصانا لعربتك ! »

فأجابه الأسقف قائلا له : « يا بنى .. لقد حطمت مقعدى

بغير حق ، وحكمت على عقلى بدون ترو . ان هذه الفتاة تتبع الدير ، وليست تابعة لى أنا ، فما أنا الا الخادم المخلص الأمين لحقوق وتقاليد هذا الدير العظيم .. ولو أننى أعطيت هذه المرأة ترخيصا بأن تحمل أطفالا أحرارا ، فاننى أكون مسئولا عن ذلك أمام الله ، وأمام الدير .. فما حدث قط — منذ أن كان هنا هيكل ، وعبيد ، ورهبان ، من زمن غير معلوم — أن مواطنا أصبح من أملاك الدير بزواجه من احدى الجاريات .. فثمة ضرورة اذن لاستعمال هذا الحق ، والانتفاع به ، حتى لا يسقط ، أو يضعف ، أو يبلى ، أو يؤول الى الاهمال ، مما قد يسبب الف اشكال ! انه لمن المفيد أعظم الفائدة للدولة وللدير أن يكون لنا كنز يمكننا من ان نشترى ما نشاء من الجواهر النادرة .. ولكن ، ليس ثمة كنز من كنوز الأرض أثمن من ارساء قواعد التقاليد والقوانين ! وانى لأرجو من كبير أمناء الملك أن يشهد بالمصاعب والمتاعب الهائلة التى يعانيها جلالته كل يوم لكى يوطد ويؤكد احترام أوامره ! »

* * *

• **وأدرك** كبير الأمناء ان الأسقف أراد احراجه ، كى يغلق فمه . أما الصائغ ، الذى لم يكن متعلما تعليما كافيا ، فقد غرق الى أذنيه فى التفكير . وفى هذه اللحظة جاءت « تينيت » ، مزدانة كعروس فى ليلة زفافها ، نظيفة كدبوس جديد ، وقد عقص شعرها الى أعلى كأنه التاج ، وارتدت ثوبا من الصوف الأبيض ، ذا زنار أزرق ، ولبست حذاء رشيقا وجوربا حريريا .. **وفى الحق انها كانت فى جمال الملكات ، وكانت ذات مهابة فى سلوكها وسيمائها ، حتى لقد جمد الصائغ فى مكانه من فرط الذهول ، اذ وقع نظره عليها ، كما أن كبير الأمناء لم يسعه الا أن يعترف بأنه لم ير قط مخلوقا كامل الجمال بهذه الصورة !**

واذ اعتقد أن ثمة خطرا كبيرا فى هـذا المنظر على الصـائغ المسكين ، بادر الى سحبه من ذراعه ، عائدا به الى المدينـة ، ورجاه ألا يعود الى التفكير فى هذه الفتاة ، طالما أن الدير لم يكن راغبا فى أن يفلت من يده طعما لذيذا الى هذا الحد ، للمواطنين ونبلاء المجتمع الباريسى . والواقع ـ فعـلا ـ ان ادارة الدير تركت العاشق يفهم أنه اذا هو تزوج هذه الفتاة ، فلا مفر له من أن يسلم كل ممتلكاته ومنزله الى الدير ، وأن يعتبر نفسه عبدا من عبيده ، هو واولاده الناتجون من هذا الزواج ، الذى كان يتلهف عليه .. وان كان سيادة الأسقف قد تلطف ، فسمح له ـ بصفة خاصة ـ بأن يحتفظ بمنزله ، على شرط أن يحرر قائمة بأثاثاته ، ويدفع أجرة سنوية عنه ، ويأتى ـ خلال ثمانية أيام ـ ليعيش فى خيمة مجاورة لأملاك الدير ، وأن يقوم بأداء بعض أعمال الخدمة فى داخل الدير

وقد تأكد الصائغ ـ مما سمعه من جميع الناس عن شراهة الرهبان ـ ان الأسقف سوف يصر على هذه الشروط كلها ، ولذلك امتلأت نفسه باليأس والقنوط ، حتى أنه ، فى سـاعة من ساعات الضيق والحنق ، قرر أن يحرق الدير .. وفى ساعة أخرى فكر فى خطة يمكنه بها أن يستدرج الأسقف الى مكان منعزل ، وهنالك يظل يعذبه حتى يوقع أمرا بتحرير «تينيت» .. وعلى هذا المنوال تواترت على عقله ألف فكرة ، الا انها سرعان ماتبخرت . **وأخيرا ، وبعد كثير من النحيب ، استقر عزمه على أن يختطف الفتـاة اختطافا ، ويفر بهـا الى مكان أمين ، حيث لايتسنى لمخلوق أن ينتزعها منه** .. وقـد رتب أمره لتنفيذ هذه الخطة ، واثقا من ان فى وسع اصدقائه ـ اذا ما صـار خارج المملكة ـ ان يشددوا النـكير على الرهبان ، حتى يردوا اليهم عقولهم !

* * *

• **على ان** الرجل الطيب لم يضـع فى حسـابه الاحتمالات

التى قد تنشأ عن تصرف الأسقف بعد الذى حدث .. فلما ذهب الى الحقل كى يقوم بتنفيذ خطته ، لم يجد هناك فاتنته التى كانت قد وعدته بأن تلتقى به فى ذلك المكان . وانطلق كالمعتوه يستقصى جلية الأمر ، فعلم أن الأسقف قد حبسها فى الدير ، ولم يعد يسمح لها بالخروج فى أى وقت من أوقات النهار أو الليل !

ولم يجد المسكين ما يمكن أن يفعله الا أن يعود أدراجه الى المدينة — وهو فى حالة يأس عظيم — وأن يغلق عليه أبواب بيته ، وينخرط فى بكاء أليم ، متواصل . وراح كل من فى المدينة من رجال وسيدات يتحدثون عنه ويروون قصته. وقد انتشر أمره انتشارا عظيما فى كل الأوساط ، حتى بلغ أسماع البلاط ، فبادر الملك — من فرط اهتمامه — بطلب الأسقف كى يحضر اليه . فما مثل بين يديه حتى سأله عن السبب فى عدم مراعاته ظروف الحب العظيم الذى كان صائغ القصر يعانيه ، قائلا له فى استنكار : « لماذا لم تراع فى تصرفك سماحة الدين المسيحى ؟ »

فأجاب الكاهن قائلا : « لأن كل الحقوق يا مولاى مرتبطة ومتشابكة بعضها بالبعض الآخر ، كما تتشابك حلقات الحديد فى درع الفرسان ، حتى اذا سقطت احداها تفككت الدرع كلها .. **فاذا أخذ انسان هذه الفتاة منا رغم ارادتنا ، ضاربا عرض الحائط بالقوانين والتقاليد فى كل تاريخنا التليد ، فان رعاياك سرعان ما يأخذون عنك تاجك ، ويرفعون عليك راية العصيان ، مثيرين الفتنة فى كل مكان ، ممعنين فى التمرد على كل سلطان ، ممتنعين عن دفع الضرائب والمكوس التى تثقل كواهل الناس .. وهكذا ينهار بنيان الدولة من أساسه فى يوم وليلة ! »**

واذ سمع الملك ذلك ، أغلق فمه وقد أفحمه الأسقف الماكر والجمه .. ولم تعد له حيلة فى انقاذ صائغه المسكين ، الذى

راح يقضي أيامه ولياليه فى التوجع والأنين .. وهكذا ازدادت الأمور تعقيدا ، وأصبح الأمل فى حل الاشكال بعيدا ، وقد اشتد اشتياق الناس لأن يعرفوا كيف تنتهى هذه القصة ، وازداد فضولهم، وكثرت تكهناتهم ، حتى ان كثيرين من النبلاء تراهنوا فيما بينهم على أن العاشق التورينى سينكص عن حبه ، ويتخلى عن حبيبته .. بينما تراهنت السيدات على أن عكس ذلك هو الذى سيكون !

أما الصائغ الولهان ، فقد تحول بشكواه الى الملكة ، قائلا لها ان الرهبان ــ القساة القلوب ــ بلغ من قسوتهم عليه أنهم أخفوا حبيبته عن عينيه .. واستنكرت الملكة ما فى هذه الفعلة من وحشية وفظاظة ، فأبدت استياءها للاسقف الذى لم يسعه ، أمام غضبها ، الا أن يأذن للتورينى بأن يذهب كل يوم الى قاعة الاستقبال فى الدير ، حيث كانت تأتى اليه « تينيت » تحت رقابة راهب كهل . . وكانت تأتى اليه على الدوام فى أبدع زينة ، وقد ارتدت ثوبا فاخرا كسيدة من سيدات المجتمع الرفيع .. **ولم يكن مباحا للعاشقين الا بأن يرى كل منهما الآخر ، وأن يتحدث اليه ،دون أن يكون فى امكانه اختطاف ذرة واحدة من مباهج الحب ولذاته الأخرى ..**الا أن حبهما كان ــ مع ما فى هذا الحرمان من قسوة ومرارة ــ يزداد مع الأيام قوة وحرارة !



* * *

• **وفى ذات يوم،** خاطبت تينيت حبيبها قائلة له : « يا سيدى

وحبيبى : لقد قررت أن أهبك حياتى حتى أعفيك من آلامك وأخفف عنك وطأة ما تعانيه فى لياليك وأيامك.. وذلك بوسيلة يمكننى بها أن أحافظ على حقوق الدير ، وأن أتيح لك فى ذات الوقت ما تشتهيه من سعادة ، اذ أبيح لك يا حبيبى أن تقطف ثمرة حبك .. فقد أفتى مستشار الدير بأنك اذا لم تكن عبدا بالميلاد ، وقدر لك أن تصبح عبدا بزواجك من احدى الواقعات فى ربقة العبودية ، فان عبوديتك تزول بزوال السبب الذى جعل منك عبدا .. **وبذلك فانك ان كنت تحبنى أكثر من كل الأخريات ، وتتخلى عن كل أموالك لكى تشترى سعادتى وسعادتك وتتزوجنى ، فاننى – بعد أن تنال بغيتك منى .. بعد أن تأخذنى بين أحضانك وتضمنى الى قلبك – سأبادر باختيارى وبمحض ارادتى الى قتل نفسى،وبهذا تعود حرا كما كنت !** .. وأما أنا ، فيكفينى أن أكون قد أسعدتك ، وهذا كل مناى ، وكل أملى فى دنياى .. ولسوف يصفح الله عنى ، اذ سببت الموت لنفسى فى سبيل أن أحقق الخلاص لزوجى وسيدى وحبيبى ! »

فصاح الصائغ : « ياحبيبتى تينيت .. لقد انتهى الامر ، ولسوف أغدو عبدا ، فتعيشين على قدر ما أعيش أنا ، لكى تكون بك سعادتى .. ففى رفقتك تغدو أثقل السلاسل خفيفة !.. ولن أصبو بعد الى اقتناء الذهب ، لان حبك سيكون كل ثروتى ، وجمالك سيكون سعادتى الوحيدة فى الحياة !.. انى لأضع نفسى بين يدى « سان الوا » ، الذى سيتفضل – فى هذه البأساء – فينظر الينا بعينين رحيمتين ، ويصوننا من كل شر ! والآن ، ها أنذا منطلق الى أحد الموثقين لانجاز الاجراءات والعقود.. فهونى عليك ياحبيبتى ، ويازهرة أيامى ، لأنك على الاقل ستلبسين لباسا فاخرا ، وتسكنين منزلا جميلا ، ويقوم على خدمتك الخادمات كملكة .. مادام الأسقف سيترك لى أرباح مهنتى ! »

واخذت تينيت تبكى وتضحك فى ذات الوقت ، وهى تحاول - مع ذلك - ان تتخلى عن ذلك الحظ العظيم الذى سقط عليها من السماء .. كانت مصممة على ان تموت ، مفضلة هذه النهاية المفجعة على ان تكون سببا فى ان يفقد رجلها حريته ويصير عبدا .. غير أن الصائغ النبيل، اذ همس اليها بتلك الكلمات الناعمة، وهددها فى عزم لايلين بأنه سيتبعها الى القبر ، اذا هى فعلت فعلتها ، لم تجد مناصا - أمام هذا التهديد - من ان توافق آخر الأمر على ذلك الزواج

وما ان ذاع خبر خضوع التورينى فى أنحاء المدينة ، وعرف الناس انه - من أجل حبيبته - نزل عن حريته وعن كل ثروته ، حتى اشتد اشتياق الجميع لأن يروا بأعينهم ذلك الرجل النادر المثال .. واقبلت سيدات البلاط ، يثقلن أنفسهن بالجواهر التى تزيد عن حاجتهن ، لمجرد أن يتحدثن اليه ، وتهافتت عليه نسوة كافيات لان يعوضن له كل ما فاته من المتع فى كل أيامه التى قضاها بغير نساء

حتى اذا اقتربت ساعة العبودية والحب ، أسرع آنسو فصهر كل ما لديه من الذهب ، وصاغ منه تاجا ملكيا، رصعه بكل ما لديه من جواهر كريمة. ثم سعى سرا الى الملكة، فقدمه اليها قائلا : « **يامولاتى .. اننى لا أدرى كيف يكون مصيرى فى هذه الحياة الجديدة التى أنا مقدم عليها ، فغدا يصبح كل ما فى بيتى ملكا للرهبان الملاعين ، الذين تخلو قلوبهم من أية رحمة نحوى .. فتفضلى اذن بقبول هذا التاج ، وانه لمقابل زهيد لما نلت من سعادة بفضلك ، اذ فزت بتلك المرأة التى اختارها قلبى .. واذا قدر لأولادى فى يوم من الأيام أن ينالوا خلاصهم من عبوديتهم ، فانى أتركهم وديعة بين يدى كرمك وعطفك !**

فصاح الملك قائلا له : « حسنا قلت أيها الرجل النبيل .. اما ذلك الأسقف فلسوف يأتى اليوم الذى يحتاج فيه الى

معاونتى ، ويومئذ لن أنسى هذا الذى صنعه معك ! »

★ ★ ★

• **وفى** يوم زفاف « تينيت » ، تزاحم جمهور غفير على كنيسة الدير ، واهدتها الملكة ملابس العرس ، ومنحها الملك اذنا بأن تلبس كل يوم أقراطا ذهبية فى أذنيها !.. حتى اذا سار موكب العروسين البديعين من الدير الى منزل آنسو — الذى أصبح منذ تلك اللحظة عبدا ـ كان ثمة مشاعل متوهجة فى النوافذ ، ليرى الناس على ضوئها موكب الحب الخالد .. واصطف المواطنون على جانبى الطريق ، وكأنهم اقبلوا — من كل أنحاء المدينة — للاحتفال باستقبال ملكين. وكان الزوج قد صنع لنفسه طوقا من الذهب أحاط به ذراعه اليسرى ، دليلا على أنه قد أصبح عبدا لدير سان جيرمان .. **الا ان الناس راحوا يحيونه ـ رغم عبوديته ـ ويحتفون به ، ويهتفون له ، وكأنهم يهتفون لملك جديد متوج !.. وكان هو ينحنى لهم شاكرا ، سعيدا بما كانوا يبدونه من الحفاوة ، وبما راحوا يظهرونه من اعجاب لا حد له بجمال حبيبته ورشاقتها وأناقتها ، وحسن سيمائها ، وفرط حيائها وحشمتها ..** وتقدم أعيان المدينة ووجهاؤها ، ملوحين له صائحين اليه بين أنغام الموسيقى : « لسوف تبقى — رغم أنف الأسقف — نبيلا ، على الدوام ! »

فلما وصل العروسان السعيدان الى بيت الزوجية ، وأغلقا الباب خلفهما ، أقبلا يتبادلان العناق ويطفآن الاشواق ، ويرشفان من رحيق الحب أحلى ما تذوقه فى يوم من الايام عاشق من العشاق .. وهكذا عاشا معا ، شهرا كاملا ، سعيدين كيمامتين تبنيان عشهما فى فصل الربيع !

حتى اذا مر شهر الزهور ، اذا بالأسقف الشيخ — مولاهما وسيدهما — يقبل فى موكب عظيم عليهما ويقول لهما :

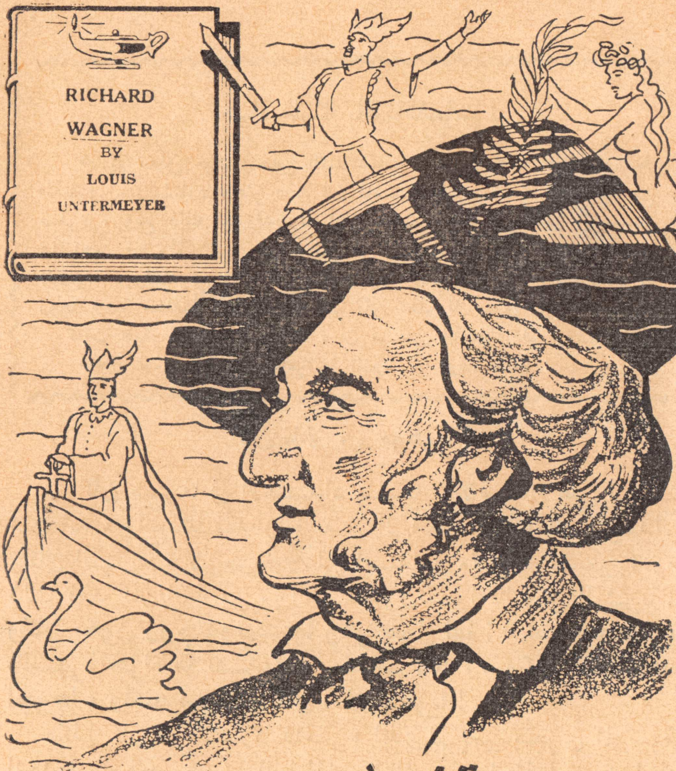
« ياولدى .. لقد أعتقتكما من العبودية ، وأطلقتكما من كل القيود ، فأنتما منذ اليوم حران ومواطنان كريمان !.. وانى لأقول لكما الحق ، انى منذ بداية الأمر تأثرت تأثرا عظيما بالحب الذى جمع بينكما.. **واذا كنت قد راعيت تقاليدالدير، التى كان من واجبى ان أعنى بالمحافظة عليها، فاننى قد عقدت العزم على ان أرد لكما سعادتكما ، بعد ان برهنتما على اخلاصكما ، ونجحتما فى اجتياز الامتحان الذى عقده الرب لكما ! »**

قال الأسقف ذلك ثم ربت على خديهما، فركعا على ركبتيهما، وقد انبثقت من أعينهما دموع الفرح .. وسرعان ما انطلق الصائغ كى يزف الخبر السعيد الى جيرانه، فما ان سمعوا به حتى اندفعوا الى الشارع كى يتلقوا البركات من الأسقف الطيب هيجون . وأمسك آنسو بعنان جواد الأسقف، وودعه حتى باب المدينة .. وكان اثناء ذلك ممسكا بحقيبة من الفضة ينثر منها على الفقراء والمعوزين ، وهو يصيح قائلا : « المجد للرب ! الرب ينجى الأسقف ويحفظه ! يعيش الأسقف العظيم هيجون ! » . واذ عاد الى منزله ، أعد وليمة فاخرة لكل أصدقائه ، ثم اقام احتفالات زواج جديدة ، استمرت اربعة عشر يوما

أما الأسقف ، فقد تلقى اللوم من ادارة الدير بسبب رأفته بالعاشقين ، اذ فتح الباب امام تلك الغنيمة الطيبة فتسنى لها بذلك ان تفلت ! وحدث ــ بعد مرور عام من وقوع هذه الأحداث ــ ان سقط الأسقف هيجون مريضا ، فقال له رئيس الأساقفة ان هذا انما هو عقوبة من السماء لانه فرط فى الحقوق المقدسة للدير وللرب !.. فأجابه الأسقف قائلا : « اننى عاملت ذلك الرجل بحق .. ولسوف لاينسى هذا الصنيع ! »

وبالفعل ــ وقد تصادف ان كان ذلك اليوم هو ذكرى مرور العام الأول على الزواج ــ أقبل أحد الرهبان معلنا ان الصائغ

يرجو من الأسقف أن يسمح له بالمثول بين يديه .. وسرعان ما أذن الأسقف له بذلك.. **فدخل اليه ، ووضع أمامه تحفتين رائعتين لم يتسن لفنان – حتى ذلك الوقت – ان يبدع مثلهما فى أى ركن من أركان العالم المسيحى ! وقد سماهما « نذر الحب الخالد » !.. وهاتان التحفتان – كما يعلم الجميع – موضوعتان الى اليوم على مذبح كنيسة الدير ، ومعتبرتان كنزا لايقدر بثمن ، اذ كان الصائغ قد وضع فيهما كل ثروته .**
الا ان هاتين التحفتين ، وان كانتا قد أفرغتا كيس دراهمه ، الا انهما سرعان ما ملأتاه مرة اخرى ، حتى فاض المال على جوانبه .. فقد كانتا سببا فى ازدياد شهرة التاجر ، ومن ثم فى تضاعف ثروته ، حتى أصبح فى امكانه ان يشترى لقب نبيل، وان يقتنى ارضا واسعة .. وهكذا أسس أسرة آنسو ، التى طبقت شهرتها الآفاق ، وحازت شرفا كبيرا فى مدينة تورين الجميلة !



ريتشارد

فاجنر

الموسيقي الذي كان يهوى زوجات الآخرين !

حياة مليئة بالمتناقضات !

◆ لم تحفل حياة شخص بالمتناقضات ، كما امتلأت حياة الموسيقى العبقرى « ريتشارد فاجنر » : كان فاشــلا فى دراسته الموسيقية فى صغره ، ومع ذلك فقد قدر له ان يحدث انقلابا فى عالم الموسـيقى والتلحين .. ولقد كرس حياته لفن من أرفع الفنون التى تسمو بالنفس البشرية ، ولكنه مع ذلك كان ينحدر وراء أدنى النزوات .. وكانت له زوجة وفية مخلصة ، ومع ذلك فلم تكن تحلو له سوى زوجات سواه
كانت حياة أشبه بالاسطورة ، ان لم تفق الاساطير فى روعة الخيال .. فتعال نعش معا فى مغامراتها المثيرة .. وقتا مثيرا !

كان نذلا .. موهوبا !

◆ **كان** مسرفا فى الاعتـداد بنفسه والاقبـال على ارضـاء شهواته ، ومع ذلك فقد راح يدعو الى انكار الذات والى الزهد! .. وكان انتهازيا ، لا يحرص على استقامة ولا يأبه لضمير ، ومع ذلك فقد كان نابغة فن من اكثر الفنون سموا بالنفس البشرية .. **وكان يخون زوجته ويخدعها وهو يقول لها : ((لسوف تظفرين بالشهرة جزاء ما تعـانين من عذاب !)) .. وكان مسـتجديا لجوجا ، ولكنه مع ذلك كان نذلا موهوبا !**

هكذا كان «ريتشارد فاجنر» الذى لم يغير مجرى الموسيقى الحديثـة فحسب ، وانما اقام كذلك صرحا باقيا صمد لـكل هجوم شنه عليه خصوم صاحبه ـ فى حياته ـ ولـكل انتقاد انطوى على ضغينة وحسد ، ولكل تقلب فى الميول بعد حيـاة صاحبه !

فى رعاية زوج أمه

◆ **وكانت** حياته مليئة بالمتناقضات ، منذ مولده .. فقـد ولد فى ٢٢ مايو سنة ١٨١٣ بمدينة (ليبزيج) ، وعمـد باسم

« فيلهيلم ريتشارد فاجنر » ، ولكنه نبذ « فيلهيلم » قبل ان يبلغ العشرين . ولقد كان اسمه من اول الأمور التى اثارت الجدل بين من عنوا بسيرته .. ذلك لأن شهادة ميلاده تشير الى ان اباه كان كاتبا بأقسام البوليس ، يدعى « كارل فريدريك فاجنر » . وقد توفى هذا الأب بعد مولد ابنه التاسع ـ وهو ريتشارد ـ ببضعة أشهر ، فلم تصبر زوجته على الترمل لأكثر من بضعة أشهر اخرى ، ثم تزوجت من فنان كان يجيد الرسم والتأليف المسرحى والتمثيل ، ويدعى « لودفيج جيير » .. ولقد عرف هذا الفنان بأنه كان ينحدر من أصل يهودى ، وبأنه كان صديقا لأسرة « فاجنر » ، وكان مدلها فى هوى ربتها ، حتى انه لم يتردد فى أن يتزوجها ـ بعد ترملها ـ رغم ان هذا الزواج ألزمه بأن يعولها مع الأطفال السبعة الذين بقوا من أبناء « فاجنر » التسعة .. **ولم تنقض ستة اشهر ـ فقط ! ـ على زواجهما ، حتى انجبت له ابنة اسمياها « كاشيليا » !**

وكان « جيير » أبا صادقا الأبوة لأبناء سلفه ، لا سيما الصغير « ريتشارد » ، الذى اولاه محبة خاصة ، حتى لقد ذكر ريتشارد فى الكتاب الذى وضعه بعنوان « حياتى » ، انه : **« تولى تربيتى بأوفر عناية وحب ، وأبدى بجلاء رغبته فى ان يتبنانى .. وعندما التحقت بالمدرسة لأول مرة ، خلع على اسمه ، فظللت ادعى ـ حتى الرابعة عشرة من عمرى ـ باسم ريتشارد جيير »** .. ولم يسترد الصغير اسم « ريتشارد فاجنر » الا بعد موت الرجل . ومن المحتمل ان « الصبغة اليهودية » التى أصابته من جراء حمله اسم « جيير » كانت من اسباب عنفه فى التحامل على العنصر السامى ، عند ما أخذ يبشر بتفوق « العنصر التيوتونى الخالص » !

يقتل ٤٢ فى مسرحية !

• **ولقد** اتجهت ميول « فاجنر » منذ حداثته الى الفنون ،

ولكن الغريب فى الأمر ، أن مواهبه الموسيقية كانت أقل المواهب التى أوتيها ، حتى لقد كان مدرس « البيانو » يائسا من أن يصيب الفتى اى تفوق ، وكان يرى انه قد يفوز بحظ فى ميدان الأدب ! وفعلا ، لم يكد الفتى يتعلم اللغة الانجليزية ـ فى الرابعة عشرة من عمره ـ حتى هام شغفا بشيكسبير ، **فكتب مسرحية تأثر فيها بهامليت ، الى درجة أنه قتل اثنتين وأربعين من شخصياتها فى المشاهد الاولى ، لكى يبعثها كأشباح فى نهاية « التراجيديا » ! !**

وتعلم « فاجنر » اللغة اليونانية ، ففتن بأشعار هوميروس ، حتى انه ـ فيما زعم ! ـ ترجم اثنى عشر كتابا من هذه الأشعار ، قبل أن يحمله معلمه على الانصراف الى اللغة اليونانية الحديثة ! . . أما الموسيقى ، فلم يحفل بها الى أن سمع لحنا للموسيقار « ويبر » فاذا به يعكف على اجادة العزف على « البيانو » ، وقد عقد العزم على أن يصبح ملحنا ومؤلفا مسرحيا ، فى آن واحد . . وعندما سمع الحان « بيتهوفن » ، انساق ـ فى تحول سريع ـ الى « السوناتا » و « السيمفونيات » . . وقد ذكر عن نفسه ـ فى هذه الفترة ـ انه كان يستغرق فى نوبات نشوانة يحلم فيها بلقاء بيتهوفن وشيكسبير ، فكان يتحدث اليهما ، حتى اذا أفاق ألفى دموعه منهمرة !

فاشل فى الموسيقى وفى الغرام

• **ولم** يصبر « فاجنر » حتى يتعلم أصول التلحين ، بل انه لم يكد يبلغ السادسة عشرة ، حتى شرع فى التأليف ، فكان يتصيد أنغامه بالسليقة ، وينقل التقسيم عن بيتهوفن ، ويقتدى فى التوزيع « الأوركسترالى » بموزار . . ولم تستأ أسرته لتحوله الى الموسيقى ، فقد كانت احدى اخواته ، وهى « كلارا » ـ التى كانت تكبره ـ من مغنيات « الأوبرا » . ولكن أمه كانت تطمع فى ان يصبح عازفا ، وليس ملحنا ، ومن ثم أصرت أمه



على أن يجيد العزف على «الكمان» الى جانب « البيانو » .. **ولكن أحد معلميه كان يصفه بأنه « أسوأ » تلاميذه ، وبأنه « ذكى ولكنه بليد » ، فلم يقدر له أن يتفوق فى العزف على أية أداة موسيقية !**

وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، التحق بجامعة (ليبزيج) ، حيث أقنع أستاذه احدى دور النشر بأن تنشر له قطعتين من تلحينه .. على انه لم ينتظم فى دراسته ، اذ بدأ ينصرف الى الشراب والميسر وغيرهما من المباذل التى كان يستنزف فيها معاش امه !

وقدر لاحدى سيمفونياته الأولى أن تعزف فى (براج) ، فرحل الى هناك ، حيث شرع فى وضع أولى « أوبراته » ، وهى أوبرا « داى هوتشايت » ـ أى الزفاف ـ التى لم يتمها قط .. كما انغمس فى أولى مغامراته الغرامية ، ولكن الأنثى التى كانت تمثل الطرف الثانى فى المغامرة ، لم تبادله عواطفه !

حياة زوجية حافلة بالعواصف

• **ولم** يكد « فاجنر » يبلغ الحادية والعشرين من عمره ، حتى ألف « الاوبرا » الثانية له ، وهى « داى فين » ـ أى « بنات الجن » ـ التى لم يقدر له أن يراها تعزف . كما وضع عددا من الالحان لتحفة جوته الخالدة « فاوست » .. وفى تلك الأثناء ، احترف التلحين ، وعين رئيسا للفرقة الموسيقية بمسرح « ورذبورج » ، فساعده الدخل الذى كان يحصل عليه ـ رغم ضآلته ـ على أن يخوض بضع غراميات عابرة ..

ثم وضع ثالثة أوبراته وهى « داس لايبسفيربوت » ــ أى «تحريم الحب» ــ التى تأثر فيها باحدى مسرحيات شيكسبير !

وما لبث أن نزح الى (مجدبورج) ، ولكنه لم يرتح الى الاقامة فيها ، فعاد الى (ليبزيج) ، واذ ذاك التقى بمينا بلانر ، وكانت تقوم بدور الفتاة الأولى فى المسرح الذى رأس «فاجنر» فريقه الموسيقى .. **وكانت تكبره ببضع سنوات ، لم تؤت شيئا من ثقافة العلم ، ولكنها أوتيت الكثير من الخبرة بالحياة والمسرح والحب .. فقد كانت أما لصبية فى السادسة من عمرها ، رغم انها لم تكن قد تزوجت قط .. ولم ينقض عامان على غرامها مع « فاجنر » حتى تزوجا !**

وكانت الأعوام التى قضاها الشاب فى انطلاق بوهيمى ، قد عودته الاستخفاف بكل شىء ، والاسراف ، وعدم الاكتراث بالمسئوليات .. وسرعان ما غرق فى الديون ، فلما حاولت « مينا » أن تحمله على الانتاج ، تشاجر معها وخاصمها .. وأخذت المشاجرات تزداد بازدياد الديون ! .. وقبل أن يتجاوز عمر زواجهما ستة أشهر ، هجرت « مينا » بيت الزوجية ، ولكن فاجنر لم يلبث أن لحق بها فى بيت أمها ، واسترضاها . غير أن الصلح لم يدم طويلا ، فسرعان ما عادت « مينا » الى كنف أمها .. وفى هذه المرة استباح كل من الزوجين لنفسه أن يخون صاحبه ! .. ومع ذلك ، فان « مينا » لم تتردد فى أن تعود الى زوجها وأن تتفرغ لواجباتها كزوجة ، عندما عين فاجنر مديرا للموسيقى بالمسرح الفخم الذى أقيم فى (ريجا) ــ بروسيا ــ فى تلك الفترة

يقترض دون عزم على الوفاء !

• **ومكث** الزوجان عامين فى (ريجا) ، تراكمت خلالهما الديون ، ولم يكن فاجنر يكف عن طلب النقود من كل معارفه ــ بل ومن الأغراب ــ فى غير ما خجل أو استحياء .. **وكان**

يقترض دون ما عزم على الوفاء ، ويأخذ ما يقدم اليه على انه واجب أو تحية لفنه ! .. وعندما استفحل سوء مركزه فى (ريجا) فصل من عمله ، فاقترض مبلغا مكنه من أن يغادر مع زوجته روسيا .. وكان يعتزم ان يتجه لفوره الى باريس ، ولكنه اضطر الى أن يسلك طريقه عبر النرويج، فرارا من الدائنين الذين كانوا يتربصون له فى (بروسيا الشرقية) .. وقضى الزوجان ثلاثة أسابيع عاصفة ، فى عرض البحر ، ثم انتهت بهما الرحلة الى لندن .. **على أن العناء الذى كابده الزوجان ، وجد عوضا فى الالهام الذى واتى ((فاجنر)) ، فعكف لفوره على وضع أوبرا : ((الهولندى الطائر)) ، التى استوحاها من العواصف والانواء ، ومن خرافة كان قد قرأها فى مذكرات ((هاينى))**

ورحل فاجنر وزوجته اخيرا الى باريس ، فكانت اقامتهما فيها سلسلة من النحس المتلاحق !.. وقبل ان ينقضى عام ، كانا يترديان فى فقر لم يعرفا له مثيلا فى حياتهما ، مما حفر على قلب الموسيقى الشاب طابعا من المرارة البشعة ، ومما اضطر «مينا» الى ان تقبل نزيلا استأجر غرفة فى مسكنهما ، وقامت بنفسها على خدمته، حتى لقد كانت تصقل له حذاءيه بيديها !

أضواء تبدد ظلمات الحياة

• **واذ** اشتدت الفاقة بالزوجين ، اضطرا الى ان يرهنا أو يبيعا كل متاعهما ــ حتى التافه منه ــ ليحصلا على الخبز الذى يقتاتان عليه . . وعمل فاجنر كمصحح ((بروفات)) لبعض المطبوعات ، كما وضع عددا من الالحان الرخيصة ، وألف طائفة من الاغانى الشعبية، ولحن بعض الاشعار القصصية الفرنسية ، وكتب عددا من القصص والمقالات للمجلات المتواضعة .. بل انه حاول ان يعمل فى «كورس» أحد المسارح الحقيرة ، ولكن رئيس الفرقة رفضه «لأنه لم يكن يعرف كيف

يغنى » !

ومع ذلك ، فقد استطاع فى تلك الفترة ان يتم اوبرا « راينزى » .. وما لبث الحظ ان ابتسم له ، اذ قبلتها دار الاوبرا فى (درسدن) ، كما لقيت اوبرا « الهولندى الطائر » فى برلين نجاحا خلدها ، حتى أنها الأوبرا الوحيدة — من انتاجه الأول — التى لاتزال تعتز بها دور الاوبرا فى كل مكان . . **وقد ذكر بعد عشر سنين من تمثيلها ، ان ما امتاز به ((الهولندى)) — فى هذه الاوبرا — من رجاء دائب للخلاص ، انما كان يمثل حنينه الملاح الى وطنه .. الى المانيا !**

وكان من جراء نجاح هاتين التحفتين ، ان أشرقت الشمس على حياة فاجنر فبددت الظلمات التى تكاثفت ، وظفر فى سنة ١٨٤٣ بمنصب رئيس فريق الموسيقى الملكى — فى درسدن — ولما يتجاوز الثلاثين من عمره !

بين الفن والسياسة

• **وكان** خليقا بفاجنر ان يسعد بهذا المنصب ، ولكنه لم يكن يوما بالشخص القنوع . . ولقد ظل فى درسدن ست سنوات ، غير انه لم يستطع خلالها ان يعود نفسه على المواظبة والانتظام فى حضور « البروفات » والحفلات . . كما تعرف فى تلك الاثناء الى كبار الملحنين — كشومان ومندلسون وبيرليوز — ولكنه لم يحاول أن يوثق عرى الصداقة معهم، بل كان يعتبرهم منافسين له ، وبالتالى غرماء وخصوما !.. وكان المرتب الذى يتقاضاه ضخما ، بيد أنه كان يتضاءل ازاء اسرافه وحبه للبذخ ، ومن ثم فقد عاد الشاب يتردى فى الديون اكثر من ذى قبل!.. **وفى تلك الأثناء ، بدأت عبقرية فاجنر فى التفتح .. عبقريته كشاعر قصصى مسرحى بالسليقة والفطرة ، فقد كان خياله يصور له الشخصيات وكأنها صيغت من لحم ودم ، فيتأملها بعين الكاتب المسرحى ، ويحركها وفقا لما يوحى به**

الشاعر الى الموسيقى من الهام .. وقد بلغ فاجنر أوج روعته ونبوغه فى اوبرا ((لوهنجرين)) !

ولكن تفتح آفاق المجد أمامه لم يغير من حاله ، فقد ازداد انغماسا فى الديون ، حتى لقد كان يقترض من مساعده ومن الطبيب الذى كان يعنى بزوجته . وفى تلك الاثناء ، حاول ان يدخل تعديلات جوهرية على ((اوركسترا)) درسدن ، فقوبلت اقتراحاته بعدم اكتراث، واذا به يتحول من الفنان الساعى الى الاصلاح ، الى متمرد ثورى.. فانضم الى ((باكونين)) الفوضوى الروسى ، ووضع الخطوط الأولى لملحمةشعرية أسماها ((موت سيجفريد))، تمثل فيها بطلا تجرى فىعروقه دماء أبناءالشمال النقية ، ويدعو للاشتراكية فى المانيا ، ويلقى خطبا نارية على الوطنيين ، محرضا على القضاء على الارستقراطية ، وتسريح الجيش الذى كان قائما اذ ذاك ، وقلب دويلة (ساكسونيا) من ملكية الى جمهورية بين يوم وليلة !

فاجنر .. كما وصفته سجلات البوليس !

• **وقبل** أن ينقضى عام على هذا التحول ، قام التمرد فى (درسدن) ، وانفجرت الثورة فى مايو سنة ١٨٤٩ ، فأقيمت المتاريس فى الشوارع ، ودار الصراع بين الجنود والأهالى . وانضم ((فاجنر)) الى الثائرين ، حتى اذا غلبوا على امرهم ، واعتقل زعماؤهم، تنكر فى زى حوذى وفر الى ولاية (فايمار)، أملا منه فى أن يجد مأوى لدى ((فرانز ليست)) ، الموسيقى الذى لم تكن تربطه به سوىمعرفة بسيطة .. ولكن السلطات راحت تطارده فى ألمانيا بأسرها ، بوصفه ((سياسيا خطرا)) ، فاستطاع أخيرا أن يفر الى زيورخ ـ بمساعدة ليست ـ حيث لحقت به زوجته ((مينا)) ، وحيث ظل مبعدا لأكثر من عشر سنوات

ومن الطريف أن أدق وصف له ـ فى سن السادسة

والثلاثين ـ هو ذاك الذى ورد فى سجلات بوليس (درسدن) ، وقد جاء فيه : **((متوسط القوام ، بنى الشعر ، منبسط الجبين ، بنى الحاجبين ، ذو عينين اختلطت زرقتهما بسمرة خفيفة ، وأنف حاد ، وفم معتدل الحجم ، وذقن مستديرة)) .. أما عن الامارات المميزة ، فقد ورد فى السجل : ((سريع الحركة والكلام)) ! ..** والعجيب فى الأمر ، ان فاجنر تخلى ـ أثناء مقامه فى سويسرا ـ عن سرعة الحركة ، لا للتمويه وانما لأنه كان يحس بأن الأقدار تقيده بأغلال يضطر الى أن يجرها معه فى كل حركة !.. وبدلا من أن يستأنف التلحين ، عكف على وضع عدة رسائل أهمها : « الانتاج الفنى فى المستقبل » ، و « الفن والثورة » ، و « الشريعة اليهودية والموسيقى » ، و « الأوبرا والدراما »

سنوات بددها فى الهواء !

• **ولقد** كان صدره يضيق حين يشعر بأنه قد تحول عن الخلق والابتداع الى النقد ، وبأنه كان يصيح فى آذان صماء ، فلم يكن يجد سوى « مينا » يفثأ فيها سخطه ، اذ كانت هى الوحيدة التى بقيت على ايمانها به !.. ويسمى الباحثون فى سيرته هذه السنوات ـ من ١٨٤٨ الى ١٨٥٣ ـ بالسنين المضيعة ، لأنه لم ينتج فيها لحنا واحدا ، بل بددها فى كتابات للدفاع عن نفسه وفنه وللزهو بمواهبه . وفى مغامرات غرامية بعضها مسترق ، ولكن اكثرها صريح وعفيف

ففى السابعة والثلاثين ، أولع بفتاة انجليزية فى الثانية والعشرين من عمرها .. وكانت ((جيسى لوسوت)) ـ وهو اسم الفتاة ـ تعجب بموسيقاه ، فاغرمت به . وقد تزوجت من تاجر غنى فى (بوردو) ، فاعتزمت ان تمنح حبيبها مبلغا كبيرا ، بينما دفع التهور فاجنر الى ان يغريها على الفرار معه الى اليونان . ولكن أمها صدتها عن ذلك ، بينما هدد زوجها

باطلاق الرصاص على فاجنر ، فلم يكن من هذا الى ان طلق هواها ، وكتب الى صديق له يصفها قائلا : « انها ضعيفة الشخصية .. ان المرأة التى كان مرجوا ان يكون على يديها خلاصى ، قد اثبتت انها ليست سوى .. طفلة » !

على ان الخلاص المنشود ـ او الالهام ، على الأقل ـ واتاه فى النهاية ، على يدى امرأة متزوجة اخرى .. وكأنما كان فاجنر مفطورا على هوى زوجات الغير ! ففى سن الأربعين ، تعرف الى « أوتو ويزيندوك » وزوجته الحسناء التى لم تكن قد تجاوزت الثامنة والعشرين .. وكان «أوتو» وزوجته «ماتيلده» من عشاق الموسيقى ، وقد ساهما فى مساعدة فاجنر على العيش . فقد شيد «اوتو» ـ الذى كان واسع الثراء ـ «فيللا» فى (زيوريخ) ، فى سنة ١٨٥٧ ، وافرد لفاجنر كوخا ملحقا بها ، وجنبه كثيرا من نفقات المعيشة

أيام كلها انتاج .. وخيانة !

• **ويقول** فاجنر فى سيرته التى كتبها بقلمه : « اذ ذاك ، بدأت علاقاتى بالأسرة مرحلة جديدة ، فان القرب وثق الروابط بيننا » .. ولم تكن ماتيلده رقيقة ، حبيبة ، فحسب ، بل انها كانت ذات أثر عظيم على انتاجه . وقد سما خيال فاجنر بالحب الذى قام بينهما ، وخلده فى أوبرا «تريستان وايسولد» ، التى كانت صيحة امتزج فيها الفرح باليأس . ولم يخف على أحد الشبه العظيم بين أبطالها وبين الشخصيات الحقيقية ، **فكان « اوتو » هو الملك « مارك » ، و « ايسولد » هى « ماتيلده » ، و « تريستان » المعذب هو « فاجنر » !**

وبدا أن « مينا » تقبلت هذا الوضع دون شكوى ، فقد كان وفاؤها لزوجها يدفع الى قبول كل شىء يرفه عنه ، لا سيما وانها كانت تدرك ان قلة ثقافتها لم تكن تؤهلها لان تكون رفيقة صالحة فى ميدان الفكر .. بيد انها عثرت يوما على خطاب



غرامى كتبه فاجنر لماتيلده ، فاذا بها تثور .. ولو لم يصل « ليست » وابنته «كوزيما» فى تلك الأثناء ، لتطور الخلاف الى فضيحة منكرة . ولم يلبث الزوجان ان انفصلا ، بيد انهما عادا الى حياتهما المشتركة فى سنة ١٨٥٩ ، وسادهما الهدوء لبضعة أعوام أخرى

وفى تلك الأيام ، عكف فاجنر على الانتاج بحمية لم يكن له بها عهد من قبل ، وقد آلى على نفسه أن يقوم بمهمة هائلة ، هى ابتداع تحفة تجمع بين الدراما والأوبرا والملحمة الحماسية ، وتتغنى بالروح الألمانية القديمة .. أبدا لم تكن ثمة موسيقى فى مثل روعة الألحان التى انتجها فى تلك الحقبة ، والتى خرج فيها عن كثير من القواعد التى كانت مألوفة فى الاخراج الموسيقى ، واستخدم فيها الوقفات النغمية لاحداث التأثير النفسى على المستمع .. وكانت تتألف من انغام متناسقة ، طليقة ، ترتفع وتنخفض فى حرية ، وينساب بعضها فى بعض حتى يخال المستمع ان اللحن لا ينتهى ! .. واستطاع فاجنر ببضع نغمات متتابعة ان يوقظ حشدا من الأفكار تتمثل للمستمع دون ما عناء من ناحيته

فى بلاط ملك بافاريا

• **وفى** تلك الأثناء ـ كذلك ـ كانت زوجته قد أفلحت فى الحصول على عفو من السلطات الألمانية ، مما أتاح له العودة الى وطنه ، بعد اثنتى عشرة سنة من التغرب ، فأقام فى (بايبريخ) ، على نهر (الراين) .. وكان اذ ذاك فى الخمسين

من عمره ، وقد ثقلت على نفسه الأحداث التى لاقاها فى حياته، واشتدت عليه وطأة الاضطراب العاطفى ، اذ كان لايزال زوجا لمينا ، وعشيقا لماتيلده ، وحبيبا لكوزيما ليست التى كانت قد تزوجت من موسيقى شاب يدعى « هانس فون باولو » .. وكأنما بعث الاضطراب العاطفى اضطرابا فى حياته جعله لايكاد يستقر فى مكان ، فاذا به يتنقل من مدينة الى اخرى ، ليقيم الحفلات التى تعزف فيها ألحانه .. واذا به يتقلب فى مغامرات غرامية عابرة ، وهو طيلة الوقت يزداد انغماسا فى الديون !

ولم تلبث أن حدثت معجزة انقذته ، اذ استدعى الى بلاط ملك (بافاريا) فى (ميونيخ) .. وكان الملك ــ لودفيج الثانى ــ شابا معتوها ، فى التاسعة عشرة من عمره ، وقد شغف بتحف فاجنر ، واعتزم ان يدعو أشهر المغنين لأداء أدوارها أمامه .. **وكان من الطبيعى ان يزهو فاجنر بهذا التقدير ، ولكنه كان مدلها بحب كوزيما ، فلم يقو على فراقها .. وما زال بالملك حتى اغراه على ان يعين زوجها عازفا على « البيانو » فى البلاط الملكى . ولم يفطن الملك الى حيلة فاجنر ، وأبى زوج كوزيما ان يواجه الواقع !** بيد ان الأقاويل لم تلبث ان انتشرت .. كما ان فاجنر اشتط فى اسرافه وفى احاطة نفسه بكل ألوان الترف الباذخ

يتزوج من عشيقته بعد ان انجبها ٣ أطفال !

• **وبدأ** الشعب يبدى تذمرا من اساءة انفاق أموال الدولة ، وساورت الاحزاب الشكوك فيما كان فاجنر يزعمه عن « توبته » عن « أخطائه » الثورية ، ورماه رجال الكنيسة بالمروق .. وما لبث خلصاء الملك ان نبهوه الى ان حياة فاجنر فى خطر ، فنصحه « لودفيج » بالرحيل ، والدموع تترقرق فى عينيه !.. وكان فاجنر فى الثالثة والخمسين عندما عاد الى سويسرا ، فاستطاع بفضل سخاء « لودفيج » ان يقيم فى دار فى (ترايبشين)،

على ضفاف بحيرة (لوسيرن) البديعة
وكانت كوزيما قد انجبت منه ابنة فى (ميونيخ) ، اعترف بأبوته لها . وما لبثت ان انجبت ابنة أخرى فى (ترايبشين)، حيث راحت تعاشره جهارا .. وكان كلما قاله زوجها تعليقا على ذلك : «لولا انه فاجنر لرميته بالرصاص » !! ..وما لبثت كوزيما ان انجبت من الملحن طفلا ثالثا ، كان ولدا فى هذه المرة .. وكانت زوجته « مينا » قد توفيت ــ فى سنة ١٨٦٦ ــ اثر نوبة قلبية ، كما ان « باولو » ــ الوديع ! ــ وافق على ان يطلق كوزيما ، فلم يلبث العاشقان ان تزوجا فى سنة ١٨٧٠ .. وكانت كوزيما زوجة مثالية ، منكرة لذاتها ، ممجدة لفاجنر !

لم يستطع ان يكفر بموسيقاه عن ذنوبه !

• وفى تلك الحقبة بدأت صداقة رائعة ، قدر لها ــ فيما بعد ــ ان تنقلب الى عداء حاد أثار بعض الضجيج .. تلك هى الرابطة التى نشأت بين فاجنر وبين فيلسوف شاب متحمس ، هو « فردريك نيتشه » ، الذى كان اذ ذاك فى الرابعة والعشرين من عمره . . جمعتهما الآراء المتحررة ، وتمجيد العنصر الجرمانى ! ولكن فاجنر لم يلبث أن اتجه الى مهادنة رجال الدين ، والى الاهتمام بالقيم الدينية ، فى حين ان نيتشه ولى المسيحية ظهره .. **ومن ثم اتسعت الشقة بينهما ، لا سيما وان نيتشه كان يعتبر النجاح فى دنيا المسرح نوعا من الانحلال، وكان يرى ان الموسيقى جريمة ضد الثقافة . . او مخدر للشعب ! ..** وقد كتب فى « نيتشه ضد فاجنر » ، يقول : « ان انفاسى تتعسر بمجرد ان تبدأ موسيقى فاجنر فى التأثير على .. بل ان امعائى تثور » !

وواتى المجد فاجنر أخيرا .. وكانت الولايات الألمانية على عتبات عهد التجمع فى امبراطورية موحدة ، فرأت ان تكرم فى فاجنر ابنا طالما أشاد بالقومية وبسيادة العنصر الجرمانى .

ونشط فاجنر ، وراح يطوف بالمدن منظما حفلات لاوبراته وألحانه ، شهد بعضها امبراطوران ، وملك ، وثلاثة دوقات عظام ، وكثير من الأمراء والنبلاء . وكان فاجنر يعدو فى العقد السادس من عمره ، فأرهقه الجهد .. ولكنه كان موطد العزم على ان يضع أوبرا دينية تتوج انتاجه .. واستغرق فى هذه المهمة سنين طويلة ، ولكنه فرغ منها نهائيا فى سنة ١٨٨٢ .. **وظن انه بأوبرا « برسيفال » قد اقترب من التوبة التى يكفر بها عن كل ذنوبه ،ولكنها جاءت مزيجا من الجو الكنسى والجو المسرحى !**

وكان فاجنر فى الخامسة والستين من عمره عندما عزف مطلع « برسيفال » كهدية لكوزيما فى عيد ميلادها .. وكان قد أصبح رجلا معلولا ، يعانى من الأوجاع الروماتيزمية ، ومن داء القلب ، ومن « الحمرة » ، أو الطفح الجلدى ، الذى لم تلبث آلامه ان برحت به ، فالتمس التخفف منها فى جو ايطاليا المعتدل . وبعد ان قضى شهورا فى نابولى ، رحل الى باليرمو ، حيث أتم التوزيع « الاوركسترالى » لأوبرا « برسيفال » .. وما ان عاد الى ألمانيا ، حتى عاودته النوبات القلبية

وفى السبعين من عمره ، رحل الى (فينيسيا) للاستجمام ، وهناك أتم لحنا كان من أول الألحان التى حاول وضعها ، كما ألف كتيبا عن « الأنوثة فى الطبيعة البشرية » .. **وكان منهمكا فى وضع هذا الكتيب عندما دهمته نوبة قلبية - فى ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣ - فتوقف قلبه عن عزف نشيد الحياة للمرة الأخيرة ..** وكانت آخر عبارة كتبها هى « الحب الممتزج بالمأساة » .. وكانت هذه الكلمات أدق تعبير موجز للمسألة التى شغلته طيلة حياته !

اقرأ فى الجزء الثانى من

اعترافات جان جاك روســو

الذى يصدر فى منتصف سبتمبر

((.. على أن مدام دى فاران رأت ـ لكى تعصمنى من أخطار شبابى ـ أنها يجب أن تعاملنى كرجل ، وهو ما بادرت الى فعله ، ولكن بأعجب طريقة خطرت لامرأة فى ظروف مشابهة !.. اقترحت أن نسير فى الحديقة ، واتخذت الحيطـة لنبقى دون ازعاج طيـلة اليوم ، واستغرقت الوقت فى اعـدادى للعطف الذى رغبت فى أن تبديه لى ! .. وبمجرد أن رأيت الجزاء ، لم أعـد أنصت الى شروطها ، بل ســارعت الى الموافقـة على كل شىء !



وتصوروا طباعى المتأججة ، ودمى الحامى ، وقلبى النشوان بالحب ، وصحتى الموفورة القوة ، وسنى !.. وتذكروا اننى ، فى هذه الحال ، وفى ظمأى الى النساء ، لم أكن قد مسست واحدة !.. كان الخيال ، والحاجة ، والزهو ، والفضول ، تتجمع مع الرغبـة الملتهبة فى أن أكون رجلا ، وأن أثبت أننى رجل !))



تلخيص : كليم أبو سيف

خيانة .. بلا باعث ولا هدف !

◆ تأمل جيدا عنوان هذه القصة التى توشك ان تقرأها معى الآن ؟! ماذا تظنه يعنى بالنسبة لكل رجل ، وبالنسبة لكل امرأة ؟!.. انه لا يمكن ان يرمز الا الى معنى واحد : الخطيئة ! أو بالاحرى ، الخيانة الزوجية !

والخيانة الزوجية ـ سواء فى الحياة أو فى القصص ـ غالبا ما يكون لها باعث معين ، وهدف معين .. أما ان تكون خيانة بلا باعث ، وبلا هدف ، فهذا هو الغريب الطريف ، وهو الامر الذى يعالجه ـ ببساطة فذة وواقعية مذهلة ـ الكاتب الروسى الذائع الصيت «انطوان تشيكوف» فى هذه القصة التى تقرأها فيما يلى :

- ١ -

◆ **لبى** جميع اصدقاء «أولجا ايفانوفا» الدعوة التى وجهتها اليهم لحضور حفل زفافها . وكأنما أحست العروس بالدهشة التى استحوذت على اصدقائها وصديقاتها لقبولها الزواج من رجل عادى ، لم يكن له ما يميزه عن سواه ، فأومأت اليه وهى تقول : « انظروا اليه جيدا .. ان فيه ما يغرى النساء ويستميلهن اليه ! »

وكان زوجها ـ الدكتور اوسيب ستيبانوفيتش ديموف ـ طبيبا فى مستشفيين : يعمل فى احدهما كطبيب غير متفرغ ، بين التاسعة صباحا والظهر من كل يوم . . بينما يختص فى الآخر بالتشريح ، ويؤدى عمله فيه بعد الظهر .. ومع ذلك فان دخله من المستشفيين لم يكن يزيد على ٥٠٠ روبية فى العام كله!.. وهذا كل ما يمكن ان يقال عنه، فلا مجال لمزيد!..

أما « اولجا ايفانوفا » ـ زوجته ـ فكانت تدور فى فلك من الأصدقاء والمعارف المنتمين الى الصفوة الممتازة من اعضاء المجتمع ، فلم يكن بين اصدقائها واحد الا تفرد بنبوغ فى ناحية

من نواحي الفنون والآداب ، وكان كل واحد يشرف على تنمية مواهب ((أولجا ايفانوفا)) ويصقلها . . فكان الرسام الفنان ((ريابوفسكى)) — مثلا — يشرف على ما ترسم من لوحات ، ويوجهها الى الاتجاهات الفنية الصحيحة . وكان يمتاز عن سائر اصدقائها العديدين المبرزين ، بأنه بالغ الوسامة ، وفى الخامسة والعشرين من عمره تقريبا !..

هذه الفتاة العديدة المواهب ، المتشعبة الملكات ، المحاطة بتلك الهالة من الشباب اللامع النابغ . . ماذا دهاها لتتزوج من هذا الدكتور ديموف ؟! . . لقد كان يبدو قزما ضئيلا بين هؤلاء العباقرة ، رغم قامته الفارعة ، ومنكبيه العريضين !. . وكان الرسام ((ريابوفسكى)) اكثر المدعوين حيرة فى فهم الدافع الى هذا الزواج غير المتجانس ، حتى جذبته اولجا جانبا ، وانتحت به لتسوق اليه مبررات زواجها قائلة : ((لقد كان أبى يعمل مع ديموف فى مستشفى واحد كما تعلم . فلما مرض أبى ، ظل الى جوار سريره لايبارحه ليلا ولا نهارا ، فى وفاء نادر فى هذه الايام !. . وكنت بدورى مقيمة بجوار سرير أبى لا أبرحه ، وأنا موزعة المشاعر بين جزعى على أبى واعجابى بوفاء صديقه الدكتور ديموف . **وشاء الله ان يموت أبى ، فلم يتركنى ديموف لأشجانى ، بل ظل يتردد على بين الفينة والفينة ، كما كنا نلتقى خارج المنزل احيانا . . وفى ذات يوم ، فاجأنى بطلب الزواج منى ، فاستولت على حيرة بالغة ، وظللت فى ذلك اليوم أبكى ، ثم قبلت طلبه !. . ان اساريره تنم عن قوة عارمة دفينة ، وخشونة جذابة . . ها هوذا يلتفت ، فتأمل وجهه !))**

ونادت ديموف ، وعرفته بصديقها الرسام ، قائلة : ((اننى أود ان تكونا صديقين)) . . فبسط الطبيب يده فى براءة ، وهو يقول مبتسما : ((اننى سعيد بمعرفتك . . لقد كان أحد زملائى فى الكلية يدعى ريابوفسكى . . لعله من اقاربك ؟))

- ٢ -

• **وكانت** اولجا فى الثانية والعشرين من عمرها ، فى حين ان ديموف كان فى الحادية والثلاثين .. ولقد سعدا فى حياتهما الزوجية بفضل ما أسبغته الشابة على حياتها وبيتها من ذوق فنى ، فقد اعتادت ان تستيقظ من نومها فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، ثم تعزف قليلا على البيانو ، فاذا كان الجو صحوا ، عكفت قليلا على اتمام بعض اللوحات الزيتية . ولم تكن موارد زوجها تواتيهما الا بالضرورى من حاجات المعيشة .. ولما كانت «أولجا» حريصة على الظهور فى المجتمعات بمظهر لائق ، فقد لجأت الى حائكة ملابسها ــ وكانت كثيرة الحيلة ــ كى تقلب لها القديم من ثيابها وتعيد تصميمها بأشكال تجعلها تبدو كالجديدة .. فظلت اولجا محتفظة بمظهرها الانيق !

واخذت حياتها اليومية تسير على وتيرة واحدة . . فكانت تذهب الى حائكة الثياب ، ثم الى صديقة لها كانت من نجوم المسرح ، ثم الى مرسم أحد الرسامين، ومنه الى احد المعارض الفنية .. وتطوف بعد ذلك بالفنانين اللامعين لتدعوهم لزيارتها، ولتحظى بمجاملاتهم ، فقد كانوا يعجبون بمواهبها العديدة الفذة ، التى تبشر بتألق نجمها فى اكثر من فن : فى العزف ، وفى الغناء ، وفى التمثيل ، وفى الرسم!.. **على أن أروع مواهبها جميعا ، تمثلت فى قدرتها العجيبة على اصطناع الأصدقاء ، واجتذاب ود ذوى الشهرة اللامعة ، فقد كانت لهفتها الى الشهرة ضارية لاتشبع** .. وكانت اذا عرفت شخصية جديدة ممن سلطت عليهم اضواء المجد، سعت حتى تستدرج صاحبها الى دارها ، ليتحدث الناس عنها وعنه .. وما ان تروى ظمأها من شهرته ، حتى تنطلق بحثا عن سواه. وهكذا كانت «أولجا ايفانوفا » تدور فى حلقة مفرغة من الطموح والطيش والرعونة!

وتعودت أولجا ان تتناول الغداء مع زوجها الطبيب بين

الرابعة والخامسة من بعد ظهر كل يوم . وكانت بساطته وهدوء طباعه وطيبة قلبه تملك عليها لبها ، فتروح تقفز فى مرح ، وتقبل عليه تعانقه وتقبله .. ولم تكن تأخذ عليه سوى انصرافه عن الاهتمام بالفنون ، وقد لامته يوما على ذلك ، فقال : « ان أصدقاءك يجهلون كل شىء عن الطب والعلوم الطبيعية ، دون ان ترى فى ذلك عيبا .. ان لكل انسان عملا يؤديه . واذا كنت لا أفقه شيئا فى الرسم والاوبرا والغناء ؛ الا اننى ارى انه مادام هناك من يتوفر على دراستها والالمام بها، وما دام هناك أناس ينفقون عن سعة لاعلاء شأنها واقامة دعائمها واذاعتها ، فهى اذن أمور نافعة ، بل ضرورية .. ومن ثم فان عدم المامى بها لايعنى اننى اجهل قيمتها ! »

وكانت أولجا تبدأ – بعد الغداء – برنامجا مسائيا ، موزعا بين المسارح والندوات الموسيقية ، فلا تعود الى بيتها الا وقد جاوزت الساعة منتصف الليل . . كما انها كانت تدعو الى بيتها – فى مساء الاربعاء من كل اسبوع – رهطا من اصدقائها، لا للعب الورق أو الرقص ، وانما للتحدث عن مختلف الفنون وممارستها .. فكان الممثل يؤدى قطعة من تمثيلياته، والمغنى يلقى احدى اغنياته ، واستاذ الرسم يشرح احدى لوحاته ، أما أولجا فكانت تمارس هذه الأشياء جميعا.. وكانت تحرص على ان لاتدعو الى بيتها سيدات ، لأن السيدات – ما عدا الفنانات وحائكات الثياب – كن فى نظرها تافهات !.. وكان الدكتور « ديموف » ينتحى من الدار ركنا قصيا – فى تلك المناسبات – حتى اذا حانت الساعة الحادية عشرة والنصف تماما ، ظهر عند الباب الفاصل بين قاعتى الجلوس والمائدة ، فابتسم فى وداعته المألوفة ، وفرك يديه ، ووجه الى المدعوين عبارة لم يكن يغيرها فى كل مرة : «هلم الى العشاء ياسادة!» .. وكانت أولجا تصيح اذ ذاك : « ما ألطفك يازوجى العزيز ! .. انظروا اليه جيدا !.. صحيح ان وجهه يشبه وجوه ذئاب

البنغال ، ولكن قلبه كقلوب الحملان رقة وحنانا ! »

هكذا عاش الزوجان ، حتى اقبل الربيع ببهائه .. ثم تأهب الخريف ليخلفه ، وحان موعد الرحلة التقليدية التى اعتاد الفنانون ان يقوموا بها على نهر (الفولجا) ، فانهمكت «أولجا» فى اعداد عدتها .. واخذ « ريابوفسكى » يتردد عليها يوميا ، متتبعا جهودها الفنية فى الرسم ، موجها اليها ارشاداته !

- ٣ -

• **وسافرت** اولجا ايفانوفا الى الريف مع رهط من الفنانين ، تأهبا للرحلة السنوية على (الفولجا) .. ولم ينقض اسبوعان ، حتى حمل زوجها بعض المأكولات الشهية ، وخف الى زيارتها .. واخذ — طيلة بقائه فى القطار — يتمثل لقاءهما وما سيحظيان به معا من هناء . على انه لم يكد يصل الى الكوخ الذى نزلت فيه — وكان الليل قد أرخى سدوله — حتى علم ان أولجا خرجت للنزهة .. وأجال بصره فى الكوخ ، فوجده مؤلفا من ثلاث غرف ، قام فى احداها سرير ، وانتثرت فى الأخرى أدوات الرسم وبعض الثياب .. أما الغرفة الثالثة ، فكان فيها ثلاثة رجال لم يسبق له ان رآهم ، وكان احدهم حليقا ، نظيف الملبس ، ابيض البشرة ، بينما كان الآخران اسمرين ، مشعثى المنظر ، مهملى اللحية .. وما ان رآه أولهم — وكان يبدو انه من طبقة الممثلين — حتى ابتدره قائلا : « ماذا تريد ؟ .. أتبغى مقابلة اولجا ايفانوفا ؟ .. انتظر ، فهى لن تلبث ان تعود ! »

وجلس ديموف فى صمت .. وما لبث الباب ان فتح ، وأقبلت خلاله اولجا — وعلى رأسها قبعة عريضة — وفى يدها صندوق .. ثم وفد خلفها « ريابوفسكى » متورد الخدين ، بادى الانشراح . وما ان وقع بصر أولجا على زوجها ، حتى صاحت فى فرح بالغ : « ديموف ! .. أهذا انت ؟ .. ما أسعدنى بلقائك ! .. لقد ظللت طيلة الليل احلم بك ، اذ خشيت ان تكون

مريضا !.. آه، ليتك تعلم كم أحبك، وكم أنا سعيدة لرؤيتك!.. لقد ارسلتك السماء الى فى الوقت المناسب ، لأننى كنت فى مأزق لا مخرج لى منه الا على يديك . . ان عامل التلغراف بالقرية سيتزوج غدا ، وقد وعدناه جميعا بحضور زفافه ، وقمنا بتنسيق منزل العرس ونثرنا فى حجراته الزهور، لندخل الفرح على قلبى الزوجين .. اما المأزق فهو : ما عساى مرتدية فى الكنيسة ياديموف ؟.. اننى لم أحضر معى ثيابا تليق بأتن المناسبات، فعد الى المنزل، واحضر لى ثوبى المعلق الى اليسار فى صوان الملابس، واشتر لى قفازين وبعض الورود الصناعية»

وحاول الزوج المشوق ان يستمهلها الى الصباح التالى ، ولكنها ألحت عليه، فقال فى استسلام واستكانة : « لا بأس.. سأذهب لفورى ! »

وقفل راجعا الى المحطة ، ليستقل أول قطار يعود به الى المدينة .. أما المأكولات الشهية ، فقد حظى بها الممثل الحليق وصاحباه الاسمران !

– ٤ –

• فى ليلة قمرية شاعرية – من ليالى شهر يوليو – وقفت « اولجا ايفانوفا » على سطح باخرة كانت تتهادى على نهر (الفولجا) ، والى جوارها الرسام الشاب « ريابوفسكى » وقد راح يصف لها سحر الظلال المنعكسة على سطح مياه النهر الفضية ، فى تلك الليلة القمرية التى يجدر بالمرء ان ينسى فيها الوجود ، بل ان يتلاشى ويستحيل الى ذكرى تهفو على ضمير الوجود.. فما الحياة سوى سراب خادع !.. واخذت «أولجا» تصغى فى انتشاء الى الشاب وهو يحدثها عن ان فى الوجود شيئا اسمى من حياتنا ، لأن يد الفناء لاتمتد اليه .. ذلك هو الحب !.. وهفا الحديث العاطفى بمشاعر الشابة وخيالها ، فصور لها انها ليست كغيرها من بنات البشر ، لأنها فنانة لن



يلبث صيتهـا أن يطبق آفاق الكون . . وان الشاب الذى كان يقف الى جوارها ـ اذ ذاك ـ لم يكن سوى عبقرى من فلتات الطبيعة ، اوتى من الجمال قسطا وافرا ، فضلا عن انه كان حرا طليقا كالعصفور !

وأفاقت من احلامها على صوته وهو يقول : « لكم أشعر الليلة بأننى فى قبضتك .. ما الذى خلع عليك الليلة كل هذه الفتنة ؟! » . . ولم تجرؤ على ان تحدق فى عينيه ، فقد كان ينطلق منهما بريق قوى لاهب . وعاد الشـاب يقول : « **اننى أحبك الى درجة الجنون . . ان كلمة واحدة من شفتيك كفيلة بأن توقف فلك حيـاتى عن الدوران . . هلا أحببتنى ؟! »** . **وارتجفت اولجا ، وهى تقـول : « كف عن هـذا الحديث . . أنسيت ديمـوف ؟ »** . **فصـاح تأثرا : « ما الذى يعنينى من امره ؟ . . ولماذا يقف ديمـوف حائلا بيننـا فى هـذه اللحظة الخالدة ؟ . . انني اريد أن انسى الوجود ، فلست أطمع فى اكثر من لحظة واحدة معك .. لحظة قصيرة ! »**

وأخذ قلبها ينتفض فى صدرها ، وكأنه يسعى الى الانطلاق . . وذهلت اذ رأت الماضى كله يبدو لها بعيدا ، باهتا ، خاليـا من الرواء .. وحدثتها نفسها قائلة : « ما الذى يعنيـك من أمر ديموف ؟ . . ان السعادة التى أسبغتها عليه اكثر ممـا يكفى لرجل مثله .. لقـد عب منهـا حتى ارتوى ! » .. وتمثلت النـاس ، فقـررت ان تتحـداهم ، وهى تقـول لنفسهـا : « من واجب المـرء ان يعـرف كـل شىء ، ولو مـرة واحدة فى حياته .. آه ، يا الهى ! .. ما أبشع هـذا الاثم وما

أمتعه فى الوقت ذاته ! » .. وشعرت بريابوفسكى يطوقهـا بذراعيه ، فأبدت محاولات متخاذلة لدفعه عنهـا ، ثم لم تلبث ان احاطته هى الأخرى بذراعيها ، واسلمت شفتيها لشفتيه !

– ٥ –

• **كان** اليوم الثـانى من شهر سبتمبر حارا ، ولـكنه كان قاتما ، كثير الضباب .. وبينما كانت أولجا تتناول الفطور مع ريابوفسكى، اذا بنوبة من السخط تستولى على الفنان الشاب، فينقم على نفسه ، ويثور على فنه ، ويندفع كالثور المهتاج ، فيمزق أبدع لوحاته!.. وظلت أولجا ترقب المنظر وهى صامتة واجمـة ، حتى اذا نفضت يديهـا من الفطور ، استلقت على فراشها ، وتركت ذهنها ينطلق محلقا الى الماضى القريب .. الى بيتهـا ، ومخدعهـا ، وأصدقائها القـدامى ، وزوجها .. ديموف !.. ديموف العـزيز !.. ما أعذب اللهجـة التى كان يصوغ بها خطـاباته متوسلا اليها أن تعجل بالعـودة !.. وما أطيبه واكرمه ، اذ ظل يمدها بالمال طيلة غيابها !

وشعرت بالحنـين الى حياتها السـابقة .. وازداد الحنين الحاحا ، حين اشتبك ريابوفسكى معها فى جدال ، فأغلظ لها القـول حتى أبكاها .. وقالت وهى تنتحب : « انك لم تعـد تحبنى كسابق عهدك ! .. لقد مللتنى ! » .. فصـاح الرسام الشاب ، وهو ساخط : « أولجا !.. لست أسألك سوى شىء واحد ، هو .. أن تدعينى وشأنى !.. انك تحولين حياتى الى جحيم ! »

وسدرت فى انتحابها، بينما أخذ ريابوفسكى يذرع الحجرة، وقد توترت عضلات وجهه ، وبدا كما لو كان قد اعتزم امرا. ثم وضع قبعته على رأسه ، وحمل بندقيته ، وغادر الكوخ ، تاركا اياها لدموعها ونحيبها !.. ولم يعد الا عند الغروب .. وكان مبتل الثياب، موحل القدمين، بادى الاعياء ، فأقبلت عليه تسرى عنه وتلاطفه وتقبله ، ولكنه دفعهـا بيديه بعيدا عنه ،

وهو يقول : « ما هذا ؟.. دعيني وشأني، فاني اريد هدوءا ! »

وألفت نفسها فجأة تكره الحيـاة التي كانت تعيشها معه ، فاذا بها تستجمع جرأتها، وتقول له: « خير لنا ان ننفصل ولو لفترة من الزمن ، والا ظللنا نتشـاجر على الدوام .. لسوف ارحل اليوم ، فاني لم أعد اطيق هـذه الحياة ! » . فتساءل : «أهكذا ؟.. وبدون تمهيد؟ » .. فقالت : « أجل !.. سأرحل اليوم !.. ان الباخرة تصل في التاسعة والنصف » .. واجاب في غير اكتراث : « حسنا ! ارحلي اذن ، فان الحياة هنا مملة ، ولست من الأنانية بحيث ألح عليك بالبقاء .. سافري، ولنلتق ثانية في العشرين من سبتمبر ! »

وشعرت بارتياح وهي تعد حقائبها، وتتمثل البيت النظيف المريح الذي ستعود اليه !

وبعد رحلة شاقة ، وصلت « اولجا ايفانوفا » الى المدينة ، فيممت لفورها شطر دارها .. ووجدت « ديموف » يتناول طعامه وحيدا في غرفة المـائدة . وكانت أولجا قد اعتزمت ان تخفي عنه كل شيء مما جرى ، فلمـا رأته بابتسامته الهادئة البريئـة ، وبما تبـدى على أساريره من ابتهـاج لرؤيتهـا ، ازدادت اصرارا على عدم البوح له بشيء، اذ تبينت أن ماحدث كان عملا خسيسا لا يقل في ضعته ودناءته عن السرقة والقتل!

واحتضنها ديموف وراح يمطرها بقبلاته، فثقل وزرها على نفسها ، وجثت امامه ، وغطت وجهها بيديها .. وما ان رآها على هذه الحال ، حتى هتف مشفقا : «ماذا بك ياحبيبتي ؟.. لابد انك جائعة ، فتعالي نأكل معـا ! » .. وتسلل جو البيت الطاهر، يجلو عن نفسها الأدران، فأقبلت على الطعام، وديموف يرمقها في حنان ، وقد راح يضحك حبورا

- ٦ -

• ولم يتح لديموف أن يكتشف حقيقة ما جرى بين أولجا

وريابوفسكى الا بعد ثلاثة شهور من عودتها .. فى منتصف الشتاء . ولم يعد يقوى على النظر الى محياها ، وكأنه هو المذنب !.. وفارقته ابتسامته الوديعة ، وأصبح يتجنب أن يخلو الى زوجته ما استطاع ، حتى لقد دأب على ان يستقدم معه الى الدار صديقه الدكتور « كوروستيليف » ـ القمىء الهيئة ، المشعث المنظر ـ فيخوض معه فى احاديث طبية لاتدع مجالا لأولجا كى تشترك معهما !

وبدأ القلق يستبد بها ، اذ حارت فى موقفها .. فقد اكتشفت انها لم تعد تحب الرسام الفنان .. ولكنها فى الوقت ذاته لم تعد تطمئن الى حب زوجها !

وترامى اليها ـ ذات يوم ـ ان « ريابوفسكى » قد أتم لوحة أثارت ضجة فى الاوساط الفنية ، فتذكرت ان الفنان كان مدينا لها بالالهام فى هذه اللوحة ، وتذكرت كيف جاءها متلطفا بعد عودته من رحلة (الفولجا) .. واحست برغبة طاغية دفعتها الى ان تسعى اليه فى مرسمه، فلما دخلت عليه وجدته مرحا مغتبطا شديدالزهو بلوحته.. ووقفت هى تتأمل اللوحة فى اعجاب وصمت وخشوع .. وداخلها شعور بالغيرة من تلك التى استحوذت على لبه دونها ، وتصاعدت من صدرها زفرة حرى ، وقالت له : « انك لم تصنع مثلها فى حياتك قط ! » ..

وعاودها الحنين اليه ، فعادت تتوسل اليه ان يشفق عليها ، وان لايصدها ، اذ انها أصبحت امرأة تعسة. وأخذت تنتحب ممسكة بيديه وهى تنهال عليهما لثما وتقبيلا كما لو كانت تفتش فى قبضتيهما عن دليل على حبه لها .. ولكن ضراعاتها ذهبت سدى ، لأن قلب الفنان الشاب كان قد أوصد دونها وتحول الى قطعة من الصخر !

وتكررت زيارات اولجا لريابوفسكى وتضرعاتها ، ولكنها كانت ـ فى كل مرة ـ تخرج خائبة ، كسيرة القلب ، مهينة الكرامة .. الى ان دفعها اليأس ـ ذات يوم ـ الى ان تكتب

اليه رسالة ، هددته فيها بان تنتحر ما لم يسع الى زيارتها فى دارها .. وخشى الفنان ما قد يلحق بسمعته اذا هى اقدمت على هذا الشطط الجنونى ، فأسرع الى بيتها .. ووجدها تتناول العشاء مع زوجها وصديقه الدكتور كوروستيليف، فلم يتورع رغم وجود الرجلين عن غمزها بعبارات لاذعة جارحة ، أخذت تكيل له مثلها ، متناسيين ابسط اصول اللياقة والأدب .. حتى لقد استطاع كوروستيليف ان يدرك سر هذه المباراة بين الحبيبين اللدودين !

وما ان فرغوا من العشاء، حتى هم ريابوفسكى بالانصراف، فسألته اولجا مغضبة : « الى أين تذهب ؟ » .. وطاب له ان يمعن فى تحقيرها واستثارتها ، فزعم انه ذاهب الى لقاء سيدة كانت تعرفها . فلم يكد يغادر الدار حتى اوت الى مخدعها ، وارتمت على فراشها، وطفقت تبكى فى نشيج عال لفرط الحنق والخزى .. وسمع ديموف عويلها، فترك زميله كوروستيليف وذهب اليها ، وقد استحوذ عليه الخجل والاضطراب ، وقال بصوت خافت ، محاولا ان يهدىء روعها : **« لاتبكى هكذا ياحبيبتى .. ما جدوى البكاء! .. تذرعى بالصبر والهدوء حتى لايفتضح امرك ويعرف الناس الحقيقة ! »**

وطار صواب أولجا وأعمتها الغيرة عن كل القيم الاخلاقية والأوضاع الاجتماعية، ونسيت كل شىء الا حبها لريابوفسكى وغيرتها من منافستها .. وراحت تنطلق يوميا بحثا عن العشيق الغادر ، حتى افتضح سرها معه فى كل مكان .. أما ديموف ، فقد لاذ بالصمت ، واعتصم بالهدوء ، وانصرف عنها وكأنه لايشعر لها بوجود .. وكان هذا المسلك يثير عليها ضميرها ، حتى انها لم تكن تتورع عن ان تقول فى المجالس : « ان هذا الرجل يسحقنى بطيبته ! »

وكان من العجيب ان لاتقتلع هذه العواصف البيت من أساسه ، بل ظلت حياة الزوجين ماضية فى طريقها المألوف ،

كما ظلت أولجا سادرة فى حياتها الصاخبة ، ولا تكاد تعود الى بيتها قبل الهزيع الثانى من الليل .. كل ما طرأ من تغير هو أن ديموف كان يظل ساهرا فى مكتبه الى ان تعود أولجا ، فى حين انه كان من قبل يستغرق فى نومه مطمئن البال !

وفى ذات مساء ، كانت أولجا تستكمل زينتها استعدادا للذهاب الى أحد المسارح ، حين دخل ديموف مخدعها وهو فى زى الجامعة الرسمى، وقد ارتدت الى وجهه ابتسامته البريئة الوادعة، وفاضت من عينيه نظراته اللطيفة التى افتقدتها أولجا من زمن بعيد .. **وقال لها وقد فاض وجهه بشرا : « لقد انتهيت لفورى من تقديم رسالتى! » ، فتساءلت فى غير اكتراث: « وهل كانت ناجحة ؟ » .. وارسل ضحكة ساذجة، وقال فى سرور : « ناجحة ؟!.. نجاحا باهرا ! .. انهم يفكرون الآن فى تعيينى استاذا لعلم التشريح »**

وبدا من مسلكه انه كان يمهد الطريق امام أولجا كى تخطو الى جواره ، وتنضم اليه ليشرعا فى حياة جديدة ينسيا فيها الماضى بأوزاره ..ولكن الزوجة المفتونة ، الرعناء ، لم تفقه قيمة النجاح ، ولا التشريح ، ولا منصب الاستاذية ، فما كان يشغل بالها فى تلك اللحظة سوى ان تفرغ من زينتها ، لتنطلق الى المسرح دون تأخير ..لذلك لم تعلق على نجاح زوجها ، ولا عنيت بأن تشاركه فرحته ،فلم يلبث المسكين ان غادر مخدعها مثقل القلب ، محسورا !



- ٧ -

• **كان** اليوم شديد الوطأة على ديموف، فقد أصابه صداع عاقه عن الذهاب الى المستشفى، فظل مستلقيا على أريكة فى حجرة مكتبه، بينما ذهبت أولجا الى مرسم ريابوفسكى كعادتها !

على انها لم تكد تلج ردهة المرسم، حتى سمعت وقع قدمين خفيفتين، وحفيف ثوب نسوى.. ولمحت خيال امرأة تسارع بالاختفاء وراء احدى اللوحات الكبيرة .. ولم يساورها شك فى ان المرأة عشيقة للفنان، فقد كانت تعرف ان وراء تلك اللوحة مخبأ اعتادت هى نفسها ان تلوذ به فى بعض المناسبات!.. اما ريابوفسكى فقد ارتبك فى بادىء الأمر، ثم تمالك نفسه، وبسط ذراعيه متصنعا الترحيب بها، قائلا: « أهذه أنت ؟!.. كم انا سعيد برؤياك ! » .. وكظمت أولجا غيظها، وتجلدت حتى لاتنفجر باكية، خشية شماتة المرأة المختبئة خلف اللوحة، وقالت متعمدة ان ترفع صوتها: « لقد جئت أعرض عليك تصميما للوحة جديدة ! »

وفيما كان يتأمل اللوحة، سمعت أولجا وقع القدمين الخفيفتين وحفيف الثوب، فأدركت ان المختبئة قد تسللت الى خارج المرسم.. وكانت أولجا تقاوم الدمع والخزى، عندما تناهى صوت الرسوم الى اذنيها وهو يقول: **« لقد بلغ بى السأم مبلغا كبيرا.. لا بأس بهذه اللوحة، ولكن.. أما لهذه اللوحات من آخر ؟.. انك تأتيننى كل يوم بلوحة جديدة، فهل لم تسأمى الرسم بعد !؟.. لو اننى كنت فى مكانك، لتركت الرسم جانبا وأقبلت على الموسيقى، فهى موهبتك الكبرى ! » .. واذ غادر الحجرة ليأمر الخادم بأن تعد لها قدحا من الشاى، تسللت أولجا مغادرة المكان، لتوفر على نفسها عناء موقف مزر يمرغ كرامتها تحت أقدام ريابوفسكى !**

وعادت الى دارها وقد عقدت العزم على ان تبدأ حياة جديدة .. على انها شاءت أن تودع الحياة السابقة بخطاب تكتبه الى ريابوفسكى وتسكب فيه كل حقدها، وتثأر لنفسها وكرامتها وكبريائها مما لحق بها جميعا من هوان واذلال ! .. على انها لم تكد تلج مسكنها حتى سمعت صوت ديموف يناديها من حجرة مكتبه ، فخفت اليه. وقبل أن تبلغ الغرفة، سمعت زوجها يقول : « لاتقتربى منى يا حبيبتى ، بل قفى بالباب فقط !.. لقد أصبت بعدوى الدفتيريا منذ يوم أو يومين، وأشعر باعياء شديد، فارسلى فى طلب كوروستيليف!»

وتهالك على الأريكة فى اعياء ، فسألته أولجا : « هل الأمر خطير الى هذا الحد ؟! » .. وسارت الى مخدعها، فاذا بصرها يقع على صورة وجهها منعكسة فى المرآة . . وهالها الشحوب الذى كان يعلو محياها . . وأحست بعاطفة تستيقظ فى صدرها .. أحست برثاء لحال زوجها ، وقد أخذت تهاجم ذهنها ذكريات حبه لها ، وما قدمته من عقوق فى مقابل هذا الحب !

وكانت الساعة قد أشرفت على الثانية صباحا ، عندما استدعت الدكتور كوروستيليف

- ٨ -

• **غادرت** أولجا مخدعها فى الساعة السابعة صباحا ، بعد ليلة مسهدة . . واستقبلتها رائحة العقاقير ، ومنظر الدكتور كوروستيليف ، وقد وقف بباب حجرة المكتب ، حيث كان زوجها . . واسرعت الى تلك الحجرة ، ولكن الطبيب صدها عنها خوف ان تلتقط عدوى المرض ، واردف متسائلا: « ثم ، ما جدوى دخولك ؟.. انه فاقد الوعى يهذى !.. وفى رأيى ان الشخص الذى يعرض نفسه للمرض دون موجب ، أهل لأن يسجن .. أفتعرفين كيف أصيب زوجك بالدفتيريا ؟.. لقد

التقط الميكروب من حلق طفل من مرضاه ! »

ولم تستيقن من مدى خطورة حال ديموف ، الا حين خرج من الحجرة ثلاثة آخرون من الأطباء ، تبينت انهم تناوبوا السهر عليه.. وانزوت اولجا فى غرفتها وحيدة تتأمل الأحداث الأخيرة ، فلا تزداد الا شعورا بأنها تحت وطأة عقاب انزله الله بها جزاء نزقها ورعونتها وخيانتها لزوجها النبيل الطيب، الذى ظل يتجرع الآلام فى صمت .. **لو انه كشف للأطباء عن صدره، لأدركوا ان «الدفتيريا» – على خبثها وخطورتها – لم تكن الداء الأوحد الذى قد يقضى عليه !.. ولعل كوروستيليف قد فطن الى ذلك ، اذ انه لم يكن يكف عن تحديجها بنظرات قاسية !**

ونسيت الليالى القمرية على (الفولجا) . . ونسيت ريابوفسكى ولوحاته، ولم تعد تذكر – فى تلك الفترة العصيبة – سوى انها كانت تغوص فى الوحل حتى كتفيها ، وان الوحل سيبقى عالقا ببدنها الى الابد .. ترى ما الذى حدا بها الى ذلك ؟.. لم يكن ثمة مبرر، اللهم الا الطيش، والرعونة، وموت الضمير !.. وهمست لنفسها فى سخط وحسرة : « الا لعنة الله على من خائنة ، شريرة ! »

وألفت نفسها تضرع الى الله ان يشفى زوجها ، وتقطع على نفسها عهدا وثيقا بأن تكرس حياتها كلها لديموف ، وان تقف عليه حبها .. وتذكرت فى هذا الفيض من الاخلاص – الذى انساب على قلبها ليطهره – انها فى انانيتها البغيضة لم تحاول قط ان تدنو من فراش زوجها ، وكأنما كانت تخشى العدوى.. **وتبينت ان فى نفسها ناحية دميمة ، شائهة ، فما كان الشقاء الذى جثم على قلبها سوى انعكاس لجزعها من ان تتحطم حياتها ، ولخوفها من المستقبل الرهيب الذى يتربص لها ليحتويها اذا ما قدر لزوجها ان يموت !**

وظلت تذرع غرفتها فى انفعال ، ثم جرؤت فى النهاية على مغادرتها ، فاذا كوروستيليف يغط فى النوم على احدى الارائك

وقد هده السهر والاعياء ، بينما كان الأطباء الآخرون متوفرين على العناية بمريضهم ، دون ان يفطنوا الى الصراع النفسى المفجع الذى كان يدور فى نفسها ، ولا الى ما كان البيت يضمه من اسرار رهيبة .. **كان ثمة صراع أقسى يستأثر بكل حواسهم .. صراع ضد سر أكثر رهبة وغموضا .. ضد الموت !**

ولاذت أولجا بمخدعها مرة أخرى .. فلما بارحته من جديد ، كان كوروستيليف قد استيقظ ، فأنبأها بأن الخطر يستفحل بالمريض .. وران على البيت صمت ثقيل ، خانق ، رهيب .. وتلفتت أولجا حولها ، فلم تجد أحدا من الأصدقاء الذين طالما عج بهم المنزل فى امسيات الأربعاء من كل أسبوع ! .. وارتدت الى مخدعها ، فاستلقت على سريرها وهى حائرة معذبة .. وفى الساعة الثالثة صباحا ، أقبل كوروستيليف لينبئها بأن ديموف فى النزع الأخير !

واستبدت بها رعدة قاسية ، بينما كان الدمع ينهمر مدرارا من عينى كوروستيليف وهو يقول : « انه يحتضر ! .. انه يموت مضحيا بحياته من اجل الغير ! .. ماأفدح خسارة العلم بموته ! .. كان رجلا فذا عظيما ، اذا قورن بنا جميعا .. أواه ، يا ديموف ! .. لماذا صنعت بنفسك كل هذا ؟ ! »

واحتوى وجهه بين راحتيه ، واستطرد يقول : « كانت قوته المعنوية عارمة زاخرة .. كان عطوفا ، منزها عن الاوشاب ، ذا قلب صاف شفاف .. لم يكن يكل عن العمل ليبنى لنفسه مستقبلا باهرا ، فاذا به – فى النهاية – يلقى هذا المصير التعس ! » .. ورفع راحتيه عن وجهه ، وحدق فى عينى أولجا وكأنه يريد ان يدفع كلماته الى أعماقها ، وهو يستطرد قائلا : **« انه لم يرحم نفسه ، ولم يجد من يرحمه ! .. ولكن ، ماجدوى ذلك الآن ؟ ! »**

واندفع مغادرا الحجرة ، فشعرت اولجا بأنها تحلق فى سماء حياتها ، مستعرضة ماضيها مع زوجها .. ولأول مرة ،

اكتشفت ــ ولكن ، بعد فوات الأوان ــ انه كان رجلا ممتازا .. كان عملاقا يتضاءل الى جواره اولئك اللامعون الذين كانت تتمسح بهم ! .. وفطنت الى انها لم ترحمه .. **من يدرى ، لعله ترك نفسه معرضا للخطر ليفسح لها السبيل الى الحياة التى كانت تبغيها ؟ !**

وانبعثت منها ولولة محسورة ، وهى تنطلق كالسهم الى حجرة المكتب ، ولكن .. ما اقسى المنظر الذى كان يرتقبها هناك ! .. كان ديموف مستلقيا على الأريكة بلا حراك ، وقد غطى جسمه ــ ماعدا الرأس ــ بملاءة بيضاء .. وهالها ضمور وجهه ، وشحوب لونه .. ولولا الابتسامة الهادئة ، والجبين العريض الناصع ، لما بقيت فيه لمحة تنم عن انه الدكتور ديموف !

وراحت تتحسسه وتلصق اذنيها بصدره ، فى لهفة جنونية .. كان صدره لا يزال محتفظا بالدفء ، ولكن يديه كانتا شديدتى البرودة ، بينما جمدت النظرات في عينيه نصف المغمضتين! .. وصرخت اولجا كالمخبولة : « ديموف ! .. ديموف ! » .. ولكن ديموف لم يعد يسمع صوتها ! .. واقبلت تهز الجسد الهامد ، وهى تصيح : « ديموف ! » .. ولكنه لم يتحرك ! .. **وايقنت انه لن يستيقظ من رقدته هذه ، ولن يسمع توبتها ولا توسلاتها ، ولن يبدأ معها الحياة الجديدة التى كانت ترجوها ! .. لقد فارقها ، وتركها تتخبط فى متاهات الحياة الضيقة ، المظلمة ، التى زج بها المفتون اليها !**



أندروماك

المسرحية الخالدة للشاعر الفرنسي الكبير
"راسين"

الرسم منقول عن لوحة محفورة على الخشب ، نشرت صورتها فى مؤلفات «راسين»

تلخيص : محمد كامل الدهميس

هذه المسرحية استمدت أحداثها من حرب طروادة !

◆ كانت حرب (طروادة) منبعثة من مأساة غرامية ألهبت خيال الشعراء والكتاب أجيالا . فقد اختطف أحد أمراء طروادة أجمل حسناء فى الجزر اليونانية – وهى « هيلين » – فهب اليونانيون عن بكرة أبيهم يحاربون طروادة ، واستمر القتال عشر سنوات مات خلالها عشرون ملكا .. وبرز خلالها أبطال خلدهم الشاعر اليونانى الكبير هوميروس فى أشعاره ، كما تناولهم كتاب الاغريق فى مسرحياتهم ، مثل «أخيل» و « أجاممنون » – من اليونانيين – و « هيكتور » الملك الطروادى

ولقد انجبت هيلين ابنة اورثتها حسنها ، هى « هرميون » ، التى خلقت بدورها مأساة أخرى فى تاريخ الاغريق ، هى التى تناولها الشاعر المسرحى الفرنسى « راسين » فى المسرحية التى نقدمها اليكفيما يلى . فقد أراد « منيلاس » – والد هرميون – ان يزوجها من «بيروس» ، ابن البطل الذى قهر طروادة وقتل مليكها « هيكتور » . ولكن بيروس تدله فى هوى أسيرته « اندروماك » أرملة هيكتور ، بينما كان هناك بطل آخر يهيم بهرميون ويتمنى الظفر بها ..

والآن ، لأدعك تتبع خيوط هذه المأساة خلال المسرحية التى نسجها « راسين » !

الفصل الاول

◆ **ترفع** الستار عن منظر فى قصر « بيروس » ، وقد جاء « أوريست » – نائبا عن الشعب اليونانى – لمحادثة الملك « بيروس » ابن البطل اخيل وقاهر طرواده .. فقابل صديقه القديم بيلاد .

أوريست : نعم ! لقد آن لحظى أن يأخذ وجها جديدا ، وقدر لى أن ألقى – مرة أخرى – ذلك الصديق نادر الوفاء .. منذا الذى كان يحسب أن أوريست الذى فقدك منذ ستة أشهر ، على ذلك الساحل المهلك، سيعود فيجدك من جديد .. وأين؟ .. فى قصر بيروس !



راسين

بيلاد : انى لأشكر السماء ، تلك التى كانت تبدو وكأنها تسد فى وجهى الطريق الى بلاد اليونان، منذ ذلك اليوم المشئوم الذى تفرقت فيه سفننا بسبب هياج البحر ، قرب ساحل (ايبير) .. لقد تحملت فى غربتى أقسى الآلام ، خوفا عليك من ذلك الحزن الذى انخرطت فيه دهرا طويلا .. ولكن ، ها أنذا أراك مرة اخرى ، وقد قادك الحظ السعيد الى (ايبير)، محوطا بآيات الفخامة

أوريست : وا اسفاه ! .. من لى بمن يعرف ما يخبئه لى القدر ؟.. **انما أتى بى الحب لأبحث عن امرأة لا قلب لها ! ترى هل يريد القدر لى الحياة أو الموت ؟**

بيلاد (وقد فوجى) : ماذا ؟ ! .. أبلغ من سلطان الحب عليك أن تسلم اليه قياد حياتك ؟ ! .. أو تريد العودة الى أغلال الحب ناسيا ما قد سبب لك من عذاب ؟ .. أتظن أن « هرميون » ـ تلك التى لاقيت الأمرين من قسوة قلبها فى (اسبرطه) ـ ستكون أكثر رفقا بك فى (ايبير) ؟ .. انها لآمال كاذبة تلك التى تعلل بها نفسك يامولاى !

أوريست : لا تكن قاسيا على فى حكمك يا صديقى ، وأنت الذى تعرف قصتى كلها .. **تعرف كيف بدأ عذابى عندما أسلم « منيلاس » ابنته « هرميون » ـ التى أشعلت نار حبى ـ الى « بيروس » ذلك الذى ثار لأسرته فعذب على حرب طروادة حتى نهايتها .. انك لتعرف كل هذا ، وتعرف كيف هدنى الحب وأشاع فى نفسى الحزن والحقد معا ..** وأنت الوحيد

الذى كان يلازمنى مواسيا .. كنت تواسينى وتدفع عن نفسى سم الحقد المشوب بالغيظ . ولكنى عندما سمعت بأن «هرميون» تقبل على « بيروس » بكل نفسها وعواطفها ، قررت أن اكظم حبى لها .. وافلحت ، وزعمت لنفسى اننى قد سلوت كل شىء ، وما سلوت شيئا ! . . وعادت الظروف تدفعنى اليها من جديد ، فما ان عدت الى بلاد اليونان ، حتى رأيت الثورة تعتمل فى الصدور ، لأن « بيروس » يربى فى قصره « استيانكس » ــ ابن غريمهم هيكتور ــ الذى كان جديرا بأن يقتل مع من قتلوا من الطرواديين ، تحت اسوار طروادة .. ولقد علمت ان امه «اندروماك» خدعت اليونانيين ، اذ خرجت عليهم وهى تحمل طفلا آخر فقتلوه ظنا منهم أنه «استيانكس» .. ولقد اوفدنى القوم لأسأل « بيروس » أن يسلمهم ابن عدوهم ، فاذا مجيئى ينكأ جرح قلبى .. بودى الآن لو أنتزع منه «هرميون» ، فقد قال لى « منيلاس » ان « بيروس » لم يعد يحبها ، اذ تحول قلبه الى «اندروماك» وابنها مذ اتى بهما الى قصره .. فحدثنى ياصديقى عما يجرى فى هذا القصر !

بيلاد : لقد أسرف بيروس فى حبه لأندروماك ، وهى عنه لاهية بحزنها ، تبادله حبا بكراهية .. انه ليتحايل بالتودد تارة ، وبالوعيد اخرى .. ومن اجل هذا يحتفظ بابنها حبيسا ، ليغريها بالعفو عنه تارة ، وليهددها بقتله تارة اخرى .. وليس يلقى ازاء ذلك سوى البكاء المستمر .. وكذلك حاله مع « هرميون » ، يتودد اليها حينا ، ويبتعد عنها حينا آخر

أوريست : وهرميون .. ؟

بيلاد : انها تظهر الود له احيانا .. **وكثيرا ما رأيتها تبكى وتبتهل فى الخفاء ، مرددة اسم « أوريست »** . ولكن لا تنس أنك انما جئت مندوبا عن اليونان من أجل الصبى ! .. آه ، ها هو ذا بيروس قد أتى ..

أوريست : اذهب فهيىء القاسية لتلقى حبيبا لم يأت الا

من أجلها !

واذ يدخل « بيروس » يمتدحه « أوريست » بوصفه ابن البطل الذى هزم طروادة ، ثم يستطرد قائلا : « .. وان الشعب اليونانى ليرجو أن تملأ مكان أبيك ، فما من أسرة يونانية الا وتطلب الانتقام من ابن هيكتور ، لأن وجوده خطر عليهم . **ومن يدرى ؟ .. ألا يمكن أن يقف منا موقف العداء يوما ، بعد ان يشب .. اذ ذاك سيكون انتقامه منك انت اولا ! ..** أفلا تجيب مطلب اليونانيين بقتل هذا الأفعوان قبل ان يكبر؟ .. ان هذا أفضل لك من ان تقاتلهم بسببه ! »

بيروس : ما كنت لأتصور قط أن يرسل اليونانيون الى ابن البطل « اجاممنون » فى امر تافه كهذا . . لأى شىء يريد اليونانيون أن أضحى بحياة الصبى ؟ .. ألا يدرون انه لم يعد لهم أى حق على روحه ؟ .. لقد كان من نصيبى هو وأمه وفقا للاقتراع العادل الذى اجريناه لاقتسام الأسرى والسبايا ، تحت أسوار طرواده . ثم ، كيف يخشى اليونانيون على من خطر هذا الصبى ؟ .. ليتركوا لى تصريف أمرى .. وهل تستطيع طروادة الانتقام وهى على هذه الحال من التشتت ؟ .. وشىء آخر : كيف أزهق روحا وقد ذهبت عنا سورة الحرب والانتقام ؟

ويحاوره « أوريست » محاولا اقناعه بأن الطفل كان حريا بأن يقتل لولا أن أمه خدعت اليونانيين وصرفتهم عنه . ولكن بيروس لا يقتنع ، قائلا ان اليونانيين ــ وقد سمع أنهم على استعداد لان يقاتلوه من أجل الصبى ــ قد اعماهم الحقد فلم يعودوا يفرقون بين دم المنتصر لهم ودم المنتقم منهم ، وانهم انما يبغون أن يجعلوا من (ايبير) طروادة ثانية . ويعلنه برفضه النهائى ، ثم يقول له : « تستطيع أن تذهب الآن لرؤية بنت هيلين فانى أعرف ما بينكما من صلة قربى »

واذ ينصرف « اوريست » لرؤية «هرميون» يهمس الوزير

« فينكس » فى اذن مولاه « بيروس » لائما : « انك تعلم أن حبه للأميرة كان يذهب بلبه ، فكيف تضعه عند قدميها هكذا ؟ .. ألا تخشى أن تعود جذوة الحب الى الاضطرام ؟ »

بيروس : فليجمع بينهما الحب ، وليذهبا معا الى (اسبرطة) .. فان هذا لما يبدد ضيقى !

* * *

◆ **وتقبل** « اندروماك » فيقول لها بيروس مغتبطا : « هل جئت لرؤيتى يا سيدتى ؟ .. هل آن لهذا الأمل الحلو أن يتحقق ؟ » .. ويخبرها بمطلب اليونانيين ، فتجزع قائلة : « ياللقساة ! ما أحسبهم يريدون أن يقتلوه انتقاما من أبيه ، ولكنهم يريدون ذلك حتى لا يكبر فيمسح دموع أمه ! »

بيروس : لقد رفضت طلبهم من أجلك يا سيدتى .. ولقد توعدونى بالحرب ، ولكنى مستعد لمواجهتهم فى سبيلك ، لو انك خففت قليلا من قسوتك على .. انى مستعد لأن اعاديهم لو قدر لى أن أكتسب مودتك فحسب !

أندروماك : ماذا ؟ .. أتريد أن تظهر بمثل هذا الضعف أمام اليونان ؟ .. أى سحر تجده فى انسانة أضناها الحزن ، وفى عينين كتب عليهما البكاء المتواصل ! . فلتقبل عداءهم ، ولكن .. ليس من اجل امرأة ، وانما من اجل نجدة عدو بائس ، ومن أجل رد ابن الى امه .. فهذه هى الخصال التى تليق بابن أخيل !

بيروس : ولكن عينيك أضرمتا فى قلبى نارا أشد احتداما من تلك التى أضرمتها أنا فى طروادة ، وأسلمتانى الى الحزن والألم ندما على ما فعلت بقومك .. لقد تساوينا فيما بدر من كل منا من قسوة نحو الآخر ، وها نحن أمام عدو واحد يهاجمنا نحن الاثنين .. ألا يحملنا هذا على الائتلاف ؟ .. ردى الى الأمل وأنا أعفو عن ابنك وأكون له خير أب وأعلمه بنفسى كيف

ينتقم للطرواديين .. ثم أقف ضد اليونان جميعا أحاربهم .. حتى انصب ابنـك ملكا على طروادة ! . . ان الذى يرانى على هذه الحال من حبك ، يخال انك انت الملكة وهى الأسيرة .. تلك هى الاقدار التى فعلت بنا ذلك فجمعتكما فى مكان واحـد لتكون هى ملكة وتكونى انت اسيرة .. لكنها اسيرة تملك على الملك نواصى أمره .

أندروماك : ولكنها أليق بك ، وهل يصرفها عنك شىء ؟ ..

هل هى مثلى مدينـة بالحب والوفاء لذكرى زوج قضى ؟ .. وأى زوج ؟ ! .. رجل ما كان ليدانيه أحد آخر !

بيروس (وقد غير من لهجته) : ولكن ياسيدتى ، جدير بك ان تعلمى أن المحب المدله ، قد ينقلب الى حاقد كاره ، لا تقف فى سبيل كرهه الحواجز ، فان الذى يحب فى عنف يبغض فى عنف .. وهؤلاء هم اليونانيون يطلبون دم ابنك ، فلا تجعلى من كرهك هذا سببا لاراقة دم الابن تكفيرا عن ازدراء امه لى .

أندروماك : اذن ، فليمت ، فلعل موته يضع نهاية لما أجـد من الألم ، اذ اننى سرعان ما سأتبعـه ، فليس ثمة ما يدعونى الى التشبث بهذه الحياة سوى وجوده !

بيروس : اذهبى اذن ياسيدتى لزيارة ابنك ، فلعلك ــ حين ترينه ــ تفكرين فى انقاذه .

الفصل الثانى

• **ترفـع** الستار عن « هرميون » وقـد خلت فى جناحها الخاص الى صفيتها « كليون » التى تلح عليهـا فى قبول لقاء « أوريست » ، فتقبل الأميرة أخيرا قائلة : « لكم أحس بالخزى لانتصاره على .. سيقول هل هذه هى هرميون المتكبرة ؟.. لقد كانت تزدرينى فاذا بغيرى يهجرها ويتركها ذليلة . آه .. يا للآلهة ! »

كليون : لا داعى لكل ذلك القلق ، فان قلبه باق أسير حبك

.. ولكن ، ماذا سيكون من امر أبيك اذا عرف بالامر ؟

هرميون : ان أبى واليونانيين جميعا قد بدأوا يكرهون بيروس . ولو انه تأخر فى قتل ذلك الصبى الأسير ، فسيأمروننى بهجره ..

كليون : واذن يا سيدتى فاسمعى مايقول « اوريست » .. ولقد بدأ « بيروس » بالخيانة ، فلتتمى انت ما بدأ .. أو لم تقولى لى أنك تكرهينه ؟

هرميون : وأى بغض يا كليون .. بغض يعادل حبى الأول له .. ذلك الحب الذى لم يجد منه غير الخيانة والغدر !

كليون : اذن فاهجريه ! .. ماذا تنتظرين ؟ .. انه يحب أسيرته على مرأى منك ، أفلا يكفيك هذا ؟

هرميون : ولماذا تريدين العجلة ؟ هل تخشين ان يكون حبه مايزال يملأ نفسى ؟ .. لنبق هنا حتى ننغص عليهما عيشهما أو لنفرق بينهما .. لقد استطعت ان أحمل اليونانيين على ان يطلبوا ذلك الصبى لقتله ، وانى لأريد ان يطلبوا الأم أيضا .. لنذقها من الألم ما قد أذاقتنى !.. ولكن الذى يثيرنى اكثر من غيره ، هو اننى اعربت لبيروس عن كل ما يعتمل فى صدرى من عاطفة نحوه .. ليتنى كنت أخفيت عنه ما بقلبى ، واذن لكان هجره أقل وقعا على نفسى !.. ولكن، ماذا كنت أستطيع ان أعمل والظروف كلها تدفعنى اليه : أسرتى كانت تدفعنى اليه لأنه ثأر لها ، واليونان جميعا كذلك اذ بهرهم انتصاره على طرواده ، وحبه الذى كنت أظنه أشد من حبى .. ولكن مهما يكن فان لأوريست فضلا . . انه ـ على الأقل ـ يعرف كيف يحب ، ولعله يستطيع أن ينقل مثل حبه الى قلبى !

ويدخل أوريست فتسأله ان كان قد جاء مدفوعا بالحب أم انه فعل ذلك قياما بالواجب فحسب ، فيقول أنه **انما جاء مدفوعا بجذوة فى القلب ما زالت تتوهج ، لقد ذهب الى كل مكان يطلب الموت ، ولكن الموت لم يلب طلبه ، ثم اذا به ـ من**

جديد ـ أمام عينيها يلتمس منهما غذاء لحياته أو يأسا قاتلا !

هرميون : دع عنك ياسيدى هـذا الحديث ، وفكر فى كل هذا العدد من الملوك الذين أرسلوك الى هنا ممثلا لهم .. هل ينبغى أن يكون الانتقام لهم معلقـا على حبك لى ؟.. اذا كان الامر كذلك ، فدع عنك نيابتك عنهم ، وافرغ لشأنك .

أوريست : لقد اخلانى منها بيروس اذ رفض مطلبهم ، وانى لأرى قوة أخرى تدفعه الى هذا الرفض .. ولقد أوشكت ان أرحل ، لـكنى شئت أولا ان أستشيرك فى أمر نفسى ، ويخيل الى أننى أسمع الجواب الذى يبعثه فى نفسك كرهك لى !

هرميون : انك لاتفتـأ تردد الشـكوى من قسوتى عليـك وكرهى ، فهل تظننى أقسو عليك الى هـذا الحد ؟.. انى لم آت الى (ايبير) الا منفيةبأمر أبى. ومن يدريك أنى لم أقاسمك آلامك طوال هذه المدة ، ولم أتمن دائما رؤيتك؟

ويدهش أوريست لهـذا اللقاء الودود الذى طالمـا تمناه . ولا تلبث هرميون ان توحى اليه بأن يذهب فيؤلب اليونانيين جميعا على «بيروس»، ويحرضهم على الانتقام منه حتى تكون (ايبير) طروادة ثانية ، ولـكنه يقول : **« سـيدتى : بوسعك ان تفعلى به أكثر من هذا .. تعالى معى فألبيهمانت عليه وانفثى فيهم كرهك له.. أم تراك تريدين البقاء أسيرة فى هذا المكان؟»**

هرميون : لكنى لا أستطيع الرحيل خشيـة أن يتزوج من أندروماك ، وهذا خليق بأن يجلب لنا العار ..

واذ قالت ذلك ، ثار الشك فى قلب أوريست ، فقال : « هل تبغضينه حقا ؟.. انالحب ياسيدتى شىء لايمكن اخفاؤه! » .. فترميه بالتعصب والشك ، وتقول : « انك تعلم أن واجبى أن أبقى فى هذا المكان ، فليس لى أن أبرحه الا اذا اخرجنى منـه أبى أو بيروس .. واذن فقـل لبيروس ـ عن أبى ـ ان عـدو اليونان لايمكن أن يبقى صهرا لهم ، وخيره بين اثنتين ، اما أن يسلم اليك الطفل ، أو فليخرجنى من هنا . . وانى لمستعدة

للرحيل معك اذا اختار ذلك ! »

* * *

• **ويبقى** أوريست وحيدا ، وقد استخفه الفرح ، اذ كان موقنا من ان بيروس ــ الذى يحب اندروماك أشد الحب ــ لن يتردد عن أن يسلم اليه «هرميون»، فتلك هى فرصته للتخلص منها .. ولكنه لايلبث ان يفاجأ ببيروس مقبلا مع وزيره ، ليعلنه بأنه قرر النزول عند مطلب اليونانيين ، وان يشترى صداقتهم ، ويعده بأن يسلمه الطفل عند رحيله ، ثم يقول :

« وانى لأريد ــ زيادة فى تأكيد السلم ــ أن اتم زفافى الى «هرميون» ، وانها لفرصة سعيدة أن يتم هذا الزفاف بحضور شاهد عظيم الشأن مثلك ، فأنت نائب عن اليونان جميعا، كما انك من أبيها بمثابة الأخ . . فاذهب اليها اذن وانبئها بقرارى هذا الذى سيعيد الى طمأنينتى وحبها فى آن واحد »

وينصرف أوريست ــ وهو كالمأخوذ ــ واذ ذاك يبدى بيروس أساه لهذا القرار الذى اتخذه ، ولكن الوزير «فينكس» يقول له ان ابن أخيل لايليق به الا ان يذعن لسلطان المجد ، ولو على حساب قلبه. ويقتنع بيروس ، ويشعر بأنه انتصر على قوة تعادل أضعاف ماقابلته به طروادة من القوى . . قوة الحب الذى اعماه، حتى أوشك ان يضحى بصداقته لليونانيين جميعا ويؤلبهم عليه . ويشرح ما شجعه على اتخاذ قراره ، فيذكر انه ذهب لمشاهدة «اندروماك» وهى فى زيارة ابنها، فاذا الحنين الى « هيكتور » ــ زوجها الراحل ــ يتجلى فى كل



حركاتها وكلماتهـا ، اذ راحت تحتضن الصبى وتناجيه قائلة: «**الأنت هيكتور نفسه .. هاتان عيناه ، وهـذا فمه . . انمـا أنت هو ، وانى لأعانقك الآن أيها الزوج الحبيب !**» . . فكأنما وجود الابن يذكى حبها للزوج الراحل ويحيى ذكراه !

وينصحه «فينكس» بأن يبادر الى «هرميون» فيسترضيها، ولكن بيروس يقول انه لم يشف غليله من «اندروماك» ، وقد أصبح ناقما عليها ، ويصر على ان يذهب اليها فيصب غضبه عليها ، ويثبت لها ان جمالها لم يعد يؤثر فيه.. فيهتف الوزير يائسا : «انك عاشق حقا يامولاى !»

بيروس : انا عاشقها؟.. أأنا عاشق تلك الجاحدة التى لم يزدها حبى الا كراهية لى .. لا ، لا .. لايمكن الا ان انتقم منهـا ، وسأسلم ابنها لليونانيين ـ نزولا عند رأيك ـ ولنذهب معا الى هرميون !

الفصل الثالث

● **وفى** مطلع الفصل الثـالث ، نجد «بيـلاد» وقد خـلا الى «أوريست» ، فيقول له : «انى لا أكاد أعرفك مما أنت فيه من الغضب !» .. ولكن «أوريست» لايصغى اليه، فقد ذهب الغيظ برشده، ولم تعد لديه الا فكرة واحدة ، هى أن يختطف «هرميون» . ولكن بيلاد يقول : «فكر فى الأمـر . ولتعلم أين أنت .. انك فى قصر بيروس، وليس من أحد يكتم سرك ، فكله ـ بما فيه ومن فيه ـ ملك له .. الحرس ، والبناء ، بل حتى الهواء !.. أكتم سرك ، وخاصة عن هرميون !»

أوريست : لكننى لا أستطيع .. لقد جئت اطلبها ، واذا بها توافق أخيرا على ان تكون لى ، ثم اذا به يقطع على الطـريق ، فيقول انه سيتزوجها غدا ، وانه يريد تكريما لى أن يأخـذها من يدى أنا .. اننى موقن من ان سحرها لم يمس منه شيئا، انما هو يريد الزواج فقط لينتزعها منى .. يا للآلهة !

بيلاد : ولكن، انظر الى ماسيؤول اليه الموقف . . ماذا سيقول اهل اليونان الذين ارسلوك سفيرا عنهم ؟

واذ تعيى «بيلاد» الحيل، يقول أخيرا: « ليكن لك ماتشاء . . انني اعرف كل السراديب المعتمة فى هـذا القصر ، فاجمع اذن خلصاءك من اليونانيين ، وليأتوا بالسفينة التى تهرب بهرميون عليها . . فاذا كان الليـل ، قدتك واياها خلال سرداب خفى يفضى بكما الى البحر »

ولا تلبث ان تفد «هرميون» ، فينسحب « بيلاد » ، بينما يأخذ «اوريست» فى الحديث اليها عن حب بيروس لها ، فتقول: « ليس الحب هو الذى سيطر على حيـاة الاميرات ، وانمـا المسيطر هو مجد الطـاعة والخضوع للواجب » . . وينصرف اوريست بدوره، فتفد «كليون»، واذ ذاك تبدى لها «هرميون» عجبها مما طرأ على بيروس من تغير ، اذ اعلن رغبته فى ان يتم زفافهما ، وتقول: **« أترينه يفعل ذلك عن خوف ؟.. ومم ؟.. امن الشعب، وهو الذى ظل فى صراع مع طروادة عشر سنوات، فلم تنل الحرب من قلبه؟.. كلا، انه يريد الزواج لأنه يحبنى!.. انه يعود أخيرا الى السعيدة هرميون ! »**

وتقبل «اندروماك» ، فتهم «هرميون» بالانسحاب، ولكنها تبادرها قائلة : « الى أين تهربين ايتها السيدة ؟. . الا يروقك هذا المشهد . . مشهد امرأة هيكتور ، تبكى عند قدميك ؟. . ما أتيت بدموع الغيرة ، فأنا ما أحببت سوى مرة واحدة، وقد دفن حبى مع هيتكور . . على ان لى طفـلا هو مجمع حبى ، ولسوف تعرفين يوما مقـدار حب الابن ! . . اننى لأعرف ان بوسعك ان تبدلى حكم بيروس على ابنى ، كما ابدلت انا يوما حكم هيكتور على أمك هيلين . . الا انقذى ابنى، ودعينى ألوذ به فى جزيرة نائية ، ولن يكون لأحد أن يخشى انتقـامه ، لانه سينشأ على غـرار أم حزينة لا تجد لنفسهـا سوى الدموع تسكبها ! »

هرميون : اننى لأقدر احزانك ، ولكنى لا املك شيئا ، فقد ثار أبى ـ هو الآخـر ـ من أجل الصبى ، وارسل يطلبـه .. ولا يملك أحد ـ سوى بيروس ـ انقاذه ، فاذهبى اليه ، فانى اعرف ان لعينيك عليه تأثيرا كبيرا !

الفصل الرابع

• **وترفع** ستار الفصل الرابع عن المكان ذاته، وقدانصرفت هرميون ، ثم لايلبث ان يفد بيروس باحثا عنها ، فمـا ان يرى اندروماك حتى يتجاهلها ، ولكنها تتشبث به ملتمسة الرحمة لابنها، قائلة : ((**ان شئت فاسلم الابن وامه معا لليونانيين!**)).. واذ تتبين انهلايحفل بها ، وتعرب عن اعتزامها انتقتل نفسها ، يلين فؤاده، فيعود اليها قائلا: « ان انقاذه فى يدك ياسيدتى.. اننى أتوسلاليك بابنك انترفعى ما بيننا منحجب العداوة!.. هبيتى الامل فأتحمل سخط اليونانيين جميعا من اجلك، وارد اليهم هرميون، وأكلل هامتك بهذا التاج الذىأعد من اجلها ! » .. **ويعلنها بعزمه على ان يصطحبها الى المعبد ـ فى اليوم التالى ـ لتختار أحد أمرين : اما الزواج منه ، واما مشاهدة ابنها وهو يقتل !**

وتهيب بها وصيفتها ـ بعـد انصراف بيروس ـ ان تنتهز الفرصـة التى يعرضهـا عليها ، ولكنها تصيح : ((**وكيف انسى مشهد الهزيمة .. وبيروس يجوس خلال ديارنا، يدوس أجساد اخوتى ، والسيف فى يده ، ونفسه لاتشبع من القتل .. اذاك هو الزوج الذى تريدين أن أرضاه لنفسى؟**)) .. ثم تذكر ابنها، وآخر وصايا زوجها : « انى لأجهل ما يخبئه القدر لسلاحى ، يازوجتى العزيزة ، ولكنى اترك لك ابنى آية على حبى لك. فان قدر لى الموت ، فانه سيرانى دائما فيك .. واذا كانت ذكـرى زواجنا عزيزة عليك، فاحرصى دائما على انتظهرى للابن كيف كان أبوه عزيزا عليـك » ! .. وينتهى بهـا التفكير الى قرار ،

فتقول : « لقد عرفت بيروس عنيفا ، ولكنه صادق . ومن ثم فسأقدم اليه نفسى ، بعد ان أتلقى منه العهد على مائدة الآلهة بأن يكون لابنى أبـا يحافظ عليه طول حيـاته . ثم أدع يدى تختتم حيـاة مشـئومة لم تزل تسرى فى بدنى ، وبذلك أكون وفيت لعهد زوجى ، وصنت شرفى ، وانقذت حياة ابنى ! »

* * *

• **ونرى** فى المشهد التـالى « كليون » ــ صفيـة هرميون ورفيقتها ــ ثائرة للاهانة التى لحقت بالأميرة من جراء عدول بيروس عن الزواج منهـا ، وتصميمـه على ان يقـدم التـاج لأندروماك . . وتعلق هرميـون رجاءها على اوريسـت ، فتستدعيه . . ويأتى مهرولا، يستخفه الطرب لانها استدعته، فتسأله : **« أتحبنى ؟ .. اذن ، فانتقم لى ! »**

ويعرض عليها ان ترافقه الى اليونان ، فيؤلبان القوم عليه، ولكنها تقول : **« لا ، لست اريد البعد الى هذا الحد ، ولا أطيق انتظار مثل هذا الانتقام البطىء، المعلق بنتيجة الحرب .. انما أريد ان تبكى (ايبير) بأسرها عند رحيلى .. اقتله ! »** . فيجفل اوريست ، ويسألها : « اقتل من ؟ » ، فتقول : « بيروس ! »

ويبهت اوريست ، وتشتد به الحـيرة ، فان هرميون تريد ان تجعل منه قاتلا ! ويسألها ان تمهله لينتقم لها من بيروس فى قتال شريف ، ولـكنها تخيره بين ان يلبى رغبتهـا ، أو تهجره ما بقى لها من العمر ، وتتولى بنفسها قتل غريمها . . وتروح تغـريه وتستثيره بكل حيلة ، واوريست فى حـيرة من أمرها وامره . . ويستمهلها الى الليل ، ولكنها ترفض ، لأن بيروس اذا عاش حتى الليل ، أتم زواجه من اندروماك ، وأكمل عارها هى .. وتهيب به : «اذهب اليه الآن ، فهو مجرد من حراسه، اذ تركهم جميعا فى حراسة ابن اندروماك . . اذهب فتسلح مع أعوانك من اليونانيين ، وخـذ كل اعوانك معـك . . وعد الى

بيديك مخضبتين بدمائه، واذ ذاك أهبك قلبى !.. والا فدعنى واذهب بعيدا عنى ، فانى كفيلة بالانتقام لنفسى .. اذا كانت الشجاعة قد خانتك ! »

وتثور حمية اوريست، فيعدها بأن يقتله.. وما ان ينصرف حتى ترسل «كليون» فى أثره لتذكره بأن عليه ان يخبر غريمه قبل ان يموت بأنه انما يقتله انتقاما لهرميون !

الفصل الخامس

• **على** ان الاضطراب لايلبث ان يشتد بهرميون ، فنراها – فى مطلع الفصل الخامس – تحدث نفسها : « ماذا أفعل ؟.. أمحبة أنا أم كارهة ؟.. لا ، لا ، دعه يا أوريست !.. لا ، بل اقتله، وليكن موته نتيجة لحبى اياه !.. انه قلبى، انه حبى.. لقد تركت بلادى، وعبرت البحار لأبقى الى جواره ... الخائن!»

ثم تأتى كليون ، فتصف لها ما رأت فى المعبد : « رأيت بيروس يقود أندروماك الى المعبد ، وقد طار الفرح بلبه حتى أنساه كل شىء .. وكانت تسير معه ، وقد غاض من وجهها كل تعبير ، حتى ليخيل الى انها لم تعد تملك من أمر نفسها حبا ولا كرها ! » .. واذ تسألها هرميون عما كان من أمر بيروس حين رآها ، فتقول انه لم يكن يدرى شيئا ، حتى أنه لم ينتبه الى وجودها .. **لقد تخلى عن نفسه بأسرها ، وتخلى عن حراسه جميعا فأبقاهم ووزيره « فينكس » فى حراسة ابن أندروماك ، وكأنما لم يكن فى الوجود شىء ما يستحق الرعاية سوى هذا الطفل !**

هرميون : وأوريست .. ألم ترى من أمره شيئا ؟ !

كليون : لقد رأيته يدخل الى المعبد ومعه عصبة من الأنصار، ولكنى لا أدرى من موقفه شيئا ، اذ يخيل الى ان تقديره لأخيل يمنعه من قتل ابنه بيروس !

أوريست (وقد أقبل مسرعا) : سيدتى ، لقد انتهى الأمر،

وان بيروس ليسلم الآن روحه الخائنة !

هرميون (فى هلع) : هل مات ؟

أوريست : لقد غسل اليونانيون المخلصون خيانتـه بدمه ، وقد بررت بوعدى لك .. لم يكن يدرى شيئا ، ولـكن وجهه تغير اذ رآنى ، فشاء ان يتحدى اليونانيين جميعـا فى خـلال شخص نائبهم .. ومن ثم رفع تاجه ليتوج به عروسه قائلا : **((أى اندروماك ، انى أقدم اليك تاجى وحبى .. فكونى ملكة على ايبير وعلى ملكها بيروس . وانى لأقدم لابنك مودة أب .. اننى اذ أشهد الآلهة على ذلك أقسم لك ان أفى بتعهـدى ، واعلن ان عدو ابنك سيكون عدوا لى .. وانى لأعترف به ملكا جـديدا على الطرواديين !))** .. ومـا كاد يتم عبـارته ، حتى صـاح اليونانيون صيحة غضبهم المأثورة ، وانهالوا عليه طعنـا حتى سقط منهارا . ثم جئت مسرعا لأنهى اليك النبـأ واستنجزك وعدك !

هرميون : ماذا ؟ ماذا تريد منى أيهـا القـاتل ؟ .. لمـاذا قتلته ؟ .. وماذا فعل ؟ .. من الذى حرضك عليه ؟

أوريست : يا للآلهة ! .. ألم تأمرينى أنت نفسك بذلك .. فى هذا المكان ؟

هرميون : آه .. وهل صـدقت عاشقة مهجورة ؟ .. أما كان جديرا بك أن تعرف مايدور وراء ثورتى ؟ .. ثم ، أتراك جئت لتشركنى معك فى جرمك ؟ . . لقد كانت سفارتك الينا مصدر نحس ، فارحل .. اذهب ، ايها الخائن !

★ ★ ★

• **وتغادر** هرميون المكان ، مخلفـة ((اوريست)) مذهولا ، يكلم نفسه لفرط حيرته وندمه وحسرته . . لقد خان بيروس ، وخان اليونانيين الذين اوفدوه سفيرا عنهم .. ومن أجل من فعل هذا ؟ .. من أجل جاحدة !

ويفد بيلاد مع مجموعة من جنده ، فيهيب به ان يبادر معهم الى الفرار ، والا أحاط بهم الشعب تحت امرة اندروماك التى اعتبرها القوم ملكة عليهم ، والتى أخذت تمثل دور الارملة المخلصة ، وراحت تصرخ مطالبة بالثأر ، وهى تبغى — فى الواقع — ان تنتقم لطروادة ولزوجها هيكتور

ولكن اوريست يأبى الا ان يقتفى اثر هرميون ، قائلا : « لقد ارتكبت جريمة ، ولا بد من ان اكفر عنها ! » .. فينبئه بيلاد بأن هرميون لم تكد ترى جثة بيروس حتى قتلت نفسها حزنا عليه ، فاختلط دمها بدمه !

اوريست : يا للسماء ! .. لم يبق لى الا أن أقتل نفسى الى جوارهما ، ليختلط دمى بدمائهما ، ويجمع الموت بيننا ، بعد اذ فرقتنا الحياة .. يا للآلهة ! ماذا أرى ؟ .. الدم يملأ كل بصرى ! .. ما هذا ؟ **ان بيروس يظهر امامى خلال الدماء .. وتلك هرميون ترافقه ! .. انها لتحتضنه امامى ! .. ايتها الآلهة ، أية نظرة رهيبة تلك التى ترميننى بها ! .. يا للشياطين!**

ويظل اوريست يهذى ، حتى يهوى على الارض مغشيا عليه ، فيحمله بيلاد وأصدقاؤهما لينقذوه من نقمة الشعب !

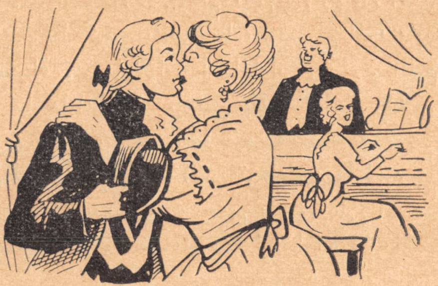
وتسدل الستار

اعترافات .. صريحة !

كان « روسو » صريحا صراحة قاسية فى اعترافاته : لم يخجل من المجاهرة بخطأ تردى فيه ، أو خطيئة أقدم عليها – ان عفوا أو عمدا – بل انه لم يتردد فى المجاهرة بأى نقص كان يشوب تكوينه الجسدى أو الخلقى !

وفى الجزء الثانى من « اعترافات جان جاك روسو » ، الذى يصدر به عدد ممتاز من (مطبوعات كتابى) فى منتصف سبتمبر ، نواصل معا سياحتنا فى نفس الكاتب :

« .. ووجدت فى الموسيقى رابطة توثق ما بينى وبين



« ماما » ، فاستغللتها فى اغتباط ! ولقد اعتدت ان أقول لها – عندما كنت أراها منهمكة أمام أحد المواقد التى كانت تعد عليها مستحضراتها الكيميائية : « ماما ، هاك أرجوزة بديعة ، يبدو لى انها كفيلة بأن تجعل عقاقيرك تحترق » .. فكانت تجيب : « قسما بشرفى ، لو انك جعلتنى أحرقها ، فسأجعلك تأكلها ! »

« وفى أثناء هذا الجدال ، أكون قد جررتها الى المعزف ، حيث ننسى كل شىء آخر .. فاذا العقاقير تستحيل الى مسحوق تلطخ به وجهى .. لكم كان كل هذا بهيجا ! »



تلخيص : فرج جبران

امرأة جميلة .. فى طريقها الى المشنقة !

◆ كانت نهايتها تقترب ! وكانت تعلم تماما الطريقة البشعة التى ستضع حدا لحياتها وشبابها وجمالها .. فقد كانت المشنقة تنتظرها لتتلقف عنقها الجميل ، بعد أن أدينت فى جريمة قتل وحكم باعدامها شنقا ! وجلست مارى هيلتون - الشابة الانجليزية الجميلة - لتسجل أحلك ساعات حياتها .. الساعات الاخيرة التى سبقت شنقها . وتلقى الورق كل ارتعادات ، وكل اهتزازات نفس المرأة التى تفيض شبابا وحيوية وتعلقا بالحياة ، وخوفا من المجهول الذى ينتظرها

ثم مضت المرأة الى مصيرها ، وبقيت المذكرات . ومن هذه المذكرات، استقى الكاتب الأمريكى « جون هنرى » مادة لقصة من أبرع القصص التى وضعت حتى اليوم ، مسجلا قصب السبق فى نوع جديد لم يسبقه اليه أحد من قبل

فتعال نقرأ معا هذا الكتاب الفذ - الذى أحدث عند صدوره ضجة كبرى فى انجلترا وأمريكا - ولكن لنمسك أنفاسنا قبل أن نقرع باب الغرفة الرهيبة ، التى تجلس فيها « مارى هيلتون » ، وهى عاكفة على تسجيل أيامها الاخيرة !

◆ **أجل ، أنا** « مارى هيلتون » ! ان أحدا فى العالم لايستطيع ان يتصور الجزع الذى يأخذ بخناقى ! لقد أقبلت مديرة السجن على حجرتى - فى هذا الصباح - وأبلغتنى بأن الاسترحام ، الذى كنت قد تقدمت به ، قوبل بالرفض . ولاذت الحارستان اللتان تلازماننى ليل نهار بالصمت ، حتى اذا فرغت من غدائى ، عادت مس براندون - وهى احداهما - تستحثنى على ان أستقبل الكاهن .. وكنت قد رفضت ان أقابله ثلاث مرات من قبل !

وأشعلت سيجارة ، ولكننى لم أستسغ طعمها .. وجلست على المقعد الخشبى الجامد ، المجاور لفراشى . كان جديرا بى ان أحاول الكف عن التفكير ، فسوف يخلو أمامى الليل بطوله

كي أفكر . لقد كان كرما منهم ان سمحوا لى بوشاح أسود أضعه على عينى بالليل ، فما استطعت يوما ان أنام فى الضوء .. وما زلت أذكر كيف اننى كنت أستيقظ بمجرد تسلل ضوء النهار الى غرفتى ، فى ذلك الكوخ الخشبى الذى قضيت فيه ردحا من الصيف الماضى مع « جيم » ..

هكذا كنت ، وهذا هو مصيرى : الظلام دائما .. والى الأبد !

★ ★ ★

• **ووقفت** عندما دخل الكاهن .. كان يبدو انه أصغر سنا من ان يكون كاهنا لسجن ! وخرجت الحارستان عند دخوله ، حتى يخلو الى . وسألنى قائلا : « هل تتسلمين خطاباتك بانتظام ؟ » . فأجبت : « نعم ، فليس هناك من يكتب لى سوى أمى وأخى ! »

ـ هل تريدين شيئا ؟ كتبا ؟ هل هناك شيء تريدين ان تفضى به الى ؟

ـ لا ، لا .. ليس الآن ! اننى لا أقرأ الكتب كثيرا ، ولست متدينة !

وهنا ظهر التجهم على وجه الكاهن ، وقال : « **سوف تقضين هنا أسبوعين .. وما لم يصدر عفو أو تخفيف للعقوبة ، فسوف يتم كل شيء فى الأسبوع الثالث !** » . وتمنيت لو خرج من حجرتى .. فقد احسست برأسى يدور ونفسى تغثى . وما كاد يخرج حتى أسرعت الى دورة المياه وأنا أصيح : « اننى .. أظننى .. ! » . فأسرعت مس براندون خلفى .. حتى فى دورة المياه يجب ان يلازمنى أحد !

وبعد ان عدت الى حجرتى ، استلقيت على فراشى ، فوليت وجهى شطر الحائط . وما لبثت ان سمعت الجلبة التى تصحب تغيير الحارستين . وأدرت رأسى فرأيت مس « ماك فارلين » وقد خلعت قبعتها ، وسطع الضوء على وجهها . وبدأت تلعب الورق مع زميلتها . وما لبثت أن سألتها عن وشاحى الأسود ،

فأحضرته ، كما أحضرت لى قدحا من الماء وقدمت لى قرصا صغيرا ، وهى تقول لى : « يريد الأطباء منك ان تتناولى الليلة هذا القرص ، ليساعدك على النوم ! »

وكنت أتمنى لو تركت بمفردى مع مس ماك فارلين ، فانها الشخص الوحيد الذى كان يبعث الهدوء الى نفسى .. فهى لا تعبس مثل غيرها ، ولا يبدو عليها مطلقا انها تراقبنى ، كما كان يلوح لى انها تضيق بزيها الرسمى ! .. **انثى أعرف هذا النوع من النساء .. فقد سبق لى ان عملت فى صالون من صالونات التجميل ، حيث قدر لى ان أقابل « جيم » لأول مرة . ولكن « جيم » قد مات .. وسأموت أنا أيضا بعد فترة قصيرة .. وكذلك « لوسى » ؟**

لقد قال لى يوما : « ليس فى وسعى ان أعيش دون لوسى!» . ولكنه لم يكن يستطيع ان يعيش معها كذلك ! .. اواه يا جيم ! لقد كنت سعيدا معى فى بادىء الأمر ، لأننى كنت أحبك ، ولكنى كنت لا شىء بالنسبة لك .. أما لوسى فكانت كل شىء !

وكنت قد بدأت أشعر بالدوار .. ربما كان ذلك بسبب الدواء المنوم . والتقطت مس ماك فارلين الوشاح الأسود الذى سقط بجانب الفراش ، فأخذته منها وأسدلته على عينى وأنا أقول لها : « هكذا تغطى العينان عندما يواجه المحكوم عليه بالاعدام اولئك الذين سينفذون فيه الحكم ! اليس كذلك ؟ » . ولم تقل شيئا ، كما أخفى الوشاح — عن عينى — ما انعكس على وجهها من مشاعر

★ ★ ★

• **كانت** والدتى تقول دائما انه كلما ارتكبت جريمة قتل ونشرت الصحف أخبارها ، بدت من الجماهير روح عطف نحو القاتل ! لكم هى مسكينة أمى ؟ ! هل فكرت فى انه سيجىء يوم يحدث فيه ذلك مع فرد من أسرتها هى ؟ .. وخليق بى ان أرثى للوسى هى الأخرى ، ولكننى كنت أريد ان أقتلها على

أية حال !

جريمة قتل مع سبق الاصرار ! هكذا وصفها القاضي . انها جريمة أفظع من اية جريمة أخرى يرتكبها المرء فى ساعة غضبه وتهوره . ومع ذلك فانهم لا يعرفون لوسى ، ولا يعرفون اية امرأة كانت ! وما كان الأمر ليهمنى لو انها شعرت بالأسف على جيم ، رغم كل ما بذل هو من أجلها !

وقلت للحارسة : « لا أظن ان بوسعى ان أتناول فطورى اليوم » .. فبدا عليها الارتباك ثم قالت : « حاولى ياهيلتون ، حاولى ! » .. انهم يحاولون مضاعفة وزنى ، وكأنى الديك الرومى الذى سيذبح فى عيد الميلاد ! ولكن عيد الميلاد قد مضى منذ مدة طويلة ، ولن يلبث عيد الفصح ان يجىء قريبا ! .. وسمعت الحارسة تصيح بى : « تعالى اشربى الكاكاو ياهيلتون ، والا فسيصبح باردا ! » . ثم استطردت قائلة : « ها قد وصل زائروك ! » . وتمنيت لو تمكنت والدتى من المحافظة على هدوء أعصابها اليوم ، سوف يكون لديها الوقت الكافى للبكاء فى الزيارة الأخيرة ! .. **كذلك تمنيت لو تنتهى هذه الزيارة سريعا ، بل لو انتهى كل شىء سريعا ، ونفذ الحكم ! ان الانتظار هو الشىء المزعج فى الأمر ! ان لوسى لم تنتظر ، فلماذا انتظر أنا ؟ !**



وبدا شكل والدتى و «آلان» غريبا من وراء الزجاج الذى كان يفصل بينى وبينهما . ان آلان شاب حسن الهيئة بالنسبة لسنه .. فهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وسوف يكون مصدر عزاء لوالدتى . انها لم تحبنى قط قدر ما أحبته هو ! ولكن

لا شك انها صدمت بالحادث الذى وقع لى . وقال آلان : « لقد كتبت أمى استرحاما للوزير ! » .. وامتلأت عينا أمى بالدموع . ثم جاءت الحارسة لتقول ان الزيارة قد انتهت . وقالت لى : « من الخير لك ان تنامى قليلا ! » . وحضر الطبيب وحقننى فى ذراعى

* * *

• فى الأسبوع القادم سأحتفل بعيد ميلادى السادس والثلاثين . لقد تزوجت « فريد » وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى . وكانت أمى تلومنى دائما لانفصالى عنه ، ولكننى لم آسف مطلقا على هذا . وربما اختلف الأمر لو اننا رزقنا بأطفال ، او لو ان الحرب لم تنشب . فقد بدا التغير على فريد بعد عودته من ساحة القتال .. كان حزينا ، جامدا ! ولو اننى بقيت الى جانبه ، لما حدث شىء من هذا كله .. أو ربما كان لا بد من حدوثه !

آه ، لو كان جيم موجودا ، وحضر لرؤيتى ! ولكن ما الذى جعله يجن غراما بلوسى ؟ .. لقد بلغ جنونه بها ان قتل نفسه عندما اعتقد انه فقدها الى الأبد ! ومع ذلك فقد كنت أحبه .. كنت أحبه كما لم أحب انسانا من قبل ! بل اننى لم أحب انسانا غيره ! .. جيم ، جيم ! لماذا قضيت على نفسك ؟ ! .. لقد كانت حياتك ثمينة عندى ، فلماذا انتزعتها منى ؟ لقد كان فى وسعك ان تستمر فى الحياة بدونها ! .. **ولكنى قتلتها .. قتلتها لأنها دمرت حياتى ! وهأنذا الآن على وشك الموت . ولكنى لا أريد ان أموت ! كما أعتقد ان الذين أراهم حولى طول الوقت لا يريدون ذلك أيضا ، فانهم ينظرون الى فى ألم وحسرة . هل يصلح موتى من الأمر شيئا ؟ .. لا ، لا ! لا شىء يمكن ان يصلح الأمر !**

وفى هذا الصباح ، سألنى الكاهن عما اذا كنت أرغب فى تناول الأسرار المقدسة ، لأتم واجباتى الدينية . وقد بدا لى هذا

ضربا من الرياء ، لأنى لم أدخل كنيسة منذ أعوام ! على انى أظن ان من الأسهل ان أقول نعم ، فان التعامل مع النساء يضايقه ، ومن المحتمل ان يكون هذا هو أول حادث شنق امرأة يصادفه فى حياته ! لقد لاحظت نقطة بيضاء على ظفر من أظافره ، فاذا ما اختفت هذه النقطة فسوف أكون — أنا أيضا — قد ذهبت !

* * *

• **هذا** أطول أسبوع فى حياتى ! ومع ذلك فاننى اعتقد انه كلما اقترب الموعد ، فسوف تمر الأيام سريعا ، وتبدو قصيرة جدا . اننى أمسيت أعرف كل علامة فى حجرتى ، وكل شرخ فى خشب المقعد الذى أجلس عليه . وعندما أخرجونى اليوم للنزهة ، وجدت قطة كبيرة منزوية الى جانب أحد أسوار السجن . وسعت الى القطة ثم أخذت تتمسح فى وهى تحدث صوتا رتيبا ، فرحت أمر بيدى على فرائها . وقالت الحارسة : « يبدو انها أحبتك ، مع انها عادة لا تلقى بالا للأجانب ! » .

* * *

• **اليوم** ، يوم الأحد صباحا ، واننى لأسمع أجراس السجن وهى تدق . وقالت لى الحارسة : « هيلتون .. سيحضر الكاهن بعد قليل » . وجاء الكاهن . وكان منظره غريبا فى ملابسه التقليدية التى يرتديها فى أيام الآحاد . ولما ركعت لأصلى ، أحسست بألم فى ركبتى ، بسبب قسوة الأرض وبرودتها :

« يا أبانا الذى فى السموات ... »

اننى متعبة .. متعبة جدا !

« اغفر لنا ذنوبنا ، أنت الذى وعدت بالغفران لجميع الذين يؤمنون بك ... »

ولكنى لست مؤمنة كل الايمان !

« وامنحنا الحياة الأبدية ... »

عن طريق هذا الباب الصغير — ولا شك ! — الموجود فى ركن

الزنزانة !

« يا أعضاء هيئةالمحلفين . . أستحلفكم بايمانكم وضمائركم: هل هذه المرأة مذنبة أم غير مذنبة ؟ »

ـ مذنبة ! مذنبة ! مارى هيلتون . . لقد تبين انك مذنبة . . انك مدانة بتهمة القتل مع سبق الاصرار ! هل لديك أقوال أخرى ؟

« آمين . . آمين ! فليحفظك الله جسدا وروحا الى أبد الآبدين ! »

ان الحارسة هيل هى صاحبة النوبة اليوم . وكلما رفعت بصرى ، اكتشفت انها تراقبنى . يخيل الى انها تريد ان تروى لأصدقائها كل شيء عنى . وهذا شيء طبيعى ، فانهم لايعرفون عنى الا ما تكتبه الصحف

* * *

• **ان** حذائى يؤلمنى اليوم ، وهم يحاولون استبداله . كان الحذاء أول شيء لاحظته فى لوسى عندما دخلت الى صالون التجميل الذى كنت أعمل به . كانت تنتعل حذاء عالى الكعب . . ونظرت الى ساقيها فوجدتهما غاية فى الجمال والاتساق . لم يكن جمالها من النوع الممتاز ، ولكن من المؤكد انها كانت تعرف كيف ترتدى الملابس الملفتة للأنظار . **على ان بشرتها كانت رائعة ، كما ان عينيها كانتا واسعتين ، زرقاوين ، تلمعان بشدة . وكانت قد بلغت الأربعين ، ولكن لم يمكن لأحد ان يقرر هذا الا بعد ان ماتت !**

وعندما دخلت الى صالون التجميل لأول مرة ، كنت لا أعلم ان جيم يعرفها . ويبدو انه كان قد قابلها فى أحد المشارب ، فشعر الاثنان بميل متبادل . كما يبدو ان لوسى وجدته شابا جذابا فى أول الأمر . . ولكنها كانت من النوع الذى لا يرتبط الا بشخص من بيئته ، ولذلك فانها ما لبثت ان ملته وسئمت منه . وكانت تعزف على البيانو فى أحد الأندية الليلية ثلاث

مرات فى الأسبوع . أما هو فكان كسولا ، وكان كلما كسب بعض المال أضاعه فى القمار . وأعتقد ان لوسى كانت تقدم له المال كى يصحبها الى بعض الأماكن التى لا يمكن ان يحتمل الانفاق فيها بمفرده

انه لمما يدهشنى حقا انها استطاعت ان توقعه فى حبائلها ، وهو الذى اعتاد — طوال حياته — ان ينتقى المرأة التى يتخذها صديقة له .. وكان كثيرا ما يفخر بهذا ! .. لقد مات الآن ، وسألحق به .. سريعا ! ولكننى — مع ذلك — مازلت أتساءل : لماذا لم أنجح معه ؟ !

ما زلت اذكر اول فيلم شهدته مع جيم . لقد كنا نجلس فى الصف الأخير ، وقد طوقنى بذراعه .. وكنت أشعر بسعادة عارمة لاهتمامه بى أكثر من اهتمامه ب « بيتى جريبل » بطلة الفيلم ! وعندما نظرت اليه فى الظلام ، قبلنى فى الحال ! لكم تمنيت ان تدوم هذه القبلة الى الأبد ! .. **وفى تلك الليلة ، عاد معى الى المنزل .. وما كنت أظن ان الأمر سيكون هكذا ! كنت أشعر برهبة غريبة ، بل انى احسست بأنى قد غدوت انسانا آخر .. انسانا غريبا ، متوحشا ، يصرخ بصوت يختلف تماما عن صوتى : « لا .. لا ! دعنى .. اتركنى ! »**

وفجأة ، وجدت وجه ماك فارلين قريبا منى . وكانت تقول لى فى لطف ورقة : « يجب ان تنامى الآن ! »

أنام .. الآن ؟ .. أنام ؟

* * *

• **كان** الوقت صباحا ، والطبيب يتحدث الى : « سوف تحضر لزيارتك هذا المساء سيدة ممتازة .. لقد كتبت كثيرا عن اصلاح السجون ، كما كانت لها صلة طويلة بخدمة السجون .. وأعتقد انك ستميلين اليها . واذا كنت تحسين بشىء ما يثقل على نفسك ، فلن تجدى شخصا أفضل منها للتحدث به اليه ! » . **ولم أجبه بشىء .. فاننى لم أكن أود ان**

أرى احدا ، ولكنى كنت متعبة الى درجة لاتسمح لى بابداء اية معارضة

وكان شكل مس « بلاى » يبعث على الضحك .. ولكن الحق انها كانت لطيفة ، ولم يبد عليها اى أثر للانزعاج من وجودها فى حجرة الموت بالسجن . وكانت قادمة من معرض للزهور ، فأخذت تحدثنى عنه وعن البذور التى اشترتها لزراعتها فى حديقتها . وكان حديثها طبيعيا جدا ، حتى لقد شعرت ببعض الراحة . وكانت تحمل باقة صغيرة من البنفسج ، أعطتها — عند انصرافها — للحارسة ، وطلبت اليها ان تضعها فى كوب من الماء بحجرتى

ولم تشر اطلاقا الى ما ارتكبت من جرم ، كما اننى — من ناحيتى — لم أتحدث عنه . وسألتنى عما اذا كنت أريد ان أكلفها بمقابلة أحد خارج السجن ، فأجبت بالنفى . وعندئذ صافحتنى قائلة انها ستحاول العودة لترانى مرة أخرى ، ثم انصرفت .. اننى لأسائل نفسى عما اذا كانت البذور التى ستزرعها فى حديقتها سوف تنمو أم لا ؟ !

★ ★ ★

• **غدا** ينتهى الأسبوع . انى لأتساءل أحيانا : ماذا حدث لـ « بيل » ، الجندى الأمريكى الذى تعرفت اليه اثناء الحرب ، والذى كان يقدم الى ما يتلقاه من طرود الطعام التى كانت أمه ترسلها اليه . كان يخرج معى كثيرا ، ولكنه كان يفضل الحضور الى مسكنى ، ويعد الطعام بنفسه .. فقد كان طاهيا مدهشا ، وكان يحضر معه الويسكى !

وكان يمتلك مسدسا . ولقد تحدثوا كثيرا عن هذا المسدس فى المحكمة . وكان « بيل » قد أرانى اياه ، وعلمنى كيف أستخدمه ، ثم تركه معى قائلا انه قد ينفعنى لو حاول اللصوص ان يقتحموا مسكنى ! .. ولم أعلم نبأ مقتله فى فرنسا الا بعد مدة طويلة . وكان مسدسه ما يزال ملقى فى أحد ادراجى ، دون

ان أخبر « جيم » بذلك . فهنــاك أشياء لم يذكرها لى جيم اطلاقا .. وما كان من الممكن أن أسمع بأمر لوسى ، لولا « روز كارجيل » . وكانت تشتغل معى فى صالون التجميل ، فأخبرتنى ذات يوم بأنها رأت جيم مع احدى النساء فى أحد الأندية الليلية

وبدأت أشك فى الأمر ، اذ كان قد أخبرنى بأنه سيخرج فى تلك الليلة مع صديق له . وعندما سألته ، انكر انه كان مع اية امرأة ، وذكران روز لا بد وان تكون قد اخطأت . ولكن ، وفى نفس الأسبوع ، جاءت لوسى بقدميها الى صالون التجميل . وما كادت تدخل ، حتى أشارت اليها روز ، وهمست الى بأنها المرأة التى شاهدتها مع جيم فى النادى الليلى . **وقـد اضطر جيم الى الاعتراف بعد ذلك بصحة الواقعة ، ولـكنه زعم انها امرأة غنية تتولى الانفاق عليه ! لقد كان كذابا كبيرا مدهشا ، ولكننى مع ذلك لم أكن أشك ــ فى ذلك الوقت ــ فى ان له صلة حقيقية بامرأة غيرى .. وهـذا يثبت الى اى حد يمـكن ان تخطىء المرأة فى الحكم على الرجال !**

* * *

• **حلمت** ليلة أمس حلمـا مزعجا عن لوسى ! حلمت انهـا لا تزال على قيد الحياة ، وانها جاءت لزيارتى . وكانت تحدثنى من وراء الزجاج ، ولكنى لم أكن أعرف لماذا أنا هناك ، ولا ماذا كانت تقول ! على ان وجهها كان أمامى .. **وكانت تحدق فى وجهى بعينيها الزرقاوين . وحولت وجهى لحظة كى أنظر من النافذة ، ولما عدت الى النظر اليها ، وجدت وجهها الجميل قد تحول الى جمجمة ، ورأيت فى مكان العينين تجويفين فارغين . وفى تلك اللحظة فقط تذكرت اننى قتلتها ، فأخذت فى الصياح**

وكنت ما أزال أصرخ عندما استيقظت .. ووجـدت ماك فارلين تقف بجوارى ، وهى تضع يدها على فمى وتقول بصوت ناعم هادىء : « كفى .. انه ليس الا حلما ! »

ولكنها كانت مخطئة .. فقد كان الأمر حقيقة لا حلما !

* * *

◆ **سألت** عن اليوم ، فقيل لى أنه يوم الأربعاء . . واذا لم يخفف الحكم ، فسوف ينفذ فى أحد أيام الأسبوع القادم . وكان الكاهن قد أعطانى كتابا كله شعر وحكم ، فأخذت أقرأ بعضا منها . وقد أعجبتنى عبارة قرأتها عدة مرات، ثم نقلتها بخطى على الصفحة الأخيرة من الكتاب . وها هى :

« ان الليل قريب .. ومن الخير ان يستسلم المرء لليل ! »

ربما كان هذا من الخير ، ولكن ليس فى وسعى ان أستسلم! اريد أن أعيش .. اننى أرغب فى ذلك اكثر من أى وقت آخر !

وحدثت مفاجأة فى المساء . فقد عادت مس بلاى ، وقالت لى انها كانت تزور السجن ورأت ان تحضر لرؤيتى . وبعد ان تحدثنا فى عدة موضوعات، سألتنى عما اذا كنت آسفة على ارتكاب جريمتى . وترددت فى الاجابة، فاستطردت مس بلاى تقول: «اننى أقصد بسؤالى القتل ذاته وليس مجرد وجودك هنا!» . وفهمت ما تريد . وكنت قد بلغت مرحلة كذبت فيها على الآخرين ، بأمل ان يكون لهذا تأثير على مصيرى .. ولكننى حين نظرت الى وجه زائرتى الأمين ، شجعنى ذلك على ان أقول الصدق . ومن ثم أجبتها قائلة : **« اننى لست آسفة على شىء ! »**

وكنت أقصد ما أقول ، فتأوهت مس بلاى وقالت : « اننى لا أظن انك تقصدين ذلك يا مسز هيلتون ، ولكننى لم أجىء الى هنا لأستجوبك . وأعتقد ان وقتك اتسع للتفكير فى الأمر خلال الأسبوعين الماضيين » . وكان صوتها لطيفا ، فقلت لها : **« بالطبع .. ولكنى أفكر فى الوقت الحاضر فيما هو أهم من الأسف بكثير ! »**

ـ ان ذلك يدهشنى !

ووقفت، ثم مدت الى يدها قائلة: « فكرى فيما قلت لك .. ولا تخشى شيئا ! » . ولم تقل لى الى اللقاء !

* * *

• **غضبت** مساء اليوم عندما حضرت أمي لزيارتي زيارة مفاجئة . وتحركت للذهاب اليها ، ولكنني — فجأة — قررت ان لا أرها . وعادت بي الحارستان الى الزنزانة .. وأعتقد انني تحدثت بسوء عن والدتي ، ثم أخذت في البكاء . وقالت ماك فارلين انه مهما يكن رأيي فيها ، فانها أمي على أية حال ، ولا بد ان أراها . وأظن انني انتهرتها وطلبت منها ان تذهب الى جهنم ! ومع ذلك فقد قالت لي بهدوء — بينما كنت أجلس على الفراش وقد وقفت هي الى جانبي : « **هدئي روعك .. انك حتى هذه اللحظة تفكرين في نفسك فقط !** »

واخذت بكلماتها ، وبالطريقة التي قالتها بها .. ولم يسعني الا ان أمعن فيها النظر والدموع تملأ عيني . وقالت لي : « **أليس في وسعك ان تقدري مدى قسوة هذه الفترة على حياة أسرتك؟ سوف ينتهي الأمر سريعا بالنسبة لك ولآلامك ، أما بالنسبة لهم ، فان آلامهم ستستمر الى نهاية الحياة !** »

وكنت ، أثناء حديثها ، أضحك وأبكي في وقت واحد ، وبشكل جنوني . وكنت أتوقع ان تصفعني . وبعد برهة ، جاءت ماسون — الحارسة الثانية — وقالت : « هيا ، يجب ان لا تبقى أمك في انتظارك أكثر من هذا! » .. فنهضت من مكاني وتبعتها الى الخارج . وحاولت جهدي ان أبث فيها شعور الأسف على ، ومع ذلك فانني لا أحب أن تنعكس الشفقة على أعين الآخرين!

* * *

• **الاثنين** .. اليوم يوم الاثنين . لقد أصبحت الأيام الآن في غاية الأهمية والخطورة . وعندما تحضر محافظة السجن لرؤيتي ، أستعد فورا لسماع الأخبار .. فانني أعلم انها هي التي ستخبرني بموعد تنفيذ الحكم . **لابد انها عرفت الحب والكراهية والغيرة .. ومع ذلك كان في مقدورها ألا ترتكب شيئا مما ارتكبت أنا !**

ألا ينتهى يوم الاثنين ؟ اننى أتوقع ، كلما فتح الباب ، ان يكون القادم محافظة السجن . وكنت ألحظ ــ كذلك ــ آثار الاضطراب فى أعين الحارستين ، وفى تصرفاتهما ، اذ زادت مظاهر عطفهما على، وأخذتا تحاولان شغلى بكافة الطرق: بلعب الورق ، وبأكواب الشاى ، وبالمزيد من السجائر !

وفى المساء ، عرضت احدى الحارستين على الأخرى بعض بطاقات عيد الفصح التى اشترتها. ان عيد الفصح فى الأسبوع القادم .. وقد لا أكون هنا يوم العيد ! اننى أعرف هذا ، كما تعرفه الحارستان

★ ★ ★

• **استيقظت** اليوم فى الصباح الباكر ، وكنت سعيدة لأن الليل قد انتهى .. ومع ذلك كنت خائفة من النهار !.. كل شىء هادىء فى السجن ، فلا صوت ، ولا حركة ، الى ان يدق الجرس ليعلن للمسجونين بدء يوم جديد ..

وأخيرا ، جاءت المحافظة . ووقفت لأواجهها :

ــ يا هيلتون ! لابد لى ان أخبرك بأن الوزير لم يجد استرحامك جديرا بالنظر ، وسوف ينفذ الحكم فى صباح يوم الخميس !

اليوم يوم الثلاثاء .. هذا هو أول ما تبادر الى ذهنى ! وسينفذ الحكم يوم الخميس .. صباحا !.. وسمعت صوت المفتاح وهو يغلق الباب . وشعرت بالأرض تميد من تحت قدمى ، وبالسقف يهبط من مكانه

« يا أجمل الأشجار .. لقد بدأت الزهور تتفتح عليك ! »

★ ★ ★

• **« هذه** هى فتاتى ! » .. تلك كانت آخر الكلمات التى وجهها جيم الى .. ولكننى لم أكن فتاته وقتئذ .. بل ربما لم أكن فتاته فى أى وقت من الأوقات !

لقد كنت على ثقة من انه لم ير لوسى لعدة أسابيع ، وقال

هو ان كل شيء قد انتهى بينهما . وكانت السماء تمطر عندما خرجنا من السينما وصحبنى الى المنزل . ولم يتحدث فى الطريق ، ولكننا عندما وصلنا قال لى وهو يمر بيده على وجهى :
« لا فائدة يا مارى .. لابد لى من رؤيتها ! »

ــ ماذا فعلت بك يا جيم ؟ اننى أحبك !

ــ لا أعرف ! ولكن ، ربما أمكننى التغلب على ضعفى اذا رأيتها !

ــ حسنا !

وشعرت بالخجل بسبب ضعفى . . ولكننى طلبت منه الحضور لرؤيتى فى مساء اليوم التالى ، فنهض قائلا : « حسنا ! سأراها مرة أخرى ، ثم أعود الى هنا يوم الاثنين ! » . واتجه الى الباب ، ثم عاد الى ورفع ذقنى بيده قائلا : « هذه هى فتاتى » . ثم قبلنى وغادر المسكن مسرعا

ولم يعد يوم الاثنين كما قال . وسهرت الليل بطوله أنتظر حضوره ! وفى الصباح الباكر ، اتصلت تليفونيا بالمنزل الذى يستأجر فيه حجرة ، وطلبت من صاحبته ان تستدعيه لأتحدث اليه . وغابت برهة ثم عادت لتقول لى ان شيئا مروعا قد حدث . . **« فقد انتحر جيم ، اذ ترك صنبور الغاز مفتوحا ! كما ذكرت لى السيدة بأنه ترك خطابا قصيرا موجها الى من تدعى لوسى ، قال لها فيه انها ليست المسئولة عما حدث ، ولكنه لم يعد يحتمل ! .. ولم يترك لى كلمة واحدة !**

وتبين من التحقيق انه كان قد رآها يوم الأحد مساء ، وانها ذكرت له انها سوف تتزوج ، وانه لم يعد فى استطاعتها رؤيته بعد اليوم

اننى أعتقد انها قد كذبت على المحقق . . فهى من طراز يختلف عن طراز جيم وعن طرازى . وقد حاولت ان توهم المحقق بأنها لم تر جيم سوى مرات قليلة ، وانه ــ مع ذلك ــ هام بها حبا وأخذ يلاحقها !

ويبدو ان جيم لم يذهب الى عمله يوم الاثنين ، بل أخذ فى التنقل من مشرب الى آخر . ولم تنشر الصحف نبأ الحادث الا فى أسطر قليلة .. فان جيم كان نكرة بالنسبة لكل انسان .. ما عداى أنا ! .. وكنت أكره لوسى ، مع اننى لم أكره شخصا قط من قبل . **والغريب فى الأمر ، اننى اتخذت قرارى بقتلها بعد انقضاء ثلاثة أشهر كاملة على انتحار جيم ! لقد قال الاتهام ان هذا أبشع ما فى الأمر .. وربما كان من الأفضل لو اننى قتلتها فور انتحاره مباشرة .. ومن المحتمل كذلك اننى ما كنت لأفكر فى ارتكاب الجريمة لو لم يكن مسدس بيل فى حوزتى !**

ان كل شىء يختلط فى ذهنى الآن ، حتى اننى لا أعرف حقا اذا كنت آسفة على عملى أم لا ! .. ان الكاهن يقول اننى لا يمكن أن أشعر براحة الضمير الا اذا شعرت بالأسف الحقيقى على جريمتى لا على نفسى !

بقى لى يوم واحد وليلة واحدة أفكر فيهما ! .. كنت أظن اننى سأحتمل كل شىء .. ولكن لا ! اننى لست واثقة ! اننى أشعر دائما بفراغ فى معدتى . ليس فى وسعى ان أتذكر اللحظة الحقيقية التى قررت فيها ان أقتلها ، ولكننى أذكر جيدا ان الفكرة لم تخطر ببالى الا عندما وجدت مفتاح شقة لوسى .. ولقد تمنيت ان يكون هو ، عندما عثرت عليه فى جيب معطف قديم لجيم كان قد تركه فى مسكنى

وذهبت ذات ليلة الى مسكنها . وجربت المفتاح ، ففتح الباب .. ولم تكن هناك . وذهبت مرة ثانية ، بعد الظهر .. ذهبت ومعى المسدس . **ولست أذكر ما حدث تماما ، ولكننى وقفت فى حجرة الجلوس ، والمسدس فى يدى ، ويدى خلف ظهرى . وسمعت وقع قدمى شخص فى طريقه الى .. وبعد ذلك ، كانت لوسى على الأرض ، تتخبط فى دمائها ، والمسدس فى يدى . لم أكن رأيت انسانا يموت من قبل ، ولكنى عرفت وقتذاك انها ماتت**



لقد قتلت لوسى بدافع الانتقام، وبكل جلد .. و ها هم سيقتلوننى الآن ! وسواء أكنت أشعر بالأسف على ما ارتكبت أو لم اكن أشعر، فان الأمر لايهم أحدا فى قليل او كثير ! فأنا الآن لست سوى حيوان تشدد عليه الرقابة ليل نهار ، حتى لايهرب .. هذا كل ما هنالك !

★ ★ ★

• **رباه ! لا تتركهم يفعلون بى هذا .. لا تتركهم !..** اننى أتردد كثيرا على دورة المياه ، فمعدتى تزداد ألما فى كل لحظة ، كما أشعر بتخاذل قدمى .. ويدهشنى اننى ما زلت قادرة على السير

ونظرت الى وجهى فى المرآة .. انه لايشبه الوجه الذى عرفته ! لقد بدا عليه الشحوب ، كما اتسعت العينان اكثر من أى وقت مضى . **وأخذت أضيق ذرعا بتصفيف شعرى وبوضع أحمر الشفاه على شفتى .. ان هذا يبدو الآن كما لو كنت أقوم بتزيين جثة هامدة !**

وبعد الظهر ، حدث شىء غريب : كنت أشرب قدحا من الشاى ، فأحسست ــ فجأة ــ كأن السائل لاينفذ من حلقى .. واضطررت ان أقذف به من فمى ، ثم وضعت يدى على عنقى أتحسسه ، فخالجنى شعور مرعب اذ تخيلت شكلى بعد ان يتم اعدامى . وجثت الحارسة بجانبى ، ووضعت يدها الكبيرة على ركبتى قائلة : **((اننى آسفة يا هيلتون .. آسفة جدا !))** . وعندما نظرت اليها ، وجدت الدموع تملأ عينيها

* * *

• **يوم** الأربعاء : اننى أسمع صوت صرخات تتردد فى رأسى . وانى لأتساءل : فى أى مكان من السجن تدفن جثتى بعد اعدامى ؟!

كان الجو دافئا اليوم . لقد تذكرت جيم وكيف كان يحب الخروج الى الريف .. انه لم يكن يعرف لوسى وقتئذ . تعال بنا نرقص ياجيم ! اننى أحب ان أكون بين ذراعيك ! **اننى لم أتمكن من ابعادك عنها ، ولو انها لم تكن على درجة من الجمال توازى جمالى . . بل انها لم تكن جميلة البتة والدم يتدفق من فمها ! .. لاشك ان ضباط السجن سيبتسمون ابتسامة ساحرة عندما يتم قتلى ، كما ابتسمت أنا عندما قتلتها . . ولكن القتل فى هذه المرة عمل مشروع .. انه جزء من واجبهم!**

* * *

• **شربت** الشاى . كانت أمسية جميلة . وعرضت على الحارسة الخروج للتريض فقبلت . وسمح لى بالبقاء فى الخارج أكثر من المعتاد . وعندما عدت ، كنت أشعر بشىء من الراحة والسرور . وكنت قد نسيت اننى طلبت رؤية مس بلاى ، ولذلك فقد كان دخولها مع الحارسة مفاجأة لى . وقالت : « لقد ذكروا لى انك تريدين رؤيتى » . ولاحظت لأول وهلة ان عينيها تتهربان من نظراتى . وكان صوتها منخفضا . وترددت فى الحديث ، وكأننى لا أعرف ماذا سيخرج من فمى . واخيرا قلت : **« لقد فكرت فيما قلت لى ، وأنا أريد ان آسف على ما فعلت ، ولكن الوقت لا يكفى ! »**

ثم اخذت الكلمات تنطلق من فمى انطلاقا : **« ان شدة خوفى تمنعنى من الأسف . أريد ان أحتفظ بشجاعتى ، ولكن هذا ليس فى وسعى ! اننى أعرف ان الساعة تقترب ، وليس فى وسعى**

ان أفكر فى شىء ، اللهم الا فى اننى سأموت صباح غد ! » . ولم أكن انظر اليها وأنا أتكلم ، بل تركز اهتمامى فى سطح المائدة ، وفى يدها التى استقرت عليها ، وقالت : « صدقينى انه عندما تستيقظين صباح غد ، سيكون أقسى ما فى الأمر قد انتهى ، وسيرتفع عبء جريمتك عن كاهلك لينتقل الى هؤلاء الذين يذهبون كالمعتاد الى أعمالهم . ستصبحين حرة ، وسيطيعك جسمك بطريقة آلية . أما عقلك فسوف يكون بعيدا .. بعيدا جدا ، كما لو كنت فى حلم ! » . وأغلقت عينيها بينما كانت تتكلم ، وكأنها كانت تحدث نفسها . ثم قالت :

ـ وعندما تستيقظين من هذا الحلم ، أرجو ان تكونى فى رعاية الله !

* * *

• **تناولت** العشاء . وحضرت محافظة السجن وسألتنى عما اذا كنت فى حاجة الى شىء، ولكن لم يكن فى ذهنى شىء مطلقا. ثم احضروا لى خطابات من أمى ومن آلان، ولكننى لم أقرأها . لن أتناول الدواء المنوم الليلة، لأننى أريد ان أظل متيقظة طوال الليل . . انها ليلتى الأخيرة ! ومع ذلك فاننى أشعر بأنى شبه نائمة .. أشعر كأن درجة حرارتى قد ارتفعت .. كأننى أريد ان أبكى !

وجاء الكاهن . وبدا فى عينيه انه يريد ان يؤدى واجبه الأخير اداء كاملا . . ولكنى أشعر بأن ثمة حاجزا يقوم بيننا ! ربما كان يتقبل ذنوبى ، ولكنه لايتقبل قلة ايمانى ! ومع ذلك فقد بكيت لله فى شدة بؤسى . وسألنى عن رغبتى الأخيرة ، واعدا اياى بأن يحاول ان يؤدى لى ما أريد . وحركت رأسى ، فاستطرد قائلا : **« اننى أريد ان أساعدك . . أريد ان أمنحك القوة الروحية التى تساعدك على ان تذهبى غدا الى المجهول دون خوف ! »**

ولم أجبه ، فأمسك بالكتاب المقدس وقلب صفحـاته ، ثم أخذ فى قراءة بعض كلمات مست شغاف قلبى واحـدثت أثرا بالغا فى نفسى : « **لأنى مقتنع بأنه لا الموت ، ولا الحياة، ولا متع الحاضر أو المستقبل ، يمكن أن تنتزعنى أو تحـولنى عن حب الله !** » . ثم انصرف قائلا : « ليلة هانئـة ياهيلتون ! سـوف أكون معك صباح غد ! »

* * *

• **قالت** لى الحارسة: « لو كنت مكانك لنمت الآن. ستحضر الحارستان الأخريان بعد نصف ساعة» . وكنت أريد ان أسأل عن ماك فارلين ، فهى الشخص الوحيد فى العالم الذى سأشعر بالأسف على فراقه . . اننى أريد ان أودعها وداعا لائقا !

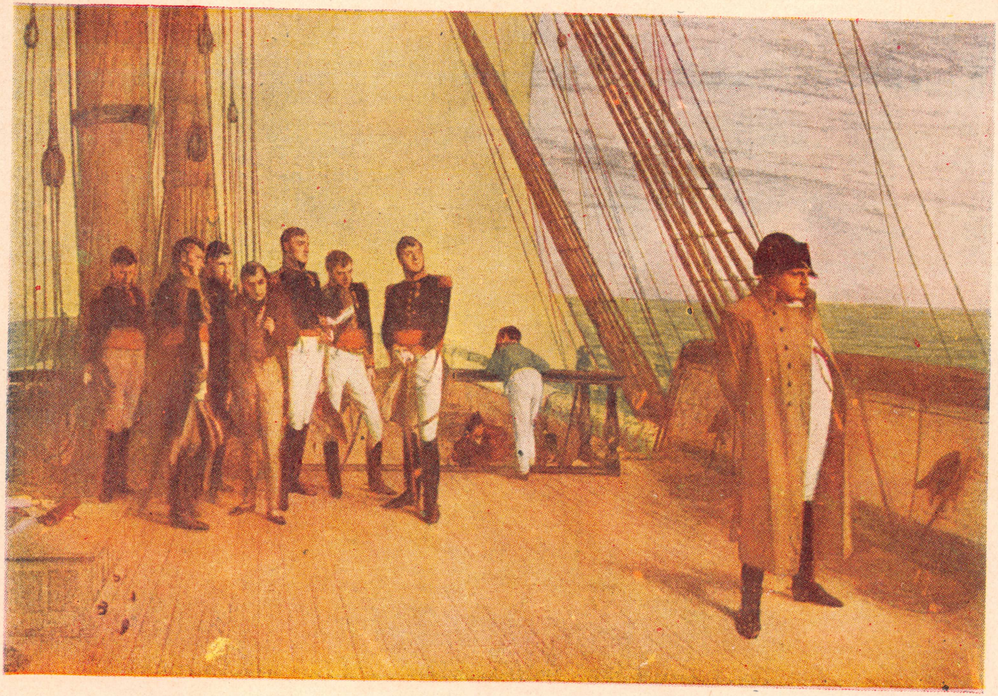
هذه آخـر ليلة أرتدى فيها ملابس النوم . سوف يحضر الكاهن صباح غد ، فى السـاعة التاسعة . نعم ، أظن ان الموعد هو التاسعة . وأخذت أفكر وأنا قابعة فى فراشى ــ بين النوم واليقظة : « جيم . . جيم ! أليس وسعك ان تحضر الليلة ؟ . . ولكن لا . . لم أعد أصلح لك ! لا ، لا تعد ياجيم ! »

وفتحت عينى فوجـدت ماك فارلين جالسـة على طـرف الفراش . ولمست طرف ردائهـا ، وقلت : « أظن ان الأمر لن يحتاج الى وقت طويل » .

ــ لا ، بل دقائق قليلة فقط !

وأخذت تحدثنى فى هدوء . ولم أكن أشعر بوجود حارسة أخرى فى الحجرة . وقلت لها : « الدين . . والايمان . . وما الى ذلك . . اظن أن هذا كله مهم بالنسبة لك ؟ » . فقالت : « ليس فى وسعى أن أعيش بغيره »

ان جيم لم يكن فى وسـعه ان يعيش بدون لوسى ، وأنا لم يكن فى وسـعى ان أعيش بدون جيم . والآن ، سـوف أموت وحيدة ، دون ان يكون الى جانبى اى انسان يشجعنى . وقد حدست الحارسة ماكان يدور فى ذهنى ، اذ قالت لى : « **ان الله**



نابليون فى طريقه الى منفـاه ، بجزيرة ((سانت هيلانة))
على ظهر السفينة الانجليزية ((بلليروفون))
(لوحة بمتحف (تيت) بلندن ، للرسام الانجليزى " سير وليم كويلر اورشاردسون " (١٨٣١ - ١٩١٠)

معنا جميعا ، سواء آمنا به أم لم نؤمن .. بل وحتى اذ لم نكن نشعر بوجوده ! »

* * *

• **أخذت** أتقلب فى فراشى، وأدفن رأسى فى الوسادة. وراح الشعور بالألم يزداد فى داخل نفسى . وكان الغطاء يتحرك من فوقى .. وتنبهت قليلا، فوجدت ماك فارلين واقفة الى جانب فراشى والقبعة فى يدها ، فعرفت ان نوبة حراستها قد انتهت، وانها تستعد للانصراف . وانحنت على ومست يدى بيدها ، ثم قالت لى : « وداعا .. ياماري! » . وكانت هذه هي المرة الأولى التى تنادينى فيها باسمى مجردا !

* * *

• **أمسكت** احدى الحارسات بكتفى ثم قالت : « استيقظى ياهيلتون » . وغادرت فراشى مسرعة . وكان غريبا ان أرتدى ملابسى مرة أخرى .. وكانت نظيفة ومكوية !.. لا ، لا أريد شيئا من الطعام !

* * *

• **هذه** هى النافذة الصغيرة .. انها نهاية الشريط السينمائى !.. ونظرت الى الحذاء .. من الذى صقله وجعله يلمع هكذا ؟.. لا ، لا أريد شيئا من الطعام !.. انهم قادمون من أجلى ، اننى اعرف . سأذهب معهم .. سأسير بمفردى ، بملابسى النظيفة ، وحذائى اللامع

ـ هيلتون .. هيلتون !

ماذا يقولون ؟ انه الكاهن ، يتلو صلاته : **« روحك .. الحياة الأبدية .. آمين ! »**

ـ اشربى هذا !

انني أشرب . هل هو خمر ؟ انه ينـزل حارا الى جوفى . هأنذى أعيد الكأس للحارسة ، ولكنها تتهرب من نظراتى . وفى نفس الوقت أشعر بهم وهم يربطون ذراعى خلف ظهرى . **هل أصيح ؟ لا ، لا ، لا فائدة !**

اننا نسير فى طريقنا .. نحن الثلاثة . اننا نسير كالعميان ! ان شيئا ما قد وضع فوق رأسى وحول عنقى .. اننى وحدى فى الظلام .. انهم يفعلون شيئا ما بقدمى !

((ظلام .. ظلام! يا أجمل الأشجار! جيم، جيم، أين أنت ؟! .. ارحمنى يا الهى !))



تلخيص : الدكتور ناجي يسى

الصاروخ الروسى الجبار يحقق نبوءة ((لو)) !

• قبل أن أقدم لك هذه الحلقة الجديدة من نبوءات « لو » العلمية ، دعنى أسجل لهذا العالم ما أوتى من بعد نظر مبنى على أسس علمية وفنية سليمة .. فقد أشرنا فى بعض الحلقات السابقة الى مخترعات ذكرها « لو » ، ثم قدر لها أن تتحقق فى الفترة التى انقضت بين ظهور كتابه باللغة الانجليزية ، وبين اعداده ليقدم اليك بالعربية

واليوم تقدم الانباء الاخيرة دليلا جديدا على صـــدق حكم « لو » واستنتاجاته . ففى حلقة سابقة ، تنبأ بامكان الوصول الى صاروخ يعبر القارات بسرعة هائلة ، ويحمل المتفجرات الى هدف معين .. وقد ارتج العالم منذ أيام لاعلان نجاح تجربة الصاروخ الروسى الجبار ذى الرؤوس الذرية ، الذى يستطيع حمل قنابل هيدروجينية ، ولاعلان اطلاق أمريكا لصاروخ آخر!

ليت النبوءات المبشرة بالسلم ورفاهية البشر تلقى من النجاح حظا اوفر من حظ نبوءة الصواريخ !

اذاعة الغد .. اذاعة صافية أمينة حرة !

• **أصبح** الاستماع الى « الراديو » أهم وسيلة للتسلية فى الدول المتقـدمة ، حتى ان الاستمتاع به لم يعـد قاصرا على اوقات الفراغ ، وانما امتد الى ساعات العمل ذاتهـا ، فأصبح العمال يصغون ـ اثناء العمل ـ الى البرامج الموسيقية ، كوسيلة للترفيه .. وليس من شك فى ان التحسينات والتطورات الفنية التى يحتمل ان تطرأ على اللاسلكى ، كفيـلة بأن تتيح للاذاعة ان تشغل قدرا متزايدا من أوقات الفراغ لدى انسان الغد !

وأهم تطور يبدو محتمل التحقق فى المستقبل القريب ، هو تحول الارسال اللاسلكى من « تكييف اتساع الموجـة » الى « تكييف الذبذبة » . ولا حاجة بنا الى الدخول فى تفصيلات فنية يتعذر على غير المتخصصين فهمها ، ولـكنا نقنع بمعرفة

الفوارق الرئيسية بين وسيلتى الارسال المذكورتين . والواقع ان « التكييف الذبذبى » ليس بدعة جديدة ، بل انه كان من الأساليب الأولية التى استعملت فى فجر اللاسلكى .. **ويمتاز بأنه اكثر أمانة فى النقل ، واكثر مقدرة على التخلص من الاذاعات الغريبة ، بحيث يلتقط جهاز الاستقبال الاذاعة المرسلة اليه غير مشوبة بأى تدخل من اية اذاعات قريبة منها فى الخصائص**

وأمانة النقل أمر نسبى فى الارسال الاذاعى .. وانما يساعدنا على التغاضى عن أى قصور فى هذا الصدد ، ازدياد التقارب بين الاذاعة التى نسمعها خلال جهاز الاستقبال ، والأصل المرسل على أمواج الاثير . ومهما تبلغ أمانة الأداء التى يستطيع جهاز من أجهزة « الراديو » الشائعة حاليا ان يصل اليها ، فانها أدنى بكثير مما يوفره جهاز يعمل بالتكييف الذبذبى . وهذا وحده مبرر كاف للتنبؤ بقرب التحول الى تكييف الذبذبة ، ولن يؤخر من هذا التحول سوى صعوبة تغيير أجهزة الاستقبال من نظام الى آخر

على ان ثمة ميزة أخرى أكثر أهمية للتكييف الذبذبى من أمانة الأداء .. ذلك ان الارسال بهذه الطريقة لا يحتاج الا الى نطاق ضيق جدا من الموجة الاثيرية ، ومن ثم يتسنى ان تتجاور اذاعتان مختلفتان تجاورا شديد التقارب ، دون أن تتعرض احداهما لتدخل الأخرى . **ومعنى هذا – من الناحية العملية – انه من الممكن مضاعفة عدد محطات الاذاعة عدة مرات فى اية دولة ، فى حين ان النظام المتبع حاليا يوجب ترك مسافة كافية بين موجتى اية محطتين متجاورتين ، تجنبا لاشتباكهما**

أما الاعتبار الثالث الذى يدعو الى تفضيل استخدام التكييف الذبذبى ، فهو انخفاض تكاليف انشاء محطات الارسال فيه ، مما ييسر لكثير من الهيئات – كالمجالس البلدية والجامعات – اقامة محطات خاصة بها ، كما انه ييسر تعدد الاذاعات الاقليمية والمحلية ، وبذلك يستعيد الاثير حريته التى طغى عليها الاحتكار!

« الراديو » .. فى خدمة المرور والأمن !

• **ولسوف** تدخل على المواصلات اللاسلكية ــ عما قريب ــ تطورات هامة تتصل باستخدامها فى القطارات والسيارات ، اذ سيغدو فى الامكان تحسين وسائل الاشارة الحالية ــ التى كثيرا ماتعجز عن اداء واجبها عند اشتداد الضباب ــ باستخدام الذبذبات اللاسلكية العالية ، بحيث يكون ثمة اتصال مباشر بين سائق القطار وبين « اكشاك الاشارة » وسائقى القطارات الأخرى . وهذا من شأنه القضاء على الحوادث وزيادة كفاية السكك الحديدية

ولقد حدت قلة الموجات المستعملة من التوسع فى الاتصال بالسيارات ، بواسطة اللاسلكى ، فى الماضى . **ولكن هذا الاتصال سيغدو ميسورا اذا ما ازداد عدد الموجات الى الدرجة التى ذكرناها ، فيتسنى تزويد السيارات بأجهزة ارسال واستقبال تربط ركابها بالعالم الخارجى ، اثناء السفر . وهو امتياز يتوق اليه رجال الأعمال والصحفيون والأطباء ورجال الشرطة !**

وليس من شك فى ان المستقبل القريب سيشهد توسعا فى ابتكار أجهزة لاسلكية تساهم فى توفير الأمن ، كأجهزة الاتصال بالبوليس اذا سطا اللصوص على دار ، أو شبت فيها النيران

مركبات تسير بغير وقود !

• **ومن** الأحلام التى تراود خيال العلماء ــ منذ فجر اختراع الراديو ــ حلم نقل الطاقة الحرارية أو القوى الكهربائية عبر الاثير من محطات التوليد المركزية ، دون حاجة الى أسلاك أو أنابيب . وكان السر فى عدم تحقق هذا الحلم راجعا الى ان جزءا كبيرا من القوى المنقولة يتبدد فى الطريق الى محطة الاستقبال . ومما يجدر بنا ان نشير اليه ــ هنا ــ ان الطاقة المستخدمة فى جهاز الاستقبال اللاسلكى لاحداث الصوت

المنبعث من مكبر الصوت ، ليست مستمدة من محطة الارسال ، وانما هى مستمدة من التيار الكهربائى المحلى . وكل ما تقوم به الطاقة الاذاعية ، هو احداث تغييرات خاصة فى التيار المحلى

ولسنا نعتقد ان حلم العلماء - بنقل الكهرباء والحرارة لاسلكيا - سيكون ذا قيمة عملية . **على ان تسيير السيارات بواسطة التأثير الكهربائى يبدو ممكنا اذا انخفض سعر التيار الكهربائى انخفاضا كبيرا .. فاذ ذاك يتسنى تمرير التيار فى موصل مدفون تحت الطرق الرئيسية ، بحيث تستطيع اية مركبة - تسير على هذه الطرق - التقاطه ! .. ولن تتألف آلات السيارة - فى هذه الحال - الا من محرك كهربائى بسيط، يدور بغير ضجيج أو اهتزاز أو حاجة الى وقود ..** وستحل مشكلة تقدير الطاقة المستهلكة ، بتركيب « عدادات » خاصة فى المركبات لقياس التيار الملتقط . وقد تم بالفعل تطبيق هذه الفكرة فى تسيير مركبات «التروللى» فى بعض المصانع الروسية . ومن غير المستبعد ان يلى ذلك تطبيقها فى توزيع الاضاءة والحرارة محليا

.. وقطارات بغير سائقين !

• **كذلك** سيغدو من الممكن توجيه وسائل النقل بواسطة « الراديو » . وفى هذه الحالة ، سيكتفى بتوليد الطاقة اللازمة لادارة المحرك وازرار ضبط الحركة محليا ، على ان تتولى الطاقة اللاسلكية تقرير الازرار التى تستخدم فى اى وقت . وقد تسنى تطبيق ذلك فى بعض الأغراض المحلية

ومن الاستعمالات المدنية المنتظرة فى هذا الصدد ، تسيير قطارات بدون سائقين ، وقيادة قوافل بحرية بتوجيهات من سفينة القيادة ،دون حاجة الى ملاحين . والعيب الوحيد فى التوجيه اللاسلكى ، هو صعوبة تتبع المركبة الى مسافات بعيدة ، مما يوجب استخدام أجهزة ارسال آلية - داخل

المركبة — ترسل بيانات وافية عن مكانها وظروفها

ومن المرتقب ان يطرد اعتماد ارشاد السفن — في الممرات الضيقة — على التحكم اللاسلكى . ولن يمر وقت طويل ، حتى تجهز السفن بأجهزة « رادار » تحول دون تصادمها عند ما تتعذر الرؤية بسبب الضباب . كما ان من المحتمل تسيير طائرات نقل البريد والبضائع بالتحكم اللاسلكى ، فتسير الطائرات على شعاع لاسلكى الى ان تصل الى منطقة نفوذ «برج المراقبة » فى المطار ، فيتولى البرج توجيهها لاسلكيا الى الهبوط بأمان

الصحف تطبع فى جهاز الراديو !

• **ومن** أعظم النواحى التى ينتظر ان يتم فيها تقدم كبير ، ناحية ارسال الصور والمستندات المكتوبة باللاسلكى . ولقد انقضى على اختراع نقل الصور باللاسلكى عشرون عاما ، وتعدى استخدامه الصور الصحفية الى ارسال المستندات وبصمات الأصابع . ولقد جرت أبحاث — فى السنوات العشر الأخيرة — تهدف الى ادخال تحسينات على نقل الصور وارسال نسخ طبق الأصل للمستندات والوثائق ، مما يجعل فى امكان أية مؤسسة صغيرة اصدار صحيفة يومية ، دون حاجة الى طبعها بمطابع مركزية وتوزيعها بالقطارات أو السيارات أو غيرها من وسائل النقل . على ان النفقات العالية لطبع الصور المنقولة على ورق حساس حدت من تطبيق نتائج هذه الأبحاث ، وان كان من المحتمل ان لاتنقضى بضع عشرات من السنين حتى تكون الصعوبات القائمة فى سبيل تعميم نشر الصحف بالراديو قد ذللت . **واذ ذاك يغدو من الأمور العادية ان تجد — عند تناول الفطور — صحيفة حديثة الطبع فى جهاز « الراديو » ، توافيك بأنباء آخر لحظة**

ولا شك فى ان هذا سيثير مشكلات اقتصادية ، أهمها



تحديد الجهة التى تتولى الانفاق على اصدار مثل هذه الصحيفة. وقد يقوم المعلنون بهذه المهمة لضمان وصول الصحف الى أكبر عدد من القراء بالمجان . على ان فى وسع مهندس اللاسلكى ان يساهم فى تذليلها ، كأن يبتكر آلة تؤجرها دار نشر الصحيفة للمشترك ، ليتمكن بواسطتها من « التقاط » الصحيفة ، بينما يعجز عن ذلك غيره ممن لم يستأجروا الآلة !

ولنقل الصور باللاسلكى فوائد أخرى ، أهمها تمكين دوائر الأعمال من تبادل الوثائق بين أطراف الأرض فى لمح البصر !

نقل كتاب باللاسلكى فى ٩٠ ثانية !

• **ومن** المخترعات التى تبشر بانقلاب فى وسائل النقل فى السنوات القلائل المقبلة ، المجموعة المسماة « ترافاكس » ، التى يستخدمها الآن « اتحاد راديو امريكا » فى نطاق ضيق ، وفى هذه المجموعة توضع الصورة ، أو الصحيفة المخطوطة أو المطبوعة ، أمام آلة تصوير تليفزيونى تلتقط لها صورة تذاع على شكل اشارات بنفس الطريقة التى تنقل بها الصور التليفزيونية العادية ، وانما تختلف عن هذه فى ناحية الاستقبال ، فبدلا من عرضها على شاشة المشاهدة ، تسلط عليها آلة تصوير سريعة تقوم بتسجيلها وطبعها وتجفيفها فى ثوان معدودات ، بحيث لا تتعدى العملية من أولها الى آخرها دقيقة واحدة ، تحصل فى نهايتها على صورة مطابقة للأصل تماما ، رغم بعد المسافة . **ويمتاز هذا الجهاز عن كافة وسائل المواصلات**

بالسرعة الفائقة ، اذ ان جهاز الارسال الواحد يستطيع ان ينقل عددا يصل الى ألف صحيفة أو صورة فى دقيقة واحدة ، وان كان العمل فى ناحية الاستقبال يستغرق وقتا أطول من ذلك، اللهم الا اذا استخدم عدد كبير من آلات التصوير ليتم التسجيل بنفس السرعة ، حتى ليمكن نقل كتاب من ١٠٣٧ صحيفة ـ بها مليون كلمة ـ فى فترة لا تزيد على تسعين ثانية !

على ان « الترافاكس » يخضع لنفس الحدود التى يخضع لها التليفزيون ـ فى الوقت الحاضر ـ اذ لايتعدى مداه مايسمى « الأفق البصرى » الذى يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ ميل . ولكن من الممكن استخدام محطات متتابعة ـ كتلك التى تستخدم فى التليفزيون ـ لاطالة مدى الارسال . ويبدو واضحا ان ارسال صور طبق الاصل من الرسائل بواسطة « الترافاكس » سيحل محل التلغرافات العادية

التليفزيون الملون .. فى الطريق !

• **ومن** الوسائل التى يعالج بها النقص فى الارسال التليفزيونى ـ فيما يتعلق بقصر المدى ـ انشاء محطات معلقة فى الفضاء ، على ما أوضحنا فى الحلقة السابقة ، فان الارتفاع الشاهق لهذه المحطات يجعل مدى البصر واسع النطاق . وهناك طريقة اخرى مستعملة حاليا لزيادة مدى انتشار الاذاعة التليفزيونية ، وذلك باستخدام نوع خاص من « الكابلات » المتعددة الأسلاك ، التى تتحمل الاشارات العالية الذبذبة ، التى لا بد للتليفزيون منها . وتستخدم هذه الطريقة ـ رغم فداحة نفقاتها ـ فى ربط المدن الأمريكية ، بحيث لن تمضى عشر سنوات حتى تعم الاذاعة التليفزيونية جميع أرجاء امريكا الشمالية

أما نقل الاذاعات التليفزيونية عبر المحيطات، فيثير مشكلات عسيرة الحل بالنسبة لما وصل اليه العلم حتى الآن ، ولكن من المتوقع ان يتم ذلك فى خلال سنوات ، عن طريق مد **«كابلات»**

فى أغوار المحيط ، أو بواسطة التحسينات المتوقعة فى الاذاعات الموجهة

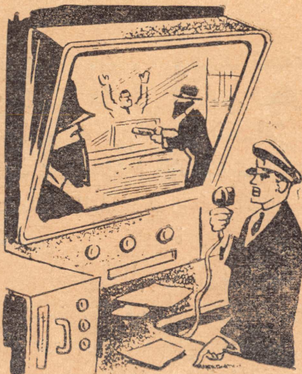
والخطوة التاليـة هى التليفزيون الملون ٠٠ وقـد تحققت بالفعل فى النطاق التجريبى ، ولكن انتشارها على أساس تجارى سيتأخر بعض الوقت بسبب ما يقتضيه من تغيير شـامل فى أجهزة التصوير والارسال من جهة ، وأجهزة الاستقبـال من جهة أخرى ! ٠٠ ولن يقتصر استخدام التليفزيون على الترفيه، بل انه سيمتـد الى مجـالات اخرى .. وبادرة ذلك اذاعـة العمليات الجراحية على عدد كبير من الطلبة البعيدين عن مسرح هذه العمليات . ومن المتوقع ان يتسنى التوسع فى استخدام التليفزيون فى النواحى الدراسية ، حتى يحل محل «السبورة» فى المدرسة ! .. واذ ذاك ، سيتسنى استغلال نبوغ المدرسين الموهوبين على أوسع نطاق ، وخلال أجيال دراسية بأكملها !

معجزات التليفزيون لن تقضى على السينما والمسرح !

• **وهناك** مجـال آخر ــ على قـدر كبير من الأهميـة ــ لاستخدام التليفزيون ، هو مجال الكشف عن الجريمة .. فان نشر الأوصاف والصور الفوتوغرافية والبصمات سيتم بطريقة أبسط ، وبسرعة أوفر ممـا هو الآن . ومن يدرى .. لعـل المستقبل يشهد طريقـة لعرض المتهم على مئات من النـاس يقيمون على مسافات شاسعة من مسرح العرض !

كذلك سيتمـكن البوليس ــ بواسـطة أجهزة حراسـة تليفزيونية ــ من مراقبة المصارف وغيرها من الدوائر الهامة، دون فتح أبوابها . وقد تستعمل الأشعة تحت الحمراء ــ بدلا من الضوء الأبيض العـادى ــ لوضع اللصوص تحت الملاحظة التليفزيونية من مراكز البوليس ــ أثناء سـطوهم ــ دون ان يفطنوا الى ذلك

ومن الاحتمالات المثيرة للعجب ، انه قد يتسنى لأقطـاب



السياسة – فى القريب – أن يعقدوا مؤتمرات « المائدة المستديرة » تليفزيونيا ، دون أن يغادروا مقار حكوماتهم ، ودون أن يضيعوا الوقت الثمين فى قطع آلاف الأميال بالطائرات لشهود جلسات لا تستغرق بضع ساعات !

ولعل من الخير ان نترك للمستقبل ما سيحل بوسائل الترفيه والتسلية الأخرى من جراء منافسة التليفزيون لها ، فليس هنالك شك فى أن المسرح والسينما وحلبات الرياضة ستتاثر كلها .. ولكن هل سيؤدى هذا الى القضاء على هذه المؤسسات؟.. **لانحسب ذلك ، ويكفى أن نتذكر أن الكثيرين تنبأوا بانتهاء المسرح والملاهى الأخرى ، عندما انتشرت السينما والاذاعة ، فأذا بهاتين الوسيلتين من وسائل اللهو لا تنالان بازدهارهما من المسرح فى كثير من الدول .**

وليس من شك فى أن التليفزيون سيتيح فرصة للسماع المقترن بالرؤية . وقد يتسنى فى المستقبل أن نضيف الى ذلك الشم واللمس ! ومع ذلك فلن يقدر للتليفزيون أن يقضى على المسرح ، لأن الحقيقة تفوق دائما أى « مستخرج » ، ولأن الأصل يفوق الصورة !



السلوك الجنسي

(لدى المرأة)

الكتاب الذي هز الولايات المتحدة من أقصاها إلى أقصاها

للباحث الأمريكي الكبير "الفريد كينزي" وآخرين

مجتمع .. فى طريقه الى الانحلال !

◆ عندما صدر هذا البحث العلمى الذى لا مثيل له فى تاريخ البشرية ـ عن « السلوك الجنسى لدى الانسان » ـ قامت فى أمريكا ضجة هائلة ، وانطلقت الاصوات تتهم الدكتور « الفريد كينزى » وزملاءه ، بانهم يكشفون فضائح تزرى بالمجتمع الامريكى ، وتحط من قدر الحضارة الامريكية .. وكان أهم قسم قصد بهذه الحملة ، هو القسم الذى نقدم لك اليوم حلقة جديدة منه ، والذى تناول فيه العلماء الغزل والمعابثة والجماع قبل الزواج عند الاناث ، فقد كشفت البيانات والاحصاءات عن حقائق يندى لها جبين الشرف والكرامة بمعناهما المعروف فى حضارتنا العربية ، وأثبتت أن المجتمع الامريكى يسير بسرعة الى انحلال خلقى تهدر فيه كل القيم الأخلاقية التى عرفتها الانسانية بشأن العرض والشرف !

عبث الطفولة وآثاره بعد الزواج

◆ **ولقد** أثبت ٦٤ فى المائة من المتزوجات اللائى أجرينا دراساتنا عليهن ، أنهن عرفن « ذروة اللذة » بمعناها الجنسى قبل زواجهن . وكانت تجربة بعضهن محدودة ، فى حين أن فريقا آخر منهن خبرن ذلك فى مرات كثيرة ومنتظمة .. على أن الجماع لم يكن مصدرا لأكثر من ١٧ فى المائة من مرات بلوغ ذروة اللذة لديهن قبل الزواج . أما المرات الأخرى ، فتمثلت مصادرها فى ألوان النشاط الجنسى الأخرى . **ومع ان كثيرا من الناس يأخذون «الجماع» و« الاتصال الجنسى » على انهما لفظان مترادفان لمعنى واحد ، الا أن الجماع الحقيقى ليس سوى قسط ـ وان يكن قسطا ذا قيمة وأهمية ـ فى النشاط الجنسى قبل الزواج . ذلك لأن القيمة الاجتماعية للجماع تفوق فى الأهمية وظيفته العملية كمصدر للتفريج لدى الأنثى.** اذ ان معناه ـ فى ثقافتنا ـ محوط بالاستنكار الخلقى والقانونى الذى ينظر به المجتمع الى مثل هذا اللون من ألوان النشاط

قبل الزواج .. وقد كان هذا سببا فى وضع العراقيل فى طريق دراساتنا ، عندما اتجهنا الى تقدير دقيق للعلاقة بين الجماع – قبل الزواج – وبين الحاجات الجنسية للفرد ، والمصالح الجوهرية للمجتمع

ويبدأ العبث الجنسى – فى معظم الثقافات البشرية – بمجرد أن يشعر الفرد بالتهيؤ العضلى الكافى ، وأن يجد شريكا من أى نوع .. ومن الأطفال – الذين لا يتجاوزون العام الثانى أو الثالث من العمر – من يمارسون ألوانا من هذا العبث الذى قد يصبح فى سن الخامسة أو السادسة نشاطا منتظما ، ينطوى على تقليد – على الأقل – للجماع ! .. وقد لا يعدو معظم هذا العبث الملامسة ، ولكنه قد يؤدى فى حالات معينة الى النفاذ الى مهبل الانثى . وقد يقابل مثل هذا العبث أحيانا بتشجيع من البالغين فى المجتمع ، كما ان الفرد قد يكتسب من هذا العبث المبكر أساليب الجماع التى تلازمه بعد بلوغه !

بين تعاليم المجتمع والسلوك الواقعى اختلاف كبير !

• **وقد** يستمر عبث الطفولة – فى بعض الثقافات – الى مابعد البلوغ ، فى حين أن ثمة قيودا فى ثقافات أخرى ، تحول دون استمراره بمجرد الاقتراب من سن البلوغ . وفى كثير من الجماعات البدائية ، وبعض الجماعات الاسيوية والاوربية – ومنها جماعات من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط – وبعض الجماعات فى امريكا اللاتينية .. **فى هذه الجماعات قد يباح العرى التام ، وبعض ألوان العبث الجنسى الصريح ، للبنات – حتى سن الخامسة أو السادسة – كما ان الغلمان قد يباح لهم الخروج عراة من دورهم ، قبل بلوغهم . على ان الاتصال بين البنات والغلمان قد يقيد – فى هذه الثقافات – عند اقتراب الفريقين من البلوغ**

ولعل الاستنكار العام للجماع قبل الزواج يوحى بأن مثل

هذا الاتصال نادر بين الذكور والاناث فى امريكا ، ولكن هـذا لاينطبق الا على الظاهر فقط . فما اكثر ما تختلف الاتجاهات التى يجهر بها المجتمع ، عن حقائق السلوك الواقعى !

٥٠ ٪ عرفن الجماع قبل الزواج !

• **وجدير** بنا فى هذا الجزء من بحثنا ان نفرق بين الجماع والمخـالطة . . فالنشـاط الأول يتضمن اندماج العضـوين التناسليين لفردين مختلفى الجنس ـ أى لذكر وأنثى ـ فى حين ان الثانى يتضمن اتحاد العضو التناسلى لفـرد ، مع عضو ـ قد يكون غير تناسلى ـ لفرد آخر لايشترط ان يكون من الجنس الآخر !

على اننا ـ فى هذه المرحلة من دراساتنا ـ نقتصر على النوع الأول ، وعلى الاناث اللائى تجاوزن سن البلوغ ، ولـكنهن لم يتزوجن بعد .. أى ان هذه الدراسات لاتشمل الاناث اللائى يعشن فى عزوبة لأنهن مطلقات أو أرامل ، وانمـا الأبكار اللائى تجاوزن بداية مرحلة البلوغ

وتدل البيـانات التى أمامنا على ان ٥٠ فى المـائة تقريبا من الاناث اللائى أجرينا عليهن دراساتنا ، قد عرفن الجمـاع قبل ان يتزوجن ! وقـد كانت التجربة ـ لدى شطر كبير منهن ـ فى العام أو العامين السابقين للزواج ، كما انها كانت ـ لدى قسم منهن ـ قاصرة على الخطيب ، وقبل الزواج مباشرة .. كذلك نجد ان التجربة ترتبط بسن الزواج ، فهى تبدأ لدى من تزوجن فى سن يافعـة ، اكثـر تبكيرا منهـا لدى من تزوجن فى سن متأخرة .. ومن هنـا ينبعث التسـاؤل : هل تعرض الانثى لتجربة الجماع فى سن مبكرة ، يؤدى الى الزواج المبكر ؟ أو ان احتمال الزواج المبكر يؤدى الى تقبل فكرة الجماع قبل الزواج مباشرة ، وهو ما يحدث فى بعض حالات بالفعل ؟

وقد وجـدنا أن نسبة من عرفن الجماع قبل الزواج تقرب من ٥٠ فى المائة بين اللائى تزوجن فى سن تتراوح بين العشرين

والخامسة والعشرين ، كما انها تتراوح بين ٤٠ و ٦٦ فى المائة لدى من تزوجن بين السادسة والعشرين والثلاثين من أعمارهن .. ولقد كان الجماع قبل الزواج نادرا بين اللائى لم يتجاوزن العشرين ، اللهم الا فى بعض حالات اولئك اللائى قدر لهن أن يتزوجن قبل هذه السن . وقد يرجع هذا الى ان عدد البنات ذوات الاستجابة الجنسية يكون قليلا قبل سن العشرين . على انه يرجع كذلك الى ان القانون يفرض عقوبات شديدة على الذكور الذين يتصلون بالقاصرات اتصالا جنسيا !

اليأس من الزواج يجعل الفتيات اكثر استجابة !

• **ويقل** عدد مرات الاقبال على الجماع قبل الزواج عنه بعد الزواج بكثير ، وذلك لأن غير المتزوجة قد تجد صعابا فى الاتصال بشريك ، أو فى التوصل الى مكان ملائم لهذا الاتصال . **على ان السبب الرئيسى يتمثل فى القيود التى يفرضها المجتمع على هذا النوع من النشاط الجنسى .. وقد كان المعدل ــ لدى عيناتنا ــ فى المتوسط ، مرة كل فترة تتراوح بين خمسة أسابيع وعشرة، اذا كانت الفتاة دون العشرين، ومرة كل ثلاثة أسابيع اذا كانت تتجاوز العشرين .**

فاذا نظرنا الى هذا اللون من النشاط بالنسبة للألوان الأخرى ، وجدنا انه يؤلف ١٥ فى المائة من التفريج الاجمالى لدى غير المتزوجات ممن تتراوح أعمارهن بين السادسة عشرة والعشرين ، و٢٦ فى المائة لدى غير المتزوجات ممن فى اوائل العقد الثالث من العمر ، أى اللائى بلغن العشرين او تجاوزنها بقليل . وتظل النسبة فى ازدياد ، حتى تبلغ ٤٣ فى المائة لدى اللائى لم يتزوجن حتى جاوزن الأربعين ، ثم تقل لدى من بقين دون زواج حتى تجاوزن الخامسة والأربعين

هل تعجل ممارسة الجماع بالزواج ؟!

• **وهناك** ارتباط لا شك فيه بين السن التى تتزوج فيها

الأنثى، وطول الفترة التى تمارس فيها هذا اللون من النشاط. فبين اللائى تزوجن حوالى سن العشرين ، نجد ان ٦٠ فى المائة مارسنه لعام واحد أو أقل ، أما بين اللائى لم يتزوجن الا بعد ان جاوزن الثلاثين ، فنجد ان اللائى اقتصرن على ممارسته لعام واحد ٢٧ فى المائة فقط

وهذا يعنى ان ممارسة الجماع قبل الزواج – فى سن مبكرة – قد تكون من عوامل التعجيل بالزواج .. ولكن – من ناحية اخرى – وجود اناث لم يتزوجن الا فى أواخر العقد الثالث أو الرابع ، رغم ممارستهن هذا اللون من النشاط لعدة سنوات، يمكن ان يكون دليلا على ان الممارسة ليست عاملا كافيا على التعجيل بالزواج

وتدل البيانات على ان ممارسة هذا النشاط الجنسى مع الشخص الذى قدر له ان يكون زوجا للأنثى ، لم يمتد طوال المدة ، وانما اقتصر لدى ٧٥ فى المائة من عيناتنا على العام أو بضعة الأشهر السابقة للزواج .. وكان فيما عدا هذه الفترة مع ذكور آخرين

كذلك يوجد ارتباط بين نسبة الاناث اللائى مارسن الجماع قبل الزواج ، وبين مستويات التعلم وسن الممارسة .. فبين فتيات المدارس الاعدادية – بين عيناتنا – لم تتجاوز نسبة الممارسات ٣٠ فى المائة فقط ، ولكنها كانت بين فتيات المدارس الثانوية ٤٧ فى المائة ، وبين فتيات المدارس العليا اكثر من ٦٠ فى المائة .. ولكنا وجدنا – من ناحية أخرى – ان سن البدء فى ممارسة هذا النشاط تتأخر كلما ارتقى مستوى تعليم الفتاة.

والواقع ان القيود الاجتماعية ورقابة الأهل على الفتيات فى مستويات التعليم الراقية قد تؤخر سن البدء فى ممارستهن هذا النشاط ، ولكنها لاتكون ذات أثر كبير على اقبالهن اذا ما بدأن !

وهناك ايضا ارتباط بين نسبة من مارسن الجماع قبل

الزواج ، وبين الطبقة المهنية التى ينتمى اليها الآباء. فالفتيات اللائى نشأن فى بيوت آباء من العمال ، بدأن الممارسة قبل ان يبلغن سن العشرين ، فى حين ان عدد من فعلن من بنات الطبقات الأخرى ، فى هذه المرحلة من العمر ، كان قليلا . ويرجع ذلك الى ان بنات الأوساط الاجتماعية المنخفضة يتزوجن مبكرات عن بنات الأوساط الأخرى . وقد ذكرنا ان الاقبال على هذا اللون من النشاط يبدأ ــ فى الغالب ــ فى العام أو العامين السابقين على الزواج مباشرة

ازدياد نسبة الجماع بين الأجيال الحديثة

• **وكذلك** للجيل الذى ولدت فيه الانثى أثر كبير فى هذا الشأن . فبين اللائى ظللن بلا زواج حتى سن الخامسة والعشرين ، نجد ان نسبة اللائى مارسن هذا النشاط من بنات الجيل السابق ــ اى اللائى ولدن قبل سنة ١٩٠٠ ــ لم تتجاوز ١٤ فى المائة ، فى حين انها بين اللائى ولدن فى السنوات العشرين اللاحقة لسنة ١٩٠٠ بلغت ٣٦ فى المائة

ويدل البحث على ان هذا التطور انما يرجع الى ازدياد التحرر فى تقبل المسائل الجنسية ، فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى . فان ازدياد اهتمام الرأى العام بآراء « هافيلوك ايليس » و « سيجموند فرويد » ، ساعد على تحطيم كثير من الحوائل التقليدية التى كانت تصد عن معالجة شئون السلوك الجنسى البشرى بتحرر . ولقد ارتبط الأمر كذلك بازدياد تحرر المرأة ــ لا سيما غير المتزوجة ــ فى المجتمع الأمريكى .. فضلا عن ان الحرب ادت الى اتصال الذكور الأمريكيين بمجتمعات اجنبية ذات تقاليد جنسية تخالف تقاليدهم ، فلما عادوا من الحرب ، عمدوا الى تغيير العرف فى بلادهم بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ أمريكا !

ومن العوامل التى ساعدت على ذلك ، ازدياد المعرفة بوسائل

منع الحمل، وازدياد ازدحام المدن ، حيث لا يكون المرء معروفا الا فى وسط محدود محصور . فضلا عن ازدياد الشعور المضاد للبغاء المنظم !

اكتشاف البنسلين لم يؤد الى زيادة نسبة الجماع

• **ولقد** قيل ان الأزمة الاقتصادية – فى سنة ١٩٣٠ وما بعدها – وان اكتشاف البنسلين فى اواسط العقد الرابع من القرن الحالى – كوسيلة للحد من الأمراض السرية – كانا من العوامل التى ساعدت على ازدياد الجماع قبل الزواج . **ولكنهما فى الواقع لايعدوان ان يكونا عاملين ثانويين، لأن القسط الأوفر من الزيادة ، انما حدث – كما تدل احصاءاتنا – بين سنتى ١٩١٦ و ١٩٣٠**

ومن المعلومات العامة ان اتجاهات الشباب الأمريكى نحو شئون الجنس وسلوكهم الجنسى ، قد تعرضت لتطور كبير فى العقد الثانى من القرن الحالى . واذا كنا نشاهد اليوم ان الآباء والأجداد لايبدون من القلق ازاء السلوك الجنسى لشباب الجيل الحاضر ما كان يبديه قرناؤهم منذ ثلاثين عاما ، فخليق بنا ان نتذكر أن هؤلاء الآباء والأجداد هم الشباب الذى أحدث الانقلاب فى العقد الثانى من القرن الحالى

وتدل البيانات على ان معدل ممارسة الجماع قبل الزواج، بين الاناث الأقل ارتباطا بالأوساط والهيئات الدينية ، يزداد بدرجة ملموسة عنه بين المواظبات على الفروض الدينية

لماذا يحبذون الجماع قبل الزواج .. ولماذا يعارضونه ؟!

• **ولقد** قامت أسباب الجدل بشأن قبول أو عدم قبول الجماع قبل الزواج – كلون من ألوان النشاط الجنسى – على الآثار العاطفية الناشئة عن العرف .. وسنوجز فيمايلى حجج كل من الفريقين :

الآراء المعارضة : تجمع معظم كتب الزواج والتربية الجنسية والفلسفة الخلقية على ابراز مضار وكراهية الجماع قبل الزواج . وأهم الأسباب التى توردها هى :

١ ـ خطر الحمل ـ ٢ ـ خطر الاجهاض اذا استعين به للتخلص من الحمل ـ ٣ ـ التعرض للأمراض السرية ـ ٤ ـ كراهية الزواج الذى قد يترتب قسرا على حمل نشأ دون زواج ـ ٥ ـ الأضرار التى تصيب الجهاز التناسلى من جراء الظروف غير المواتية التى تحف بالجماع قبل الزواج ـ ٦ ـ الضرر الناشيء عن الشعور بالاثم من جراء انتهاك قوانين الأخلاق ـ ٧ ـ خطر خرق غشاء البكارة وآثاره على الزواج ـ ٨ ـ الخوف من ان يفقد الذكر احترامه لأنثى جامعها قبل الزواج ، فلا يرتضى الزواج منها ـ ٩ ـ الضرر الذى قد ينشأ عن استيقاظ الشعور بالاثم بعد الزواج ـ ١٠ ـ الضرر الذى ينشأ عن الشعور بالذنب وخوف الاستهجان من الرأى العام ـ ١١ ـ خطر وخوف التعرض للمتاعب الاجتماعية التى قد تعقب اكتشاف مثل هذا الاتصال ـ ١٢ ـ خطر وخوف التعرض للمتاعب القانونية ـ ١٣ ـ احتمال ان يؤدى الاستكفاء بالجماع قبل الزواج الى تأخير الزواج او الانصراف عنه ـ ١٤ ـ احتمال ان يوحى الجماع قبل الزواج بالشعور بالاضطرار الى الزواج من الشريك فى العملية ـ ١٥ ـ احتمال ان يؤدى الشعور بالاثم الى افساد صداقة مرغوبة بين الشريكين ـ ١٦ ـ الآثار المضاعفة التى قد يلحقها الجماع قبل الزواج بالصداقة والزواج ، من الناحية البدنية ـ ١٧ ـ احتمال ان يؤدى الجماع قبل الزواج الى الخيانة الزوجية بعد ارتباط الشريكين بالزواج ـ ١٨ ـ احتمال ان تصبح الانثى أقل مقدرة على التجاوب مع زوجها بعد الزواج ـ ١٩ ـ مجرد الواقع الذى يقرر ان الجماع قبل الزواج خطيئة خلقية ـ ٢٠ ـ المبدأ القائل بأن كبح النفس عن مثل هذا النشاط ينمى قوة الارادة عند المرء

الآراء المحبذة : لم تلق هـذه الآراء اجماعا كالذى لقيتـه سابقتها . ولعل ذلك راجع الى استهجان ثقـافة المجتمع .. على ان الآراء التالية هى أهم ما يقال فى هذا الصدد :

١ ـ قـد يرضى الجماع قبل الزواج حاجة طبيعيـة الى التفريج الجنسى ـ ٢ ـ قد يصبح مصدرا لارضاء نفسى وبدنى سريع ـ ٣ ـ اذا لم يصحبه الشعور بالاثم، فان هذا النشاط قد يضاعف مقـدرة المرء على العمل فى ميادين أخـرى ، غير جنسية ـ ٤ ـ انه اكثـر فائدة من أنواع النشـاط الجنسى الفردية ، كالاستمناء ، فى تنمية القدرة على التكيف او التوافق العاطفى مع الآخرين ، لا سيما بعـد الزواج ـ ٥ ـ قد يهيىء تدريبا على الأساليب البدنية التى يستلزمهـا الجماع الزوجى ـ ٦ ـ قد يصلح اختبارا لمقدرتى الشريكين على التكيف الموفق بعد الزواج ، والاخفاق فى هذا قبل الزواج أفضل منه بعـده ـ ٧ ـ انه قد يقى كلا من الشريكين شر الانزلاق الى العلاقات الجنسية مع أفراد من جنسه ، كاللواط والسحاق ـ ٨ ـ قد يؤدى الى الزواج !

الجماع .. بين اللذة والندم

• **والذى** يمكن الجزم به ، هو ان كل فريق ـ من المؤيدين والمعارضين ـ يبنى آراءه ورفضه الآراء الأخرى ، على اقتناع سابق وأفكار سابقة يتعصب لها .. ولكن المهم فى الأمر ، هو ان كثيرا من هذه الآراء يقع فى نطاق العلوم التى تحتاج الى اكثر من الأسلوب الذى يعتمد فى الشرح على اللفظ ، والى اكثر من رأى علمى سريع .. ولعـل ما أوردناه هنا يسـاعد على فهم ايجابى لبعضها

وليس من شك فى ان الجماع ـ سواء قبل الزواج أو بعده ـ انما أريد به أصلا ارضاء حاجة بدنية، وان يستخدم فى الوقت ذاته كمصدر لمتعة كل من الفردين المشتركين فيه . اى ان

الشريكين لايلجآن الى ممارسته لمجرد انتاج النسل . **ولقد حاول بعض الكتاب ان يقللوا من قيمة الارضاء البدنى كحافز لدى الانثى على الجماع قبل الزواج ، مرجعين الحافز فيه الى الشعور بالنقص فى ناحية من النواحى ، أو الرغبة فى الحب والشهرة ، او التأثر بما قد يسود حياة الفتاة ـ فى المنزل ـ من قيود مغالى فيها ، أو الرغبة فى الفرار من ظروف عائلية يسودها الشقاق أو الشقاء !**

ويرى الكثيرون ان الآثار النفسية للجماع السابق للزواج تزيد فى الأهمية والقيمة على الآثار الطبيعية أو البدنية.. ومن اللائى جربن هذا اللون من ألوان النشاط الجنسى ـ من عيناتنا ـ نجد ان ٣٠ فى المائة قد أفضين بأنهن خرجن من التجربة الأولى وهن غير معتزمات ان يكررنها !

واذا رجعنا الى تحليل عيناتنا للعوامل التى حدت من ممارستهن الجماع قبل الزواج ، نجد ان ٨٩ فى المائة منهن ذكرن ان الاعتبارات الخلقية كانت عاملا اساسيا هاما . وقد نسبت بعضهن هذه الاعتبارات الى أصلها الحقيقى ـ وهو القوانين الخلقية ـ ولكن بعضهن أصررن على ان الذى حملهن على الحد من الاقبال على هذا النشاط هو تفكيرهن، وعقولهن، وتقديرهن للطيب والخبيث، واللائق وغير اللائق ، وما الى ذلك .. **وهذا الاتجاه يمثل محاولة طريفة من الجيل الحديث من الشابات لاعلان تحررهن من الأفكار التى أرساها الدين فى النفوس ، فى الوقت الذى يتبعن فيه التعاليم التقليدية للدين دون قصد أو انتباه**

ومن البيانات التى لدينا ، نرى ان أهم ثلاثة عوامل رئيسية فى الحد من اقبال الاناث على هذا النشاط، هى عدم التجاوب الجنسى لدى كثير من الفتيات ، والتقاليد الخلقية فى الثقافة الأمريكية ، ونقص التجربة وتخوف الفتاة من الاشتراك فى نشاط لم تألفه

ولقد ذكر معظم من تناولوا الموضوع من الكتاب ، ان الجماع السابق على الزواج كثيرا ما لايبعث الرضى فى نفس الفتاة .

والواقع أن ٦٩ فى المائة من الاناث اللائى لايزلن دون زواج — من عيناتنا — أكدن انهن لم يأسفن على التجربة ، كما ان ٧٧ فى المائة ممن تزوجن، ذكرن — وهن يسترجعن الماضى على ضوء نضوجهن وخبرتهن بعد الزواج — انه لم يكن ثمة داع للأسف!

أما اللائى ندمن على التجربة ، فيبدو ان ندمهن قام على طبيعة التجربة ذاتها قبل الزواج .. وكان أغلب النادمات هن أقل العينات ممارسة لهذا النشاط قبل الزواج !

أما ان قسطا كبيرا من الجماع قبل الزواج كان مبعث ارضاء نفسى، فهذا ما يشهد به استمرار نسبة كبيرة فى ممارسته .. والواقع ان الاضطرابات النفسية التى قد تعقب الجماع ، انما تقوم على طبيعة العملية ذاتها وعلى أثرها البدنى كالحمل او الاصابة بمرض تناسلى

وفى الحلقة التالية ، نتابع مع كينزى وزملائه النواحى الخلقية والاجتماعية والدينية والقانونية لهذا اللون من ألوان النشاط الجنسى


MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

عشيق الزوجة .. والزوج الوضيع !

• روينا فى حلقة سابقة من مذكرات أمير العشق والمغامرة ((كازانوفا)) ، كيف انه نزل فى (ميلان) عند صديق له من النبلاء ، انحدرت به الحال ، حتى أنه وزوجته - وكانت كونتة اسبانية مغرورة - كانا يعيشان عالة على عشيق للزوجة يدعى المركيز تريوليتسى .. ولقد اعجب ((كازانوفا)) بالكونتة الاسبانية ، ولكنها صدته فى عجرفة وغرور أغرياه بأن يعمل على اذلالها . فانتهز فرصة اعجابها بثوب نسوى من حرير ثمين نادر ، كان يملكه هو ، وأبى ان يبيع الثوب لعشيقها كى يقدمه هدية اليها .. واذ ذاك ، أخذ زوجها يلح عليه ، قائلا : ((اننى اعرف انك لا تحفل بالمال ، ولكن الألف دينار كفيلة بأن تسعدنى أنا . لذلك أناشدك ان تنزل عن عنادك اكراما لصداقتنا ، فتقبل المبلغ من تريوليتسى - ثمنا للثوب - ثم تقرضنى اياه !)) .. ولكن كازانوفا اشترط ان تتلطف الكونتة معه عندما يسعى اليها فى طلب هذا التلطف !

وفى اليوم التالى ، باع كازانوفا الثوب لتريوليتسى مقابل ١٥٠٠٠ فرنك ذهبى ، وابدى للزوج استعداده لأن يسلم المبلغ للكونتة المتعجرفة اذا قبلت شرطه .. فلما كان المساء ، رجاه الزوج الوضيع ان يذهب ليؤنس زوجته فى مخدعها ، فأخفى كازانوفا الفرنكات الذهبية ، ووضع فى جيبه بدلا منها ١٠٠٠ دينار من عملة ميلان ، ثم ذهب الى مخدع الكونتة .. فسألته : ((هل ستضحى بسهرتك لايناسى ؟ .. انك تحسن صنعا ، فمن الحرام ان تبدد فى المقامرة المبلغ الذى أعطاك اياه المركيز ثمنا للثوب !))

والآن ، تعال نتابع هذه المغامرة الطريفة :

مع الكونتة المغرورة فى مخدعها !

• **وأجبت** قائلا : « اننى لن ابددها ، اذ أعتزم ان أقدمها اليك انت . ولكننى أشعر بقشعريرة لفرط البرد ، فهل أغلق باب الغرفة ؟ » .. وأبت الكونتة انأفعل ، فقلت لها : « اذن، فسأنصرف ! » . وعند ذلك قالت : « لا بأس ايها الرجل المفسود الشرير ! »

وهكذا مكثت معها ، ولكنى لا ادرى لماذا لم أستمتع بهذا البقاء .. أكان ذلك لأننى كنت لا أفتأ أتذكر الثوب وثمنه ، أم لأننى كنت أتذكر الخادم العفيفة — التى أبت أن ترضينى وفاء منها لخطيبها — فكنت أشمئز من مسلك الكونته ! .. والحق اننى لم أكن كريما فى تصرفى ، اذ لم ألبث أن تهيأت للانصراف ، وانا أقول :

— ليس الذنب ذنبى يا سيدتى ، ولكن مفاتنك ليست قوية السلطان على مشاعرى .. فاليك الف دينار أرجو أن تجدى فيها عزاء وسلوى !

وكانت ثمة حفلة تنكرية راقصة فىدار « الأوبرا » ، فى ذلك المساء . فأسرعت وارتديت ثوبا أيقنت ان أحدا لن يكتشف شخصيتى من ورائه ، وخاصة لأنى استبدلت كل شىء كنت استخدمه .. حتى علبة السعوط والساعة وكيس النقود . ولم يعد ثمة ما يشى بحقيقتى ! .. وما انبلغت دار «الاوبرا»، حتى دلفت اولا الى قاعة المقامرة ، حيث خسرت مبلغا كبيرا ، جعل الجميع يتوقعون أن أبادر بمبارحة المكان . ولكن ميزان الحظ لم يلبث ان انقلب ، فاذا بى أكسب ، وأكسب ، حتى بلغ مجموع ارباحى — عندما نهضت فى النهاية — الفين وثمانمائة وستة وخمسين دينارا

مناورات .. على سلم « الأوبرا » !

• **وفيما** كنت أهبط السلم ، لحقت بى حسناوان تخفيان

وجهيهما وراء نقابين ، وقالتا : «ان كبير محققى ديوان التفتيش فى انتظارك لدى الباب! » . . وادركت من عبارتهما انهما اكتشفتا شخصيتى ، وان لم أستطع ان اعرف شيئا عن حقيقة شخصيتيهما !

وسألتنى احداهما ان أسمح لها ببعض السعوط من علبتى ، فقدمت العلبة اليها . **وفيما كانت تتناول حاجتها ، ضغطت بأصبعى زرا فى العلبة ، فانحسر الغطاء عن صورة ، ما أن رأتها الحسناوان حتى تضرج وجهاهما ، وشهقتا مأخوذتين ، مستنكرتين .. فقد كانت الصورة عارية ، جريئة ! ..** وقالتا : « يا للعار ! .. لن نسمح لك قط بأن تعرف من نكون ، عقابا لك على قحتك ! »

واستأت لأن تصرفى أغضبهما ، فرحت أقتفى أثرهما ، واذا بى التقى بصديقى « باربارو » ، فعلمت منه انهما لم تكونا سوى المركيزة « ك . » والمركيزة « ف . » ، اللتين كنت على استعداد لأن أضحى بنصف عمرى لاكتساب ودهما ومحبتهما !

موعد .. فى فندق « الملوك الثلاثة »

• **وقبل** ان تنتهى السهرة ، تقدمت فتاة فى زى فلاحات البندقية ، وتحدت ان يرقص معها أحد الرجال رقصة فلاحى (فريولى) ، وهى رقصة غريبة ، طويلة ، مضنية .. وتقدم أحد الشبان ، ولكنه سرعان ما تعب وجعل من نفسه اضحوكة الجميع ، مما دفعنى الى أن أتقدم متحديا الفتاة .. وقبلت الفتاة .. والتف الكل حولنا ، وراحوا يرقبوننا فى اهتمام

ورقصنا مرتين .. وكان فى هذا ما يكفى لارهاق اى رجل ، لولا ان فتاة فى زى الرعاة سألتنى أن أجرب حظى معها ، فلم أنكص .. وكانت بارعة فى رقصها ، لينة الأعطاف ، رشيقة الحركة ، حتى اننى درت معها ارجاء القاعة ثلاث مرات .. وما لبثت ان تعبت وتهدجت انفاسى ، واذ ذاك همست الفتاة

باسمى فى اذنى ، فعجبت لأنها استطاعت ان تعرفنى رغم تنكرى ، وطربت لسماع اسمى يخرج من بين شفتيها ، فسألتها عن اسمها . وكان جوابها ان قالت انها من البندقية ، وان بوسعى أن أعرف اسمها اذا أنا ذهبت للقائها فى فندق «الملوك الثلاثة » ، فى يوم الاثنين التالى !

واردفت قائلة : « اننى أنزل هناك مع أبى وأمى ، وهما من اصدقائك القدامى ! »

دماء كازانوفا تختلط بدماء « الكونتة » !

• **ولم** أر الكونتة الاسبانية الا فى مساء اليوم التالى ، عندما أعدت مائدة العشاء .. وكان زوجها متغيبا . وحملنى الأدب على أن أتلطف اليها ، وأن أعتذر عن مسلكى السابق . وبدت من ناحيتها فى غاية اللطف والرقة . وأيقنت انها كانت تحتال لغاية فى نفسها .. اذ كانت أعياد الكرنفال قد اقتربت ، ولا بد ان تدبر نفقات الاحتفال بها ..

وقدمت الى علبة سعوط ، بعد ان تناولت نصيبا منها ، فقلت وانا اتأمل مافى العلبة : « ولكن هذا ليس سعوطا ياكونتة ؟ » .. فأجابت : « لا ، انه مسحوق لمغالبة الصداع .. انه يجعل الدم الفاسد ينساب من الأنف ! » . واستأت لذلك ، بيد اننى قلت ضاحكا : « ولكننى لا أشكو من صداع ، ولا أحب أن ينساب الدم من أنفى ! » .. وما زالت بى حتى تناولت من ذلك السعوط ، وسرعان ما رحنا نعطس معا . وما لبثت ان سقطت من أنفى نقطة من الدم ، فتناولت الكونتة وعاء من الفضة ، وقالت : **« اقترب منى ، فقد بدأ الدم ينساب من انفى انا الأخرى ! »**

وهكذا أسند كل منا رأسه بيده ، فوق الوعاء الفضى .. ولم يلبث الدم أن أمسك عن الانسياب بعد دقائق ، فغسلنا أنفينا بالماء البارد ، واذ ذاك قالت الكونتة : **« الآن امتزج دمك**

بدمي ، ولسوف يؤدى هـذا الى توثق التعاطف بيننـا ! ..
ولعلنا سنظل مرتبطين بالصداقة الى نهاية العمر ! »

راهب .. ينذر أمير العشق !

◆ **ولم** أحفل كثيرا بكلامها ، ولـكن القراء لن يلبثوا ان يروا ــ بعد قليل ــ مدى ما فى قولها ذاك من صحـة أو خطل .. على اننى سألتها ان تعطينى قليلا من ذلك المسحوق ، فرفضت ، كما أبت أن تذكر لى اسمه ، قائلة انها حصلت عليه من صديق لها .. وعبثا حاولت العثور ــ لدى باعة العقاقير ــ على مسحوق له مفعول ذلك المسحوق ! .. وقد شغل هذا الأمر بالى ، كما شغله يقينى من ان الاسبانيـة كانت تـكرهنى .. فلم يلبث التفكير فى هذا ، ان جعلنى أعلق أهمية كبرى على ماحدث !

وفى اليوم التـالى ، جاء راهب من « الـكابوشان » يبـغى مقابلتى ، فطلبت الى تابعى ان يمنـحه شيئا من الصـدقات ويصرفه . ولكن الراهب أصر على أن يلقانى . فلما صار أمامى ، بادرنى قائلا : « **اصغ لمـا أقول يا سيدى ، ولا تزدر ما سوف أنذرك به ، فقد تدفع حيـاتك ثمنا لذلك ! ..** فاذا استمعت لحديثى ، فسوف أنبئك بما ينبغى ان تفعل ، ولـكن .. اياك وان توجه الى سؤالا واحدا ، لأننى لن أجيبك .. **ولعلك تدرك من تلقاء نفسك ان صمتى راجع الى احترامى لأسرار الاعتراف ، والى ان عهودى لا تسـمح لى بأن أفضى بمـا قد يشى بسر اسـتودعنى اياه أحـد الذين يدلون باعترافاتهم لى ..** اننى مضطر الى ان أتحدث اليك ، وقد ساقتنى العناية الالهية اليك لانذارك ! »

وفى الحلقة التالية ، نتابع معا قراءة هذه المذكرات التى تعتبر من روائع الأدب الـكلاسيكى ، ونرى ما جاء الراهب ينذر به « كازانوفا » ، وما ترتب على ذلك من مغامرات



عيد فى الريف

(لوحة للرسام الفرنسى « انطوان واتو » (١٦٨٤ - ١٧٢١)
بمتحف (ناشيونال جاليرى) بأدنبره ، اسكتلندا)